

مع العدد هدية مجانية
القُرُوس (مجلة الطفل المسلم)

منبر الإسلام



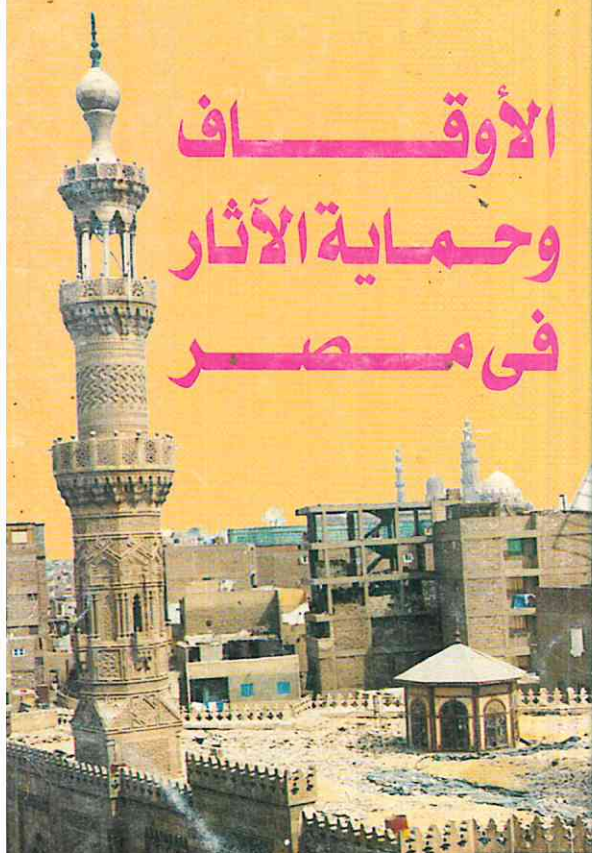
السنة ٦٧ العدد ٥ - جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ - مايو ٢٠٠٨ م الثمن ١٠٠ قرش

حق الإنسان في مستوى
لائق من المعيشة

السهولة والعمل
الإسلامي

ليس دفاعاً عن
الإسلام والمسلمين

الأوقاف
وحماية الآثار
في مصر



الإيمان والحب
سيرة الرسول
في تصورات الغربيين
حرية التعبير في الإسلام



القدس مدينة السلام

من محتويات العدد

غلاف الفردوس مجلة الطفل المسلم



هدية مجلة «منبر الإسلام»

- تفسير سورة «الفجر»
أ. د. محمد سيد طنطاوى
- واجب الدعاء نحو القرآن
أ. د. بكر زكى عوض
- الأخلاق وصلتها بالعقيدة والعبادة
د. سالم عبد الجليل
- المشكلات التربوية لمسلمى ساحل العاج
أ. د. مصطفى رجب
- روح الإسلام العمل
فضيلة الشيخ محمد عبد المجيد زيدان
- القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار
أ. د. محمد عمارة
- حكم وإشراقات صوفية
أ. د. حسن الشافعى
- تجميل المدن وتشجيرها فى الإسلام
أ. د. عبد الرحمن عميرة
- الإسلام والآخر
أ. د. محمد محمد أبو ليلة

الاشتراكات

تطلب الاشتراكات من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٩ ش النباتات - جاردن سيتى - القاهرة.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٢٥ خمسة وثلاثون جنيها بجمهورية مصر العربية.
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٢٥ خمسة وثلاثون دولارا أمريكيا للدول العربية والإفريقية
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٠ أربعون دولارا أمريكيا للدول الأوروبية
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٤٥ خمسة وأربعون دولارا أمريكيا فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وشرق آسيا
الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦٥ خمسة وستون دولارا أمريكيا فى أمريكا الجنوبية وأستراليا واليابان.

العنوان البريدى : ٩ شارع النباتات - جاردن سيتى - القاهرة - ج. م. ع
رقم الهاتف : ٢٧٩٥١٤٩٤ - ٢٧٩٥١٢٢٨ - ٢٧٩٥٨٦٥٩ - ٢٧٩٤١٦٢٧ (٢٠٢) - فاكس : ٢٧٩٥٤٠٠٥ (٢٠٢)

موقع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الشبكة الدولية

Website Address: <http://WWW.islamic-Council.org>

E-mail Addresses : Islamic_Council _ eg@yahoo.Council@alazhr.org

افتتاحية العدد

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير
الفاتحين»..
أخي القارئ

هذا عدد شهري جديد من مجلتك الغراء
مجلة «منبر الإسلام»، تحمل رسالة الإسلام
للمؤمنين في كل مكان، كدين أرسله الله رحمة
للعالمين، تبشر بقيم الإيمان والرحمة والخير
والحق والعدل والسلام، وهي قيم الهية أنار الله
بها العقول، وهدى بها القلوب، وضمها القرآن
بين دفتيه، يخاطب بها الإنسان، لتقيم توازنه،
ويشع بها روحه نورا وإيمانا وعطاء، تربي
ضميره، وتلهم فؤاده إلى صراط الله المستقيم
فيكون عبداً رانياً يوقن بوجود الله تعالى، ويعلم
أن الله محاسبه على ما يقدمه لنفسه ولأهله
ومجتمعه والناس من حوله، فيكون قوة في نفسه
وبناء لمجتمعه ونصيراً لدينه ووطنه وأمته.

عزيزي القارئ: مجلة «منبر الإسلام»
برصيدها الفكري والدعوى منك واليك، تقدم
الفكر الإسلامي المستنير، الذي يبنى الشخصية
المسلمة على هدى الإسلام الدين الخاتم، دين
الله للبشرية، يخاطب الروح والعقل، يربي
الضمير ويؤصل الرقابة الذاتية في نفس المؤمن
ويجعل كل إنسان على نفسه بصيرة، ويقدم
الشخصية التي تبنى ولا تهدم، تتعاش ولا
تتصارع، تتعاون ولا تتصادم، هي شخصية
صاحبة عطاء إيماني وحضاري، تضيف للحياة،
تنتمي لهويتها وتحمل الولاء لوطنها وأمتها
على هدى ذلك سوف تقدم موضوعاتها التي
تدور حول زاد الإسلام الإيماني في القرآن
والسنة، وأصول الدعوة وإشراقات الحكمة
والتصوف، وقضايا الأمة، وهموم العصر، وكيف
يتعامل المسلم مع الآخر، ويقدم فكره للآخر،
كيف نتجاوز فيما بيننا ومع الآخرين من
حولنا، نرد على شبهاتهم ونفند
مغالطاتهم حول الإسلام ورموزه
ومقدساته، لكن بالحكمة والمجادلة
بالتي هي أحسن، إيماناً وتصديقاً
وبرهاناً على أن الإسلام رسالة
سلام للعالم، وأن الله أرسل
محمدًا ﷺ صلاحاً
للنفوس، وإصلاحاً
للاجتماع البشري، وأن
القرآن كتاب يتعاقب
فيه الوحي مع
العقل، وأنه نور
من الله
وكتاب
مبين.



منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: محمود حمدي زقزوق

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: محمد الشحات الجندي

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس التحرير

الدكتور: أحمد كمال أبو المجد

الدكتور: أحمد محمد الطيب

الشيخ: محمد عبد المجيد زيدان

حديث
الشهر

الإيمان.. والحب

أ.د. محمود حمدي زقزوق

ربما يثير عنوان (الإيمان والحب) لدى البعض شيئا من الغرابة والدهشة لما يرتبط في أذهانهم من أفكار تختزن الحب في إطار أرضى ضيق لاصلة له بالروحانيات، الأمر الذي لا يتفق بأى حال من الأحوال مع سمو هذه القيمة العظيمة .. ولكننا نبادر إلى القول بأن أعلى درجات الحب هي الحب المرتبط بالإيمان .. وهذا ماسوف يتضح من خلال ماسنعرضه في السطور التالية :

إن التكوين الإلهي للإنسان - الذى خلقه الله فى أحسن تقويم - يشتمل على الكثير من الآيات الباهرات التى جعلها الله من دلائل قدرته . وتأمل هذه الدلائل والبحث فيها بإخلاص من شأنه أن يساعد الانسان على التوصل إلى أن الله - سبحانه وتعالى - هو الحق، وهو رب العالمين ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ (فصلت آية ٥٣).

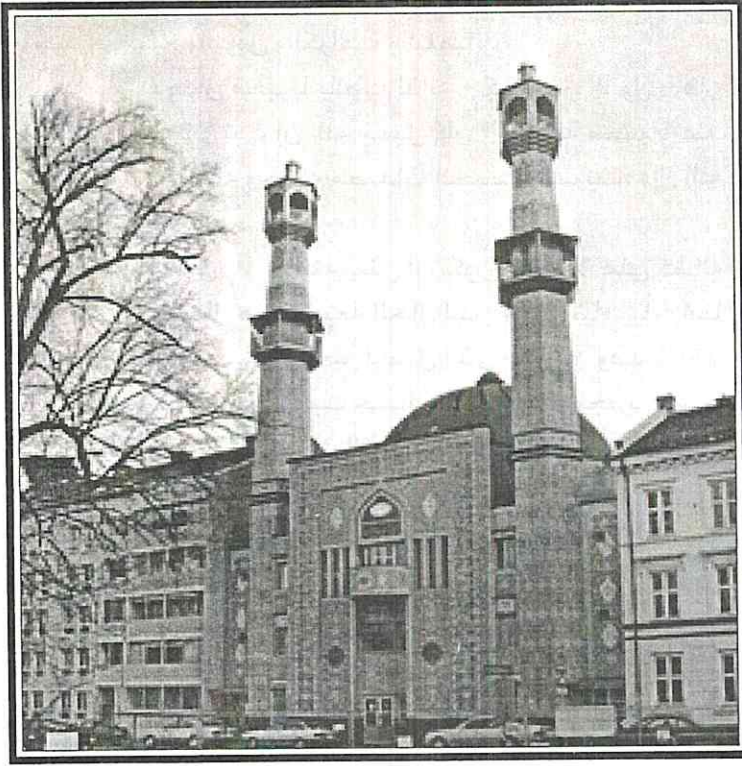
وإذا وصل الإنسان إلى هذه الدرجة فإنه يكون قد وصل إلى أعلى درجات اليقين العقلى والإيمانى معا . وهنا تتعاقب المعرفة العقلية مع المعرفة الروحية . وهذا يعنى أن الإنسان فى تكوينه ليس مادة أرضية فقط ، وليس عقلا يبحث عن الأدلة والبراهين فحسب، وإنما هو بالإضافة إلى ذلك صاحب حياة روحية متجذرة فى اعماق نفسه ولديه عواطف ووجدانيات .. وكلها أمور تختلف عن عمليات التصور والتفكير التى هى من خصائص العقل .. والعواطف تعد تجارب وجدانية وقد اعتاد الناس أن يطلقوا وصف «عاطفى» على الإنسان الذى ينفعل بسرعة ولا يستطيع أن يسيطر على مشاعره .. ولكن هذا المعنى السلبي لا يعبر تعبيرا صادقا عن «العاطفة» فى صورتها الحقيقية .

إن العاطفة من شأنها أن تدفع الإنسان إلى سلوك معين

إزاء إنسان أو حيوان أو نبات أو مجموعة من الناس أو الأفكار . وذلك مثل عاطفة الحب أو الكره فقد يتعاطف الإنسان مع شخص آخر أو مع فكرة من الأفكار، وقد ينفر من هذا الشخص أو تلك الفكرة . وقد لا تكون هناك أسباب منطقية للعاطف أو النفور . ولكن هناك شعورا باطنيا وإحساسا داخليا يدفع المرء إلى هذا الجانب أو ذاك .. وعلى رأس العواطف التى تجيش فى نفس الإنسان عاطفة الحب التى تعد أرقى العواطف وأسماءها .

وعلى الرغم من أن هذه العاطفة قد أصبح لها عيد يحتفل به الناس فى معظم دول العالم، فإن الحديث عنها لا يزال فى حاجة إلى شيء من الوضوح فى الأذهان . فالإنسان منا يحب ويكره ويفرح ويحزن، وهذه كلها حالات طبيعية وليست أمرا شاذًا، أما الشاذ فهو تبدل الإحساس وتحجر العواطف وانغلاق القلوب .. ومثل هؤلاء يصفهم القرآن الكريم بأن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة .

وفى كتابه «إحياء علوم الدين» يشرح لنا الإمام الغزالي بالتفصيل عاطفة الحب متدرجا فى شرحها من أضيق دائرة إلى أن ينتهى بها



ارتباط الحب بالله تعالى يجعله كفيلاً بتصحيح مسار الإنسان على الأرض والسير بالحياة على طريق مستقيم

فحب الذات يقع في بؤرة اهتمام الإنسان، وهذا ليس أمراً مستغرباً، بل يعد أمراً طبيعياً، ولكنه يبدو شاذاً حينما ينطلق الحب على الذات وحدها ولا يتسع لغيرها .. فهنا تكون الأنانية المفرطة البغيضة. فالمحبيب الأول للإنسان إذن هو ذاته وكمالها ودوامها ثم يأتي بعد ذلك حبه لشريك حياته وحبه لماله وولده وعشيرته وأصدقائه .. ولكن دائرة الحب تتسع أيضاً لأمر آخر يحبها الإنسان لذاتها وليس لأنها تعد تكميلاً لذاته، وهذا هو الحب الحقيقي، فالجمال محبوب عند من يدرك الجمال، بل يمكن القول بأن الجمال محبوب بالطبع لذاته، ولسنا نبالي إذا قلنا إن الحب والجمال صنوان لا يفترقان .. فالإنسان الذي يمتلئ قلبه بالحب يرى الجمال في كل شيء، ويشع الحب من قلبه إلى كل الكائنات من حوله .. وإذا كان إيليا أبو ماضي يقول:

والذي نفسه بغير جمال ..
لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

إلى عالم رحب حيث تجد فيه هذه العاطفة منتهى كمالها متمثلة في محبة الإنسان لله .. وهذا هو ما قصدنا إليه من الربط بين الإيمان والحب في عنوان هذا المقال .. وقد مهد الغزالي لذلك بالحديث عن هذه العاطفة وأقسامها والأسباب التي تدعو الإنسان إلى الحب في هذه الحياة.

وتحت عنوان «بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله» يذهب الغزالي إلى القول بأن المحبة لا تتصور إلا بعد معرفة وإدراك، إذ لا يجب الإنسان إلا ما يعرفه، لأن الحب من خصائص الحس المدرك .. والحب لديه هو عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء الذي يبعث على اللذة .. فإن تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقاً.

والحب أنواع: فلكل حاسة من الحواس إدراك لبعض الموجودات .. ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات، ولهذا يميل الطبع إليها، وتعد من المحبوبات عند الطبع السليم، فلذة العين في إدراك المبصرات الجميلة والصور البديعة، ولذة الأذن في النغمات الجميلة، ولذة الشم في الروائح الطيبة، وهكذا.

وإذا كان هذا هو الشأن في المدركات الحسية فإن مدركات العقل والقلب أقوى من مدركات الحس «فالبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، والقلب أشد إدراكاً من العين، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار».

وبين الغزالي أنه لا يخفى أن الإنسان يحب نفسه، وقد يحب غيره لأجل نفسه.

فإنه يمكن القول أيضا بأن الذي نفسه بغير حب لا يرى في الوجود إلا القبح والبؤس والكرهية والبغضاء.

وإذا كان الجمال محبوبا بالطبع لذاته - كما سبق القول - فإن الغزالي يرى أنه إذا ثبت أن الله جميل كان لا محالة محبوبا عند من ينكشف له جماله وجلاله مصداقا للحديث الشريف: «إن الله جميل يحب الجمال».

وجمال كل شيء أو حسنه يعنى أن يكون حاصلا على كماله اللائق به .. والجمال هنا بطبيعة الحال ليس جمالا ظاهريا، وإنما هو جمال تتوافر فيه شروط الكمال الذي يليق به. وقد تتأكد المحبة بين شخصين لا بسبب جمال ظاهر ولكن بمجرد تناسب الأرواح كما جاء في الحديث الشريف: «الأرواح جنود مجندة .. فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

ويمكن تلخيص أسباب الحب - في نظر الغزالي - في خمسة أسباب على النحو التالي:

أولا: حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقائه.

ثانيا: حب الإنسان لمن أحسن إليه.

ثالثا: حب الإنسان لمن كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه.

رابعا: حبه لكل ما هو جميل في ذاته.

خامسا: حبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن.

ويذهب الغزالي إلى أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كمالها واجتماعها إلا في حق الله تعالى. ومن هنا فإنه لا يستحق المحبة في الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى. ولا محبوب في الحقيقة عند ذوى البصائر إلا الله - سبحانه وتعالى - وإن أجل الذات وأعلاها يتمثل في معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم، وأنه لا يتصور أن يؤثر إنسان عليها لذة أخرى، اللهم إلا من حرم هذه اللذة. ولذلك يؤكد القرآن الكريم أن المؤمنين وحدهم هم الأشد حبا لله كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥) لأنهم الذين يدركون أكثر من غيرهم اشتغال الذات الإلهية على جميع الكمالات اللاتمة بها.

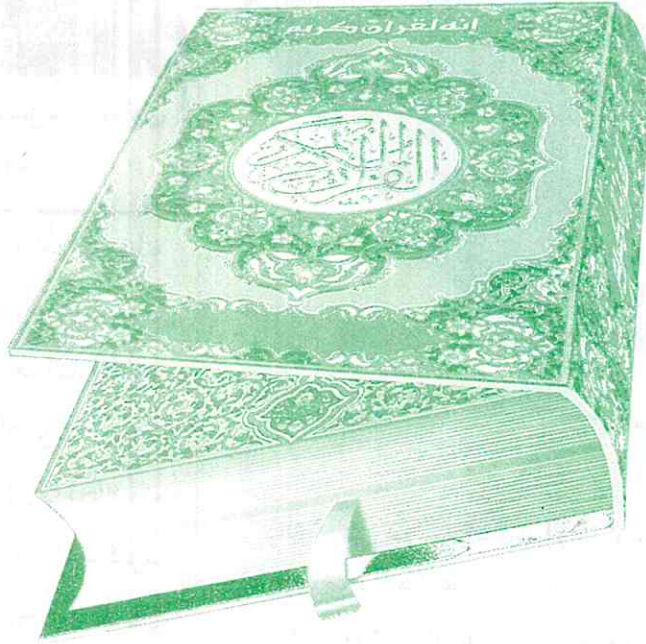
وهكذا يتدرج الحب لدى الناس في دوائر عدة ولكنها لا تكتمل إلا إذا انتهت إلى خالق الوجود ومقلب القلوب. وهذا هو الحب الحقيقي الذي ينبغى أن يؤثره الإنسان على كل حب سواه ومن جانب آخر فإن هذا الحب من شأنه أن يضيء الحب والجمال على كل ماعداه فحب الخالق يتبعه بالضرورة حب مخلوقات الله من بشر وحيوان ونبات وجماد، لأنها جميعا دلائل على قدرته وعظمته سبحانه وتعالى.

وحب الخالق لا يعنى بالضرورة رفض دوائر الحب الأخرى التي تدور حولها حياة الإنسان في دنياه، وإنما المرفوض هو أن تحجب هذه الدوائر المختلفة عن الإنسان «الحب الحقيقي» والذي يتمثل في حب الله تعالى.

والأمر الذي ينبغى ألا يغيب عن الأذهان أن الحب بين الله والإنسان ليس حبا من جانب واحد فقط، أى من جانب الإنسان وإنما هو حب متبادل بين الخالق والمخلوق. ويعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله في خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾. (آل عمران: ٣١) وإذا أحب الله عبدا جعل أهل السماء يحبونه وجعل له القبول في الأرض، كما جاء في الحديث النبوي الشريف. وكل إنسان يلجأ إلى الله تائبا من ذنوبه راجيا رحمته وغفرانه فإن الله يشمل به محبته كما جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢).

ومحبة الله لعباده تتمثل في رحمته بهم. فهو سبحانه أرحم بعباده من رحمة الأم بوليدها. وإذا كان الحب والقسوة تقيضين لا يجتمعان فكذلك الرحمة والقسوة ضدان لا يلتقيان أبدا. إن الحب هو أكسير الحياة. وحياة بلا حب لامعنى لها. وإشاعة الحب بين الناس يجعلهم يقبلون على الحياة والعمل والبذل والعطاء والتضحية والفداء. وإذا ارتبط هذا الحب بالله فإنه كفيل بتصحيح مسار الإنسان على الأرض والسير بالحياة في طريق مستقيم لا اعوجاج فيه، وهو الطريق الذي يؤدي إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة على السواء.

على مائدة القرآن الكريم



- تفسير سورة «الفجر»
- بين العقل والوحي
- صفات المؤمنين في القرآن الكريم
- والسنة النبوية

نظرات في كتاب الله تعالى

تفسير سورة «الفجر»

لتفضيلة الإمام الأكبر

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي
شيخ الأزهر

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْبَالًا لَّمَّا (١٩) وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّاتِي (٣٠)﴾ الفجر: الآيات ١٥ - ٣٠

والفاء في قوله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ..﴾ للتفريع على ما تقدم، ولترتيب ما بعدها على ما قبلها.

والمراد بالإنسان هنا: جنسه، وقيل المراد به الكافر. ولفظ «الإنسان» مبتدأ، وخبره: ﴿فيقول ربي أكرمن﴾.

والمعنى: هذه سنة ربك - أيها العاقل - في عبادته، أنه - تعالى - لهم بالمرصاد، فهو يراقب أعمالهم، ويحاسبهم عليها، ويجازيهم بها، والسعيد من الناس هو الذي يفقه هذه الحقيقة، فيؤدي ما كلفه خالقه به.. فأما الإنسان، الشقي العاقل عن طاعة ربه.. ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ أي: إذا ما اختبره وامتحنه ربه بألوان من النعم، بأن منحه المال الكثير، والجاه العريض، وأسباب القوة والمنعة ﴿فيقول﴾ على سبيل التباهي والتفاخر.. ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ أي: ربي أعطاني ذلك، لأنني مستحق لهذه النعم، كما قال - تعالى -: ﴿وَلئنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضِرَاءِ مُسْتِهِ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلئنْ رَجَعْتَ إِلَىٰ رَبِّي إِن لِّيَ عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾ فصلت: آية ٥٠.

المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته، ويوفقه لعمل الآخرة.

ويحتمل أن يراد الإنسان على العموم، لعدم تيقظه أن ما صار إليه من الخير، وما أصيب به من الشر في الدنيا، ليس إلا للاختبار والامتحان، وأن الدنيا بأسرها، لا تعدل عند الله - تعالى - جناح بعوضة.. (١).

واقصر - سبحانه - في الآية الكريمة على تقتير الرزق، في مقابلة النعمة دون غير ذلك من الأمراض والآفات، للإشعار بأن هذا الإنسان يعتبر دنياه جنته ومنتهى آماله. فهو لا يفكر إلا في المال ولا يحزن إلا من أجله، وأن المقياس عنده لمقادير الناس هو على حسب ما عندهم من أموال كما قال شاعرهم:

قلو شاء ربي كنت قيس بن عاصم

ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد

فأصبحت ذا مال كثير وطاف بي

بنون كرام، سادة لمسود

ولما كان هذا القول مذموما من هذا الإنسان في الحالين. لعدم شكره لله - تعالى - في حالة الرخاء، ولعدم صبره على قضائه في حالة البأساء.

لما كان الأمر كذلك جاء حرف الردع بعد ذلك فقال - تعالى -: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ الْيَتِيمَ* وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

فقلوه - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ زجر وردع عن قول هذا الإنسان ﴿رَبِّ أَكْرَمَنِي﴾ عند حصول النعمة، وعن قوله ﴿رَبِّ أَهَانَنِي﴾ عند حصول التقتير في الرزق، لأن الله - تعالى - قد يوسع على الكافر وهو مهان ومبغوض منه - تعالى - وقد يضيق - سبحانه - على المؤمن مع محبته له، وكلا

وقوله - سبحانه -: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ..﴾ بيان لموقف هذا الإنسان عند فقره. أي: وأما إذا ما امتحنا هذا الإنسان بسلب بعض النعم عنه، وبضيق الرزق.. ﴿فَيَقُولُ﴾ على سبيل التضجر والتأفف وعدم الرضا بقضائه - سبحانه -: ﴿رَبِّ أَهَانَنِي﴾ أي: ربي أذلني بالفقر، وأنزل بي الهوان والشرور.

وقول هذا الإنسان في الحالين، قول مذموم، يدل على سوء فكره، وقصور نظره، وانطماس بصيرته، لأنه في حالة العطاء والسعة في الرزق. يتفاخر ويتباهى، ويتوهم أن هذه النعم هو حقيق وجدير بها، وليست من فضل الله - تعالى - وكأنه يقول ما قاله قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص: آية ٧٨، وفي حالة المنع والضيق في الرزق يجزع، ويأبى أن يرضى بقضاء الله وقدره.. ولا يخطر بباله أن نعم الله إنما هي فضل تفضل به - سبحانه - عليه ليختبره، أيشكر أم يكفر، وأن تضيقه عليه في الرزق، ليس من الإهانة في شيء، بل هو للابتلاء - أيضا - والامتحان، كما قال - تعالى -: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء: آية ٣٥.

قال الإمام الشوكاني عند تفسيره لهاتين الآيتين: وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث، لأنه لا كرامة عنده إلا الدنيا والتوسع في متاعها، ولا إهانة عنده إلا فوتها وعدم وصوله إلى ما يريد من زينتها، فأما

قد يوسع
الله تعالى
على
الكافر
وهو مهان
ومبغوض
منه وقد
يضيق
على
المؤمن مع
محبته له

المطعموم، ويكون الكلام على حذف مضاف. أى: على بذل طعام المسكين.. (٢).

وقوله - سبحانه -: ﴿وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ بيان لرديلة ثلاثة من رذائلهم المتعددة. والترات: هو المال الموروث عن الغير. والمراد بالأكل مطلق الانتفاع، وخص الأكل بالذكر، لأنه يشمل معظم وجوه التصرفات المالية.

وَاللَّمُّ: الجمع بدون تفرقة بين الحلال والحرام، مأخوذ من قولهم: لَمَّ الطعام، إذا أكله كله دون أن يترك منه شيئاً.

أى: ومن صفاتكم القبيحة أنكم تأكلون المال الموروث عن غيركم، أكلاً شديداً، بحيث لا تتركون منه شيئاً، ولا تفرقون بين ما هو حلال أو حرام، ولا بين ما يحمد وما لا يحمد، بل تأخذون حقوقكم وحقوق غيركم من النساء والصبيان.

ومن صفاتكم - أيضاً - أنكم ﴿تُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أى: حبا كثيراً مع حرص وشهه. يقال: جَمَّ الماء فى الحوض، إذا كثر واجتمع، ومنه الجموم للبئر الكثيرة الماء.

والحب المفرط للمال من الصفات الذميمة، لأنه يؤدى إلى جمعه من كل طريق، بدون تفرقة بين ما يحل منه وما يحرم.

فأنت ترى أن الله - تعالى - قد وصف هذا النوع من الناس، بأنه قد جمع فى سوء سلوكه، بين النطق بالقبيح من الأقوال، وبين ارتكاب

الأمرين حاصل بمقتضى حكمته - عز وجل - والمؤمن الصادق هو الذى يشكر عند الرخاء، ويصبر عند البأساء.

و«بل» هنا للإضراب الانتقالي، من ذمهم على القبيح من القول، إلى ذمهم بما هو أشنع منه، وهو ارتكابهم للقبيح من الأفعال. أى: كلا ليس قولكم هذا وهو أن الإكرام فى الإعطاء، والإهانة فى المنع - هو القبيح فحسب، بل هناك ما هو أقبح منه، وهو أنكم - أيها الكافرون - ﴿لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ أى: لا تعطفون على اليتيم وهو الذى مات أبوه وهو صغير، بأن تتركوه معرضاً للفقر والاحتياج، دون أن تعملوا على تقديم يد المساعدة إليه.

﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أى: ولا يحث بعضكم بعضاً على إطعام المساكين والبائسين.

ونفى الحض على إطعامهم، نفى لإطعامهم من باب أولى، ونفى ذلك زيادة لمذلتهم، لأنهم لا يطعمون، ولا يحضون غيرهم عليه، لأنهم قوم خلت قلوبهم من الرحمة والعطف.

قال الآلوسى: قوله - سبحانه -: ﴿بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ إلخ. انتقال وترق من ذم هذا الإنسان على القبيح من القول، إلى الأقبح من الفعل. والالتفات إلى الخطاب، لتشديد التقرع، وتأكيد التشنيع.. والجمع باعتبار معنى الإنسان، إذ المراد الجنس، أى: بل لكم أفعال وأحوال أشد شراً مما ذكر، وأدل على تهالككم على المال، حيث أكرمكم - سبحانه - بكثرة المال، ولكنكم لم تؤدوا ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم.

والمراد بطعام المسكين: إطعامه، فالطعام مصدر بمعنى الإطعام.. أو المراد به: الشيء

الحب
المفرط
للمال من
الصفات
الذميمة
التي
تؤدى إلى
جمعه من
كل طريق
حلالاً كان
أم حراماً

النفس الطمئنة هي النفس الآمنة من الخوف والحزن يوم القيامة لإيمانها الصادق وعملها الصالح

وقوله - تعالى -: ﴿وجاء ربك﴾ .. هذه الآية وأمثالها من آيات الصفات التي يرى السلف وجوب الإيمان بها كما جاءت، بمعنى أننا نؤمن بمجيء الله - تعالى - ولكن من غير تكييف ولا تمثيل، بل نكل علم كيفية مجيئه إلى مشيئته - تعالى - .

والخلف يؤولون ذلك بأن المجيء هنا بمعنى مجيء أمره وقضائه .

قال الألوسي: - قوله - تعالى -: ﴿وجاء ربك﴾ قال منذر بن سعيد، معناه: ظهر - سبحانه - للخلق هنالك، وليس ذلك بمجيء ثقلة .. وقيل: الكلام على حذف مضاف للتهويل، أي: وجاء أمر ربك وقضاؤه . واختار جمع أنه تمثيل لظهور آيات اقتداره - تعالى - وتبيين آثار قدرته وسلطانه، مثل حاله - سبحانه - في ذلك، بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة مالا يظهر بحضور عساكره ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم، وأنت تعلم ما للسلف في المتشابه من الكلام .

﴿والملك﴾ أي: جنس الملك، فيشمل جميع الملائكة ﴿صفا صفا﴾ أي: مصطفين، أو ذوى صفوف .. (٤) .

وقوله - تعالى -: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ أي: وأحضرت جهنم وظهرت وبرزت للكافرين والفاسقين يوم القيامة، يوم تدك الأرض دكا . وقوله: ﴿يومئذ﴾ منصوب بقوله ﴿جيء﴾ . وقوله: ﴿بجهنم﴾ قائم مقام الفاعل .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها ..» (٥) .

﴿يومئذ﴾ أي: في هذا اليوم العسير،

القبيح من الأفعال، وهي: ترك اليتيم بلا رعاية، وعدم الحض على إطعام المحتاج، وجمع المال الموروث بدون تفرقة بين حلاله وحرامه، والإفراط في حب المال بطريقة ذميمة .

وبعد هذا الزجر والردع لهم، لسوء أقوالهم وأفعالهم، أخذت السورة الكريمة في زجرهم وردعهم عن طريق تذكيرهم بأهوال الآخرة فقال - تعالى -: ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا﴾ . وقوله - تعالى -: ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا﴾ ردع لهم وزجر عن أفعالهم السابقة، وهي عدم إكرام اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين .

وقوله: ﴿دكت الأرض﴾ من الدك: بمعنى الكسر والبدق والزلزلة الشديدة، والتحطيم الجسيم، وانتصب لفظ «دكا» الأول على أنه مصدر مؤكد للفعل، وانتصاب الثاني على أنه تأكيد للأول . وقيل: تكرار «دكا» للدلالة على الاستيعاب، كقولك: قرأت النحو بابا بابا، أي: قرأته كله .

قال القرطبي: قوله - تعالى -: ﴿كلا إذا دكت الأرض﴾ أي: ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر . فهو رد لانكبابهم على الدنيا، وجمعهم لها، فإن من فعل ذلك يندم يوم تدك الأرض، ولا ينفعه الندم، والدك: الكسر والبدق، أي: زلزلت وحركت تحريكا بعد تحريك .

وقوله: ﴿دكا دكا﴾ أي: مرة بعد مرة، زلزلت فكسر بعضها بعضا فتكسر كل شيء على ظهرها .. (٦) .

النفس الآمنة المطمئنة، الناعمة بروح اليقين، الواثقة بفضل الله - تعالى - ورحمته ﴿ارجع إلى ربك راضية مرضية﴾ أى: ارجع إلى ربك الذى خلقك، وأنت راضية تمام الرضا بما أعطاك - سبحانه - من ثواب، ومرضى عنك منه - تعالى - بسبب إيمانك الصادق، وعملك الصالح.

﴿فادخل فى عبادى﴾ أى: فادخل فى زمرة عبادى الصالحين المرضيين. ﴿وادخل جنتى﴾ التى وعدتهم بها، والتى أعددتها لنعيمهم الدائم المقيم.

وقد ذكروا أن هذه الآيات الكريمة نزلت فى شأن عثمان بن عفان لما تصدق ببئر رومة.

وقيل: نزلت فى حمزة بن عبدالمطلب حين استشهد.

قال القرطبي: والصحيح أنها عامة فى نفس كل مؤمن مخلص طائع..(٦).

نسأل الله - تعالى - أن يجعلنا جميعا من أصحاب النفوس المطمئنة. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

- ١ - تفسير فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٤٣٨.
- ٢ - تفسير الألوسى ج٣٠ ص١٢٧.
- ٣ - تفسير القرطبي ج٢٠ ص٥٤.
- ٤ - تفسير الألوسى ج٣٠ ص١٢٨.
- ٥ - تفسير ابن كثير ج٧ ص٤٢١.
- ٦ - تفسير القرطبي ج٢٠ ص٥٨.

وهو يوم القيامة - وهو بدل من قوله - تعالى - : ﴿إذا دكت الأرض﴾ - ﴿يتذكر الإنسان﴾ أى: يتذكر ما فرط منه من ذنوب، وما ارتكبه من سيئات، وما وقع فيه من كفر وفسوق عن أمر ربه.

﴿وانى له الذكرى﴾ أى: ومن أين له الانتفاع بهذا التذكر، لأنه تذكر قد جاء فى غير وقت الانتفاع به، وفى وقت الحساب على الأعمال، لا وقت التوبة من السيئ منها.

﴿يقول﴾ هذا الإنسان الشقى ﴿يالييتى قدمت لحياتى﴾ أى: يقول حين يرى العذاب ماثلا أمامه، يقول - على سبيل التحسر والتفجع -: يالييتى قدمت أعمالا صالحة لأجل حياتى هذه فى الآخرة، فاللام للتعليل، وقدمت أعمالا صالحة فى وقت حياتى فى الدنيا لأنتفع بها فى هذا اليوم، فتكون اللام للتوقيت.

﴿فيومئذ﴾ أى: فى هذا اليوم لا ينفعه الندم ولا التحسر، و﴿لا يعذب عذابه أحد﴾ ولا يوثق وثاقه أحد ﴿والوثاق: الرباط الذى يقيد به الأسير.

أى: فى هذا اليوم لا يعذب كعذاب الله أحد، ولا يوثق كوثاقه أحد، فالضمير فى قوله: ﴿عذابه﴾ و﴿وثاقه﴾ يعود إلى الله - تعالى - ولفظ «أحد» فاعل.

وقرأ الكسائي: ﴿لا يعذب﴾ و﴿لا يوثق﴾ - بفتح الذال المشددة، وفتح الثاء - على البناء للمفعول، والضمير فى قوله ﴿عذابه﴾ و﴿وثاقه﴾ يعود للكافر.

أى: فيومئذ لا يعذب أحد مثل عذاب ذلك الإنسان الكافر المتحسر، ولا يوثق أحد مثل وثاقه، ولفظ «أحد» هنا نائب فاعل.

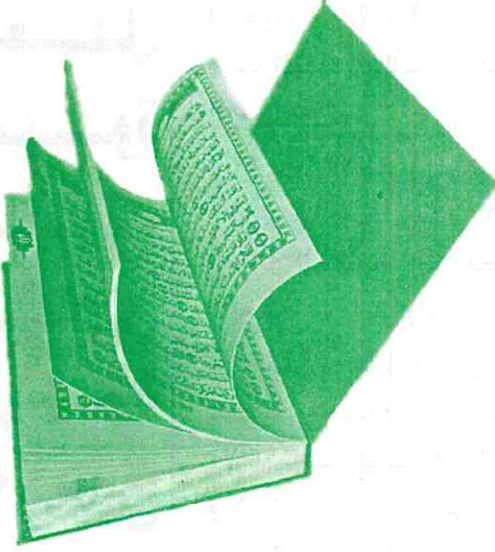
وشبيه بهاتين الآيتين قوله - تعالى -: ﴿قال الله إنى منزلها عليكم﴾ - أى: المائدة - ﴿فمن يكفر بعد منكم فإنى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين﴾.

ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بهذه البشارة العظيمة للمؤمنين فقال: ﴿يأتيتها النفس المطمئنة ارجع إلى ربك راضية مرضية﴾ فادخل فى عبادى وادخل جنتى.

والنفس المطمئنة: هى النفس الآمنة من الخوف أو الحزن فى يوم القيامة. بسبب إيمانها الصادق، وعملها الصالح، والكلام على إرادة القول. أى: يقول الله - تعالى - على لسان ملائكته، إكراما للمؤمنين، عند وفاتهم، أو عند تمام حسابهم: يأتيتها

بين العقل والوحى

أ. د. محمد السيد الجليلند



إن العلاقة بين الوحى والعقل باعتبار أن كلا منهما وسيلة أو أداة من أدوات المعرفة، ولكل منهما مجاله وميدانه الذى نجح فى الكشف عنه والتعرف عليه، وعلينا أن ندرك أنهما معا وسيلتان للمعرفة، وكما أن العقل مسلط على عالم الشهادة فكذلك الوحى خاص بالتعرف على عالم الغيب، وليس من هدفنا الدخول فى تفاصيل هذه العلاقة فقد كفانا القدماء الحديث عنها ولكن نود أن ننبه هنا إلى أهم معالم المنهج فى هذه القضية. إذ يرتبط المنهج هنا بفهم طبيعة علاقة العقل بعالم الشهادة من جانب وعلاقة العقل بعالم الغيب من جانب آخر، وإذا عرفنا أبعاد علاقة العقل بعالم الغيب والفارق الكبير بينها وبين علاقته بعالم الشهادة فإنه يكون من اليسير فهم علاقة العقل بالوحى.

**قضايا الغيب
والصفات
الإلهية من
الثوابت التى
لا دخل للعقل
فيها إلا العلم
بها فقط**

الصحابة - ومن بعدهم جيل التابعين - بالقرآن حفظا وفهما وتدبرا، فكلهم لم يقصروا فى فهم ما حفظ من القرآن ولم يمتنع عن أعمال عقله فى فهم القرآن، بدليل أننا لم نقرأ آية من كتاب الله إلا وجدنا عنها نقولا للصحابة عن الرسول ﷺ.

٢ - لم نقرأ عن الصحابة والتابعين الذين نقلوا إلينا أقوال الرسول ﷺ وأفعاله أنهم توقفوا أمام آية أو حديث، وقالوا إن العقل يعارضها أو يرفضها، أو ينبغى تأويلها بصرفها عن ظاهرها، وإنما عملوا بالمحكم وآمنوا بالمتشابه، وقالوا: «كل من

١ - مما ينبغى أن نؤمن به إيماننا جازما أن الله أنزل كتابه ليفهم ويتدبر، كما قال تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته» سورة ص: آية ٢٩، وقال: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمد: آية ٢٤، ولهذا فإن إقبال السلف على حفظ القرآن وفهمه وحسن تدبره كان مجالا للتنافس فيما بينهم، وحكى عن السلمى قوله: كنا نقرأ العشر آيات من القرآن، ولا نتجاوزها حتى نعلم ما فيها من علم وعمل، وكان بين أصحاب الرسول، من هو حبر الأمة وترجمان القرآن، وكان أقرأهم زيدا، وأعلمهم بالفرائض، وإذا اختلفوا فى شئ ردوه إلى فلان. كل هذا دليل على عناية جيل

معرفة العقل بنبوة محمد بالدلائل الواضحة لا يعنى أن العقل متخصص فى علم النبوة ويعلم ما يعلمه محمد ﷺ

عند ربنا ﴿آل عمران: آية ٧﴾، خاصة فيما يتصل بقضايا الغيب من هذه الآيات وفى مقدمتها آيات الصفات الإلهية التى هى محك الخلاف بين السلف ومخالفهم وكذلك آيات البعث والحساب، كذلك لم يتساءلوا عن كيفية أى صفة من الصفات المذكورة فى الآية المعينة أو الحديث المعين. وإنما تلقوها بالقبول كما سمعوها عن الرسول ﷺ.

٣ - من الأصول المرعية هنا أن النص إذا صح سنداً ومتمناً وفهماً لا يتعارض أبداً مع الدلائل العقلية الصريحة عن الشبهات والخالية من الشكوك.

ذلك أن العقل والنقل وسيلتان لتحقيق غاية واحدة هى الوصول إلى الحق، والتعرف عليها فى الأقوال والأفعال والاعتقادات، والوسائل التى تؤدى إلى غاية واحدة لا يعارض بعضها بعضاً وإنما يؤيد ويعاضد بعضها بعضاً. فكلهما حق والحق لا يعارض الحق أبداً.

أما الذين يقولون بإمكان التعارض بينهما فتجد أحدهم يدعى أن ما معه من النقل صحيح، وقد يكون الأمر خلاف ذلك، وقد يكون النقل صحيحاً ولكن ما فهمه منه ليس فهماً صحيحاً، وكذلك تجد الآخر يدعى أن معه من الدلائل العقلية المعارضة للسمع ما يرد به نصاً صحيحاً وعند التأمل تجد أن ما معه ليس له من النظر العقلى الصحيح نصيب، وإنما هو شبهات فاسدة أو شكوك طارئة، سرعان ما تزول بالبرهان القطعى الصريح، أما أن يكون النقل صحيحاً والدليل العقلى صريحاً فهذان لا يمكن أن يتعارضاً أبداً.

٤ - يتفرع عن الأصل السابق أن الدليل

النقلى الصحيح قطعى الدلالة والدليل العقلى الصريح هو أيضاً قطعى الدلالة. والدلائل القطعية لا تتعارض، وإنما يتعارض منها ما هو ظنى الدلالة أو ظنى الثبوت، وإذا قال البعض إن معه دليلين - عقلى ونقلى - وظنهما متعارضين ينظر فيهما، أيهما كان قطعياً قدم وأخذ به، ويتأخر الظنى ويرفض، ليس لكونه عقلياً ولا شرعياً ولكن لكونه ظنياً فى دلالاته، والظنى لا يعارض القطعى، وينبغى أن ننبه هنا إلى أن كثيراً مما يسميه الناس دلائل عقلية أو سمعية يعارض بعضها بعضاً ليس كثير منها يرقى إلى مستوى البرهان، وهذا متفق عليه، لأنه قد لا يكون دليلاً فى نفس الأمر وإنما هو بحسب من يظنه كذلك.

٥ - إن دلالة ما جاء به الشرع فى باب الإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته واليوم الآخر، والبعث والحساب والجنة والنار... إلخ - وهى مسائل الخلاف الجوهرية بين المؤمنين بالوحى ومعارضيه قديماً أَلَمْ يتنازعوا فى دلالاته على ما دل عليه من ذلك، والمتنازعون فى ذلك لم يتنازعوا فى أن السمع دل على ذلك أيضاً، وإنما تنازعوا: هل عارضه من الدلائل العقلية ما يدفع موجبه أم لا؟

وإذا ظهر معارض له فأى الدالتين تكون قطعية والأخرى تكون ظنية؟

وهذا هو مثار الخلاف فى أمثال هذه المسائل، وقد عالج هذه القضية

فتلك أدلة شرعية وعقلية يعلم المرء صحتها بعقله، فهي براهين وأقيسة عقلية وهى مع ذلك شرعية نبه إليها الكتاب العزيز وأمر بها.

وإذا كان الدليل الشرعى لا يعلم إلا بخبر المعصوم كما فى إخبار الوحي عن الله وصفاته والبعث والحساب، كان ذلك الدليل شرعيا وسمعيا، لأنه لا يعلم بطريق العقل وحده بل علم بطريق النص، ويتميز بأنه شرعى وعقلى معا، لأنه لا يوجد فى العقل الصريح ما يعارضه، والشرع لم يحرم الدليل إلا لأمور خارجة عن مطلب الحق وقصده. الذى هو غاية الاستدلال وهدفه.

١ - فقد يحرم الشرع الدليل لكونه كذبا فى نفسه، كأن تكون إحدى المقدمات باطلة، فإنه يكون كذبا، والله يحرم الكذب، لاسيما عليه، قال تعالى: ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه﴾ الأعراف: آية ١٦٩.

٢ - وقد يحرم الدليل لأن صاحبه يتكلم فيه بدون علم به، كما قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ الإسراء: آية ٣٦، ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ الأعراف: آية ٣٣.

٣ - وقد يحرم الدليل لكونه جدالا بالباطل، أو جدالا فى الحق بعد ما تبين كقوله تعالى: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ الكهف: آية ٥٦، وقوله سبحانه: ﴿يجادلونك فى الحق بعد ما تبين﴾ الأنفال: آية ٦.

ويتضح من هذا أن كل دليل كان قطعى الدلالة على مطلوبه هو فى حقيقة أمره دليل شرعى نبه إليه الكتاب العزيز، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، ولم يحظر الشرع جنس الأدلة العقلية أبدا ولا قال أحد من السلف بذلك والنبي ﷺ أمر بالبرهان، وأمر بتعلمه حيث يجب ذلك، ودل على مجامع البراهين التى يرجع إليها غاية نظر النظائر، وأهل العلم بالآثار النبوية يعلمون من ذلك ما يجهله غيرهم، شأنهم فى ذلك شأن أهل كل اختصاص كأهل الطب والهندسة فى تخصصاتهم المختلفة فإنهم يعلمون منها ما يجهله غيرهم.

٧ - وينبغى أن نعلم أن العقل ليس أصلا فى إثبات الشئ فى نفسه فلا يعطيه وجودا ولا ينفى عنه عدما، كما يدعى ذلك بعض المتكلمين والفلاسفة، وإنما هو أصل فى علمنا بالشرع، ذلك أن الأشياء ثابتة فى نفسها سواء علمناها بعقولنا أو لم

أئمة كبار مثل ابن رشد فى كتابه فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال كما وضع الإمام ابن تيمية كتابه العظيم: درء تعارض العقل والنقل لحسم هذه المشكلة بالأصول العقلية والنقلية معا.

ولا يستطيع أحد أن يطعن. فى جنس الأدلة العقلية، ولا فيما علم العقل صحته، وإنما تتجسد المشكلة فيما يدعيه البعض عقليا - ويردون من أجلها ما صح من نصوص الوحي القطعية - وهى فى حقيقتها ليست دليلا فى نفس الأمر؛ وكل ما عارضوا به الشروع من هذه الأدلة قد تبين فساده فى العقل فضلا عن معارضة الشرع له.

٦ - والدليل لا يمدح ولا يذم لكونه عقليا أو سمعيا، وإنما يمدح الدليل لكونه قطعيا فى الدلالة على مطلوبه، والدليل الشرعى لا يقابل بالدليل العقلى وإنما يقابل بالدليل البدعى المحرم. لأن الدليل العقلى الصحيح هو فى الأصل دليل شرعى دل عليه الشرع نصا أو تنبيها وأشار إليه وأمر به الشرع وأوجب الأخذ به.

مفهوم الدليل الشرعى:

وكون الدليل شرعيا يراد به ما أثبتته الشرع ودل عليه بنصوصه الصحيحة.

ويراد به ما أباحه الشرع وأذن فيه، وهذا شامل للأدلة التى نبه إليها القرآن بالأمثال المضروبة فى أبواب التوحيد والعدل وإثبات الصفات،

نعلمها، والشرع من هذا الباب مستقل بوجوده عن إدراك العقل له شأن كل الموجودات؛ فنبوة النبي ورسالاته إلى الخلق ثابتة في نفسها سواء أدركتها عقول البعض أو لم تدركها، وعدم علم البعض بذلك، أو عدم ثبوت ذلك عند البعض، أو رفض البعض لما جاء به الرسول ﷺ كل ذلك لا يلغى أن النبوة ثابتة في نفسها ولا يلغى أن ما جاء به الرسول ﷺ حق في نفسه.

فالعقل لم يعط الشرع صفة مدح لم تكن ثابتة له، ولم ينف عنه صفة ذم كانت ثابتة له كذلك. ولم يضاف إليها من صفات المدح ما ليس فيه، ولم ينف عنه من الصفات ما ليس كذلك، وإنما علم العقل بالشرع على ما هو عليه. على ما نزل به الوحي، وعلى ما أخبر به الرسول ﷺ، علم العقل من ذلك ما علم وجهل منه ما جهل.

والدعاوى العريضة التي يقول بها المخالفون من أن العقل أصل في إثبات الشرع، أو أن العقل أساس الشرع أو غير ذلك من الأقوال فكلها تحتاج إلى تمحيص، لأن علاقة العقل بما هو موجود ليست علاقة إثبات للوجود أو منع له ونفى عنه، وإنما هي علاقة علم بالموجود على ما هو عليه في الوجود الخارجي، فالعقل لا يمنح وجوداً للمعدوم، ولا يمنع عدماً عن الموجود، حتى يقال إن العقل أصل في إثبات الشرع أو أن العقل أساس في إثبات الشرع ذلك أن العقل يعلم وجود الأشياء الموجودة بالفعل على ما هي عليه في الوجود، ولا يعلم وجود المعدوم إلا على سبيل التخيل؛ فكيف يقال إن العقل أصل أو أساس الشرع.

وهنا أمور تحتاج إلى مزيد من الإيضاح:

أولاً: إذا كان العقل أصلاً في علمنا بالشرع فإن قضايا الغيب كالإيمان بالله والنبوة واليوم الآخر، والصفات الإلهية، هي من الثوابت التي لا مدخل للعقل فيها إلا العلم بها فقط، على ما أخبر به الرسول ﷺ عنها.. أما ما يتصل بحياة الناس اليومية من الشرعيات في مسائل السياسة والاجتماع وما يتفرع عنهما؛ فهي محل اجتهاد العقول لتستنبط من الأحكام الشرعية ما يسد حاجات الناس اليومية المتجددة؛ وهذه التفرقة بين الثوابت والمتغيرات في علاقة العقل بالشرع أمر على جانب كبير من الأهمية حتى لا تختلط الأوراق عند البعض، فيظن أن ما هو ثابت قابل للاجتهاد العقلي، أو أن ما هو من قبيل المتغيرات يثبت عند حدود وعصر معين أو اجتهاد فقيه معين.

ثانياً: إذا كان العقل أصلاً في علمنا بالشرع، وظهر في الشرعيات ما يعز على العقل فهمه، فلا ينبغي للعقل أن يتهم الشرع أو يرده، ولا ينبغي للعقل أن يقولوا نحن نأخذ بدليل العقل ونرد دليل الشرع، بدعوى أننا لو رفضنا الأخذ بدليل العقل لكان ذلك قدحا في الشرع، لأننا عرفنا الشرع بالعقل ولو رددنا أحكام العقل الذي به عرفنا الشرع لكان ذلك رفضاً للشرع أيضاً. أو غير ذلك من المقولات التي نجدها في بعض الكتابات قديماً وحديثاً، لأن هذه الأقوال فيها من التمويه والمغالطات الشيء الكثير، ذلك أن علاقة العقل بالشرع هي علاقة تعلم وتلق خاصة ما يتعلق منه بالغيبيات، ومن المعلوم أن العقل دلنا على صدق الرسول ﷺ في كل ما أخبر به، وأصبحت طاعة الرسول ﷺ واجبة في ذلك.

وكثيراً ما نجد في كتابات السلف ضرب الأمثلة التي يوضحون بها نوع العلاقة بين العقل والوحي ليقرّبوا بها المسألة إلى الأفهام؛ فهي تشبه إلى حد كبير موقف الرجل العامي الذي يعلم أن فلاناً من الناس هو المفتي وجاء إليه من يسأله عن هذا المفتي فدلّه عليه، وبين له أنه العالم المفتي الذي يستفتيه الناس عند الحاجة؛ ثم اختلف هذا الرجل العامي مع العالم المفتي وقال لسائل يجب أن تسمع قولى ولا تسمع قول المفتي، وحينئذ يجب على السائل المستفتى أن يقدم قول المفتي لا قول الرجل العامي.

فقال العامي: لا بل يجب أن تسمع قولي لأنى قد دلتك على الطبيب، وأنا الذى زكيتك لك، فيجب أن تأخذ بقولي فى محل الخلاف لأن عدم الأخذ بقولي يقدر فى الأصل الذى عرفت به الطبيب، وهنا يقال للعامى علمك بأنه طبيب ماهر لا يعنى أبداً علمك بمهنة الطب.

وكذلك العقل لما دلنا على أن نبوة محمد ﷺ صحيحة وأنه صادق فيما أخبر به عن ربه، كان ذلك صحيحاً منه لوضوح دلائل النبوة لكل ذى عقل، ومعرفة العقل بأن محمداً نبى بدلائله الواضحة لا يعنى أبداً أن العقل متخصص فى علم النبوة، وأنه يعلم ما علمه النبى ﷺ، لا .. بل هنا يقال للعقل «ليس هذا بعشك فادرجى» فنحن فى حياتنا العادية نعلم أن غيرنا أعلم منا بصناعات كيميائية أو معدنية مختلفة، فإذا سألنا سائل عن صانع حاذق بالمعادن وأنواعها، فدلناه عليه، فهل يعنى هذا أننا أكثر علماً بهذه الصناعة من الصانع نفسه، وهل إذا اختلف معنا السائل فى سر من أسرار هذه الصناعة نقول له إن قولنا مقدم على قول الصانع الماهر فيها؟

إن فى ذلك من التمويه والمغالطة مالا يخفى على العقلاء، وهذا هو شأن من يقدم بين يدي الله ورسوله فى مسائل الغيب.

٨ - ومن المعلوم أن أفضلية الرسول ومباينته لذوى العقول ليس لها نظير فتقاس به فى باب النبوة، فإن من الناس من يمكنه أن يصير عالماً بالطب والصناعات المختلفة، ولكن لا يمكن لأحد أن يصير نبياً بعقله، ولا يمكن لمن لم يجعله الله نبياً رسولاً أن يصير بمنزلة النبى الرسول. فإن النبوة لا تنال بالاجتهاد، فإذا علم المؤمن ذلك وعلم بالعقل أن محمداً رسول الله وأنه أخبر بشيء ووجد فى عقله ما ينازعه فى خبره ويعارضه فى قبوله كان عقله يوجب عليه أن يسلم فى موارد النزاع إلى من هو أعلم به منه، وإلى من هو متخصص فى الأخذ عمن بيده مفاتيح الغيب، وألا يقدم رأيه على قول الله ورسوله، إن كان على يقين بأن الله ورسوله أعلم بما أنزل منه، وإن كان فى شك ذلك، فليس له معنا حينئذ حديث، لأن كل من تعود معارضة الشرع برأيه لا يستقر فى قلبه الإيمان وهو أشبه بمن يعلق إيمانه بالرسول على شرط عدم المعارض العقلى لأقوال الرسول وإخباره، فإيمانه مشروط بعدم المعارضة، ومن المعلوم أن ذلك الموقف هو مدخل الإلحاد، وقد سبق أن بينا أن فى أخبار الأنبياء عن الغيب مالا ينال بالعقل، ولا يدرك بالحس، ويمتنع أن يصل أحد إلى هذه الأخبار الإيمانية إلا بواسطة الوحي والإنباء عنها فقط.

فإذا قال له الرجل العامى أنا الأصل فى علمك بأنه مفت فإذا قدمت قوله على قولي عند الاختلاف كان ذلك قدحا فى الأصل الذى علمت به أنه مفت.

قال له السائل: أنت شهدت بأنه عالم مفت. وزكيتك ودلتك عليه فشهدت بوجوب إتيانه والأخذ عنه دون تقليدك؛ وموافقى لك فى العلم بأنه مفت لا يستلزم بالضرورة أننى أوافقك فى العلم بأعيان المسائل التى هى محل الخلاف بينكما، وخطؤك فى أعيان المسائل التى خالفت فيها المفتى، لا يلزم عنه خطؤك فحيث أنك دلت عليه وشهدت له وزكيتك وفى علمك بأنه مفت، هذا مع الفارق الكبير، فإن المفتى قد يجوز عليه الخطأ أما الرسول ﷺ فإنه معصوم، ولذلك وجب تقليده على كل من آمن به سواء وافقه عقله أو خالفه.

وكذلك الأمر بالنسبة لمن شهد له الناس بالطب ومهارته فيه، ثم جاء المريض وسأل العامى عن عنوان الطبيب الماهر فدل المريض على عنوان الطبيب الحاذق فذهب إليه المريض، ووصف له الطبيب العلاج المناسب لعلاج ما يشكو منه، ولما خرج المريض سأل الرجل العامى قائلاً، ماذا وصف لك الطبيب، فأخبره المريض بنوع العلاج.

فقال له العامى: إن هذا العلاج غير صحيح، وينبغى أن تتركه ولا تأخذ به.

فقال له المريض: أنت لا تعرف شيئاً فى مهنة الطب، أما الطبيب فهو أهل الاختصاص.

صفات المؤمنين في القرآن الكريم والسنة النبوية

فضيلة الشيخ / فوزي فاضل الزفزاف

يقول الله - تعالى -: «يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين* إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون* الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون* أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم» الأنفال: الآيات ١ - ٤.

للمفسرين روايات كثيرة في سبب نزول هذه الآيات الكريمة، وكل الروايات التي ذكرها المفسرون تشير إلى أن نزاعاً حدث بين بعض الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين اشتركوا في غزوة بدر، حول الغنائم التي ظفروا بها من هذه الغزوة، فأنزل الله - تعالى - في هذه الآيات بيان حكم الله فيها.

والمراد بالأنفال هنا: الغنائم، والمعنى: يسألك بعض أصحابك يا محمد عن غنائم بدر كيف تقسم؟ ومن المستحق لها؟ قل لهم: الأنفال لله يحكم فيها بحكمه - سبحانه - وللرسول - عليه الصلاة والسلام - فهو الذي يقسمها بحسب حكم الله وأمره فيها، فهو - سبحانه - العليم بمصالح عباده، الحكيم في جميع أقواله وأفعاله، وليس الأمر في قسمتها مفوضاً لرأى أحد.

ثم نهاهم الله - جل شأنه - عن التنازع في شأن الغنائم ومصرفها، وأمرهم أن يصونوا أنفسهم عن كل ما يغضب الله، وأن يخافوا الله ويخشونه في كل أحوالهم، فقال - جل شأنه -: «فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين» أي: فاتقوا الله - أيها المؤمنون - وأصلحوا نفس ما بينكم التي تربط بعضكم ببعض، وهي رابطة الإسلام، وإصلاحها يكون بما يقتضيه

نهى الله تعالى المؤمنين عن التنازع وأمرهم بصيانة أنفسهم عن كل ما يغضب الله

ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله يوم القيامة، من ذكر الله.

قال الفخر الرازي (١) - رحمه الله -
فإن قيل: إنه - تعالى - قال ههنا: ﴿وجلت قلوبهم﴾ وقال سبحانه - في آية أخرى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ الرعد: آية ٢٨، فكيف الجمع بينهما؟

قلنا: الاطمئنان: إنما يكون عن تلج اليقين، وشرح الصدور بمعرفة التوحيد، والوجل: إنما يكون من خوف العقوبة، ولا منافاة بين هاتين الحالتين، بل نقول: هذان الوصفان اجتماعاً في آية واحدة، وهي قوله - تعالى -: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله..﴾ الزمر: آية ٢٢، والمعنى: تقشعر الجلود من خوف عذاب الله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند رجاء ثواب الله.

وقد جاء التعبير في الآية الكريمة عن صفات هؤلاء المؤمنين بصيغة من صيغ القصر «إنما» للإشعار بأن من هذه صفاتهم هم المؤمنون الصادقون حقاً في إيمانهم وإخلاصهم.. أما غيرهم ممن لم تتوافر فيهم هذه الصفات الكريمة، فأمرهم غير أمرهم، وجزاؤهم غير جزائهم.

الصفة الثانية: من صفات هؤلاء المؤمنين الصادقين المخلصين في إيمانهم: عبّر عنها - سبحانه - بقوله: ﴿وإذا تلّيت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾، أي: أن من صفات هؤلاء المؤمنين الراسخين في إيمانهم، أنهم إذا قرئت عليهم آيات القرآن الكريم،

كمال الإيمان من تحقيق المودة والمصافاة فيما بينكم، وترك الاختلاف والتنازع، والحرص على التمسك بفضيلة الإيثار، وأن تكون أحوالكم فيما بينكم أحوال ألفة ومحبة، ومودة وصلة، وتعاون وتعاطف، وخافوا الله في كل أحوالكم، في السر والعلن، وفي الرضا والغضب، وفي اليسر والعسر، وأطيعوا الله ورسوله في كل أقوالكم وأفعالكم.

وإن كنتم مؤمنين بالله إيماناً حقاً صادقاً راسخاً قوياً فامتثلوا لهذه الأوامر الثلاثة السابقة وهي: التقوى، وإصلاح ذات البين، وطاعة الله ورسوله.

وقد كرر - سبحانه - الاسم الجليل في الآية الأولى ثلاث مرات، لتربية المهابة في القلوب، وللخشية والإذعان، ولتأكيد الحكم وتعليقه حتى تقبله النفوس برضا وامتثال، وتسليم مطلق.

كما ذكر - سبحانه - رسوله معه مرتين في هذه الآية الكريمة لتعظيم شأنه، وإظهار شرفه، وإعلاء منزلته، وسمو قدره - عليه الصلاة والسلام - والإعلام بأن طاعة الرسول من طاعة الله، ومخالفته مخالفة لأمر الله - تعالى -.

ثم وصف - سبحانه - المؤمنين الصادقين الذين هم أهل لرضا الله ومحبته، وحسن ثوابه وعطائه، حتى يتأسى بهم غيرهم فيسيرون على دربهم، وينهجون منهجهم، ويعملون عملهم، وصفهم - جل شأنه - بخمس صفات هي:

الصفة الأولى: قوله - تعالى -: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾، والمراد بذكر الله: ذكر صفاته الجليلة، وقدرته النافذة، ورحمته الواسعة، وعقابه الشديد، وعلمه المحيط بكل شيء الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ويعلم ما في الصدور، وما يستتبع ذلك من حساب وثواب وعقاب..، وقوله - تعالى -: ﴿وجلت﴾ من الوجل وهو استشعار الخوف.

أي: إنما المؤمنون الصادقون الراسخون في إيمانهم، الذين إذا ذكر اسم الله وذكر صفاته أمامهم، خافت قلوبهم، وفزع أفتدتهم، واقتشعرت جلودهم، واضطربت أعضاؤهم استعظاماً لشأنه، وإجلالاً لقدره، وتهيباً من سلطانه، وحذراً من عقابه، ورغبة في ثوابه.. وذلك لقوة إيمانهم، وصدق عزمهم، وصفاء نفوسهم، وسماحة أخلاقهم، وشدة مراقبتهم لله - جل شأنه - في السر والعلانية - والتزامهم بتنفيذ أوامره واجتنب نواهيه، وحرصهم على مداومة ذكرهم لله، وعلى سماع ذكر الله، بتلاوة القرآن الكريم وسماعه، والإكثار من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل..، أخرج الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: ما عمل

وما تضمنته من براهين ساطعة، وأدلة وحجج قاطعة على وحدانية الله، وعلى قدرته على الخلق والتكوين، والإيجاد من العدم، وعلى الإحياء والموت، وعلى البعث والنشور، وعلى الحساب والجزاء، وعلى الثواب والعقاب، وعلى الوعظ والإرشاد.. زادتهم هذه التلاوة إيماناً، أى: زادتهم قوة فى التصديق، ورسوخاً فى اليقين، وشدة فى الإيمان، وسعة فى العلم والمعرفة، ونشاطاً فى الأعمال الصالحة، وبعداً عن الأعمال السيئة.

وقد استدلل جمهور العلماء بقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ على أن الإيمان يزيد وينقص، كما استدلوا على تأييد رأيهم هذا بآيات أخرى وردت فى القرآن الكريم تفيد ذلك، منها قوله - تعالى -: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ آل عمران: ١٧٣. وقوله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ..﴾ الفتح: آية ٤، وقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة: الآيتان ١٢٤، ١٢٥، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى وردت فى هذا المعنى.

وذهب بعض الأئمة وكثير من المتكلمين إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، محتجين بأن الإيمان اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان،

وذلك لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان.

وذهب جماعة من العلماء إلى أن الخلاف فى زيادة الإيمان ونقصانه وعدمهما خلاف لفظى، وهو فرع عن تفسير الإيمان، فمن فسره بالتصديق قال: إنه لا يزيد ولا ينقص، ومن فسره بالأعمال مع التصديق قال: إنه يزيد وينقص.. ومن أراد المزيد من المعلومات عن هذا الموضوع فليرجع إلى الكتب المختصة..

وجاء التعبير بصيغة الفعل المبني للمفعول فى قوله - تعالى -: ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ و﴿تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾، للإشارة إلى أن هؤلاء المؤمنين الصادقين الراسخين فى إيمانهم، إذا كانوا يخافون الله ويخشونه عندما يسمعون من غيرهم آيات الله البينات، وكلام الله فى القرآن الكريم، فإنهم يكونون أشد خوفاً وأكثر رجاء عند ذكرهم لله، وعند تلاوتهم لآياته بألسنتهم وقلوبهم.. والتعبير بهذه الصيغة فيه مدح وثناء لهؤلاء المؤمنين الصادقين المخلصين.

الصفة الثالثة من صفات المؤمنين الصادقين: قوله - تعالى -: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، أى: أن من صفات هؤلاء المؤمنين المخلصين، أنهم يعتمدون على ربهم الذى خلقهم بقدرته، واختصهم بتكريمه، ورباهم بنعمه، ورزقهم بفضله، فيفوضون أمورهم كلها إلى الله وحده، لا إلى أحد سواه.

وقد قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهذه الجملة: أى: أنهم لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف فى الملك لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، ولهذا قال سعيد بن جبير: «التوكل على الله جماع الإيمان» (٢).

والتوكل على الله لا ينافى الأخذ بالأسباب التى شرعها الله - تعالى - بل إن الأخذ بالأسباب التى شرعها الله وأمر بها لتحقيق المقاصد وبلوغ الغايات، لدليل على قوة الإيمان، وعلى حسن طاعة الله فيما شرعه وفيما أمر به.

فالتوكل على الله - تعالى - هو الاعتماد عليه، وتفويض الأمور كلها إليه - تعالى - اعتماداً على أنه الكفيل بأمور عباده، والقادر على كل شئ، مع السعى فى الأسباب التى أمر الله بها عباده وجرت به العادة، كاللبس لدفع الحر والبرد، والأكل والشرب لدفع الجوع والعطش، والنكاح لمن أراد الولد، والحرث وإلقاء البذر لمن أراد الزرع، والغرس لمن أراد الشجر والثمر، والاشتغال بالصناعة والتجارة ونحو ذلك من طرق الكسب المشروعة المعلومة لجمع المال للإنفاق على النفس والأهل وفى سبيل الله.

وصف المؤمنين الصادقين المخلصين بخمس صفات: الأولى والثانية والثالثة منها ترجع إلى العبادات القلبية التي تدل على شدة خشيتهم من بارئهم، وعلى قوة تأثيرهم بآيات خالقهم، وعلى اعتمادهم على ربهم لا على أحد سواه، والصفة الرابعة ترجع إلى العبادات البدنية، وهي إقامة الصلاة بإخلاص وخشوع، أما الصفة الخامسة فترجع إلى العبادات المالية، وهي إنفاق المال في سبيل الله، ومما لا شك فيه أن هذه الصفات الكريمة متى تمكنت في النفس وصارت سلوكا ومنهجاً لصاحبها، كان أهلاً لمحبة الله ورضوانه.

ولقد مدح الله - سبحانه - المؤمنين أصحاب هذه الصفات الكريمة فقال - تعالى -: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ أي: أولئك المتصفون بتلك الصفات الكريمة هم المؤمنون حقا، ولهم منزلة عالية، ومكانة سامية عند ربهم، ولهم مغفرة شاملة لما فرط منهم من ذنوب، ولهم ثواب عظيم وجزاء كريم في الجنة، يجعلهم يحيون فيها حياة طيبة خالدة..

نسأل الله أن يوفقنا إلى عمل الطاعات، وأن يرزقنا هذه الصفات، وأن يحشرنا مع هؤلاء المؤمنين الصادقين، وأن يجمعنا معهم في جنات النعيم.

الهوامش:

١ - تفسير الفخر الرازي ج ٥ ص ١١٨.

٢ - تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٦.

٣ - التاج الجامع للأصول ج ٥ ص ٢٠٦.

ط دار إحياء التراث العربي.

فليس من الإيمان، ولا من العقل السليم، ولا من التوكل على الله، أن ينتظر الإنسان ثمارا بدون غرس، أو شبعاً بدون أكل، أو نجاحاً بدون جهد، أو ثواباً بدون عمل صالح.. إنما المؤمن الصادق المتوكل على الله هو الذي يباشر الأسباب التي شرعها الله لبلوغ الأهداف وتحقيق الغايات.. ثم بعد ذلك يترك النتائج لله - تعالى - يسيرها كيف شاء وحسبما يريد.. عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يارسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: «أعقلها وتوكل» الترمذي.

وكتب معاوية رضي الله عنه إلى السيدة عائشة - رضي الله عنها -: أن اكتب لي كتاباً توصيني فيه ولا تكثري عليّ، فكتبت إليه: سلام عليك، أما بعد، فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس» والسلام عليك (٢).

الصفة الرابعة من صفات المؤمنين الصادقين: قوله - تعالى -: ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾، والمراد بإقامة الصلاة: أدائها باطمئنان في مواقيتها مستوفية لأركانها وشروطها وسننها وآدابها وخشوعها، لأن الشأن في صلاة المؤمنين أمران:

أ - أن تكون إحساساً عميقاً بالوقوف بين يدي الله - عز وجل -، وانقطاعاً تاماً لمناجاته، وتمثلاً حياً لجلاله وكبريائه، واستغراقاً كاملاً في دعائه.

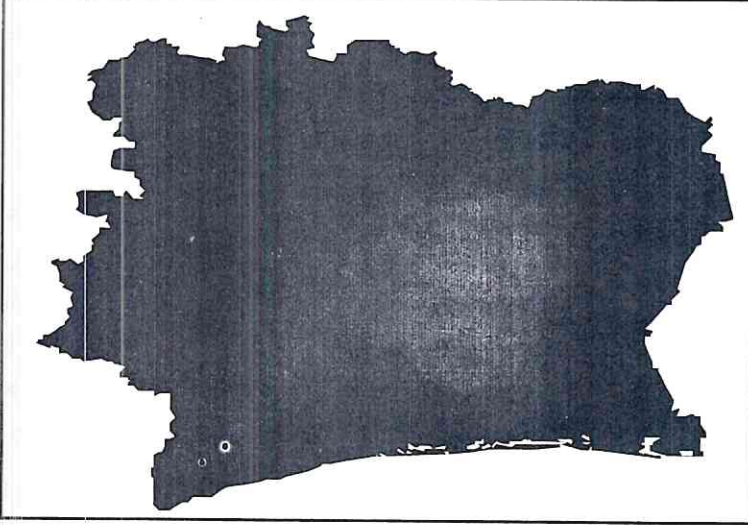
ب - أن تهوى مؤديها عن ارتكاب الفحشاء، وعن كل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة، روى عن أنس رضي الله عنه أن فتى من الأنصار كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأتي الفواحش، فذكر ذلك للنبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: «إن صلاته ستهام» فلم يلبث أن تاب وحسن حاله.

الصفة الخامسة من صفات المؤمنين الصادقين: قوله - تعالى -: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ أي: يبذلون أموالهم للفقراء والمحتاجين، ويؤدوا مومن على إنفاقها في أوجه الخير بسماحة نفس، وسخاء يد من غير من ولا أذى، ابتغاء وجه ربهم في جميع أحوالهم.. وخص - سبحانه - المؤمنين الصادقين بهذه الصفة، لأن النفس البشرية جبلت على الشح والبخل، وعلى حب المال وجمعه واكتنازه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: طول الحياة وكثرة المال» الشيخان والترمذي، فإنفاق المؤمنين أموالهم في أوجه الخير - مع حب النفس للمال وجمعه - دليل قوى على صدق إيمانهم، وعلى حبهم لله وطاعتهم له.

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة يرى أن الله - تعالى - قد

المشكلات التربوية لمسلمي ساحل العاج

أ.د: مصطفى رجب



على شاطئ إفريقيا الغربي المطل على المحيط الأطلسي تقع جمهورية ساحل العاج التي تسمى بالفرنسية (كوت ديفوار) بين كل من غانا شرقا، وقولتا العليا ومالي شمالا، وغينيا وليبيريا غربا، والمحيط الأطلسي جنوبا.

وفي ساحل العاج إقليمان طبيعيان متميزان: السهول الساحلية والتي تتميز بوجود الغابات المدارية المطيرة التي تعد مصدرا مهما للأخشاب، والهضبات الداخلية. تبلغ مساحة ساحل العاج (٣٢٢٤٦٣) كم^٢، ويسكنها أكثر من أربعة عشر مليون نسمة - حسب آخر الإحصائيات - يشكل المسلمون حوالي ٦٠ في المائة من السكان، والمسيحيون والوثنيون يشكلون المتبقى من السكان.

وعاصمة البلاد هي مدينة أبيدجان ويتمركز بها الكثير من المسلمين، تنتشر بالبلاد عدة لغات ولهجات تقدر بستين لغة ولهجة محلية ولكن أهمها وأوسعها انتشارا لغة الماندا والأجنى.

ومن القبائل الرئيسية في البلاد: ماندى، دولا، سينوفا، التي تسكن المنطقة الشمالية من جمهورية ساحل العاج، وهي قبائل مسلمة، وأما قبيلتا أصنى وأشانتي التي تقطن وسط وجنوبي ساحل العاج فهي في طور بدائي همجي لا تدين بأى دين، وأما لغة الدولة الرسمية فهي اللغة الفرنسية - لغة الاستعمار - الذي خضعت لحكمه البلاد فترة طويلة.

ويقول كثير من المؤرخين إن الإسلام دخل في ساحل العاج عن طريق المجاهد الإسلامي الكبير السيد (ساموري توري) الذي عرف بفضله وعلمه في خدمة الإسلام، والسيد (ساموري توري) هو جد (أحمد سيكوتوري) رئيس جمهورية غينيا المجاورة لساحل العاج.

ويتبع المسلمون في ساحل العاج مذهب الإمام مالك، كما هو الغالب في غرب إفريقيا كلها.

والواقع أن المعلومات عن تاريخ هذه الجمهورية القديم ضئيل جدا، وجل ما هو معروف أن القسم الشمالي منها كان تحت النفوذ الإسلامي منذ القرون الأولى للهجرة، فقد كانت مدينة (بتوكي) تقع على طريق القوافل من مدينة (تمبكتو) في جمهورية مالي إلى مدينة (سموكوتو) الإسلامية في نيجيريا.

الجو التوتر المصاحب بأعمال العنف واستخدام السلاح يؤثر بالسلب على الواقع التعليمي لمسلمي ساحل العاج

الغيني)، ثم أصبح ساحل العاج مستعمرة فرنسية إلا أنه نال استقلاله سنة ١٩٦٥م. وتم وضع دستور جديد لهذه الجمهورية أعلنت فيه حرية الأديان وأن الدولة بموجبه ليست لها صبغة دينية، وجمهورية ساحل العاج عضو في هيئة الأمم المتحدة، وليست عضوا في منظمة الدول الإسلامية برغم أن تعداد المسلمين فيها يربو على ٥٥٪.

الموارد والنشاط الاقتصادي:

تعتمد ساحل العاج في اقتصادياتها على الزراعة وخاصة البن والكاكاو ونخيل الزيت والموز، وقد تزايد إنتاج هذه المحاصيل في العقود الأخيرة بسبب توفر السوق المستوردة، وتعد ساحل العاج الأولى عالميا في إنتاج الكاكاو العنصر الأساسي في صنع الشيكولاتة، وكذلك فهي الثالثة عالميا في إنتاج البن.

وقد ساعد وجود الغابات الكثيفة وقربها من الموانئ الساحلية وتوفير النقل النهري الرخيص، وكذلك امتداد عدة خطوط حديدية برية على استغلال الثروة الغابية استغلالا جيدا، حتى أصبحت الأخشاب تمثل نسبة عالية من الصادرات.

أما عن الثروة المعدنية فتعتبر ذات أهمية كبيرة في اقتصاديات ساحل العاج وأهم المعادن الماس والمنجنيز.

وتعد ساحل العاج ثاني بلد إفريقي في إفريقيا الغربية بعد الكاميرون، من حيث الصادرات الخارجية وإنتاج الكهرباء.

المشكلات التعليمية للمسلمين في ساحل العاج:

أولا: الروح الإقليمية المنتشرة والتي تقسم البلاد إلى شمال وجنوب حيث يعامل أبناء الشمال ذو الغالبية المسلمة كالأجانب، بل إن المسلمين يطاردون بصورة قريية من (البوغرافات) (ونعني المذابح ضد اليهود

وفي خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد كان القسم الشمالي منها تحت النفوذ الإسلامي حيث كان خاضعا لدولة مالي الإسلامية، وفي القرن الثامن عشر للميلاد كانت هذه المنطقة جزءا من مملكة إبراهيم سمبيجو الغيني.

وفي الوقت الراهن يعد الاتحاد الثقافي الإسلامي هو الهيئة الإسلامية العليا في البلاد، وله دور مهم في فتح المدارس بجميع مراحلها لتعليم اللغة العربية والدين، وكذلك في إنشاء العديد من المعاهد العلمية العليا.

كما يوجد في البلاد العديد من المساجد وأكبرها المسجد الكبير في العاصمة أبيدجان.

الاستعمار في جمهورية ساحل العاج

بدأ البرتغاليون غزو الأراضي الساحلية على خليج غينيا في القرن الخامس عشر، ولما كانت القبائل التي تقطن على ساحل خليج غينيا تتعاطى تجارة العاج، فقد أطلق الأوروبيون على هذا الساحل (ساحل العاج).

في أواسط القرن التاسع عشر أصبحت الأجزاء الجنوبية من ساحل العاج تحت الحماية الفرنسية، وكان القسم الشمالي من ساحل العاج جزءا من مملكة موسى التي اعتنق ملكها الإسلام في منتصف القرن التاسع عشر وتسمى بـ(أبي بكر) ولم يدخل تحت السلطة الفرنسية إلا في عام ١٨٩٨م عندما هزم الفرنسيون القائد المسلم المشهور في غرب إفريقيا (إمام المامي ساموري

لهيئة الإسلامية العليا في ساحل العاج دور مهم في فتح المدارس بجميع مراحلها لتعليم اللغة العربية والدين

في روسيا القيصرية)، ومما يدل على ذلك اكتشاف مقبرة جماعية رميت فيها (٥٧) جثة مشوهة غالبيتهم من أبناء الشمال حتى اشتكى المجلس الأعلى للأئمة من هذا الإمعان في الوحشية، وهذه الروح الإقليمية دفعت الجنوبيين إلى وضع دستور يعتبر كل مواطن من أم أو أب من غير ساحل العاج ليس بعاجي صافى وقد استهدف المسلمون بهذا الدستور استهدافا مباشرا.

ولاشك أن هذا الجو المتوتر المصاحب بأعمال العنف واستخدام السلاح وخصوصا إذا ما علمنا أن الأسلحة الخفيفة تنقل بسهولة قصوى في إفريقيّا، فإن الواقع التعليمي للمسلمين في ساحل العاج سيتأثر سلبا بهذه المعطيات.

ثانيا: استخدام الأطفال كأيد عاملة: إن الأطفال يستغلون للعمل في حقول الكاكاو، حيث يعمل نحو ١٠٩ آلاف طفل في ظروف خطيرة في ساحل العاج والتي هي مصدر ٤٠٪ من إنتاج الكاكاو العالمي، وتشمل الأخطار التي يتعرض لها الأطفال، التعرض للأسمدة الضارة، احتمال الإصابة بالمنجل، وتقوم مؤسسة الكاكاو العالمية ومقرها واشنطن ورابطة صناعة الشيكولاتة بالتخطيط لعمل نظام تراخيص للعاملين في مزارع الكاكاو، إلا أن هذا النظام يواجه صعوبة بالغة حيث لا يمكن مراقبة أكثر من مليون مزرعة كاكاو في ساحل العاج.

ثالثا: انتشار الأمراض بشكل عام والإيدز بشكل خاص: ذات مرة صرح مسئول كبير في الأمم المتحدة بأن نصف المواليد في قارة إفريقيّا يحملون الفيروس المسبب للإيدز، ويقول الدكتور «بيربيوت» المدير التنفيذي لوكالة الأمم المتحدة الخاصة بالإيدز: في ساحل العاج يموت

مدرس كل يوم بسبب الإيدز، وتساءل قائلا: من سيدرس للأطفال ومن سيحل محل المدرسين؟

رابعا: ظهور الطرائق والفرق الإسلامية: عرفت ساحل العاج الإسلام من خلال جهود المتصوفة وغيرهم، ففيها مدارس الطائفة الأحمدية القاديانية، والبهائية، والإسماعيلية، والشيعية الاثنا عشرية، وهذه المدارس بإمكاناتها وتنظيمها الجيد وخدماتها الطبية تكسب خريجها مكانة بين المثقفين، وكل منها له مراكزه التي تعد المنتسبين إليها لحمل عقيدتها ونشرها مما يزيد دائرة الخلاف بين أتباع هذه المدارس العقائدية.

خامسا: انتشار المناهج العلمانية: وأصحابها هم الذين تعلموا في المدارس الأوروبية أو ذات الصبغة الأوروبية، وقد أفرز هذا المنهج تعليما غابت فيه أهداف الشريعة فقل الاهتمام بالشعائر التعبدية وزاد الجهل بالدين، ومما ساعد على هذا أن لغة المستعمر الفرنسي أصبحت وسيلة المثقفين للوصول إلى المعرفة، فصار المثقف المسلم إذا أراد أن يعرف شيئا عن الإسلام وتاريخه وحضارته يمر عبر جسور اللغة الفرنسية والتي تضع الدساتير عن الإسلام وأهله.

سادسا: قلة المعلمين في بلاد القارة الإفريقية الغربية، حتى ذكر أنه في بعض المدارس الإسلامية يوجد معلمون نصارى.

قضايا معاصرة



● ليس دفاعا عن الإسلام والمسلمين

● العولمة والعالم الإسلامي: تعريف العولمة

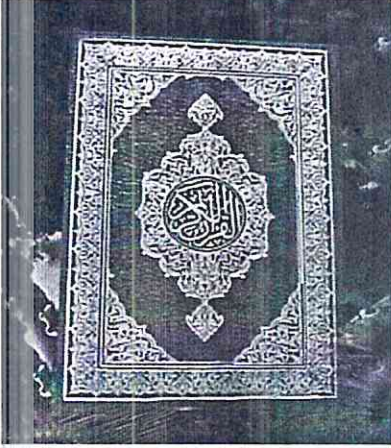
ومكوناتها ومجالاتها

● القدس الشريف: رمز الصراع وبوابة الانتصار

● القدس مدينة السلام

ليس دفاعا عن الإسلام والمسلمين

رجب البنا



اشتدت الحملات في الغرب على الإسلام والمسلمين في السنوات الأخيرة، وإن كانت هذه الحملات في ذاتها ليست جديدة، فقد بدأت مع بداية الدعوة الإسلامية ولم تنقطع، إلا أنها في السنوات الأخيرة ازدادت شدة واتساعا مع استراتيجية الغزو للعالم الإسلامي عن الغرب عموما، سواء كان هو الغزو الفكري والثقافي والإعلامي، أو حتى الغزو العسكري.

ويواجه المسلمون في الولايات المتحدة ودول أوروبا موجات من العداء والتمييز في المعاملة والاضطهاد في مجالات العمل، ومن الواضح أن هناك مخططا شريرا تحركه أصابع خفية لتوسيع الفجوة بين الغرب والعالم الإسلامي، وبذر بذور الشك على الجانبين.

ويجعل قضية الكفر والإيمان من اختيار كل إنسان وحسابه على الله مادام لا يؤذى المؤمنين في عقيدتهم، وما جاء في الآية الكريمة: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ الكهف: آية ٢٩، والآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: آية ٦، وغيرهما ما يكفى للاقتناع بأن الإسلام دين للسلام وللمحبة بين البشر على اختلاف ألوانهم ودياناتهم. ولكن الدعوة الإسلامية لم تصل بصورة كافية إلى الغرب، ومن ناحية أخرى فإن الدعايات المضادة للإسلام نجحت حتى الآن في الربط بين الإسلام والإرهاب في أذهان الغربيين، وهذا ما يجعلنا نلج ونكرر الدعوة إلى المنظمات الإسلامية والمؤسسات ومراكز الأبحاث وأجهزة الثقافة والإعلام إلى القيام بعمل منظم له صفة

الجامعات، كما تظهر في الأفلام والمسرحيات التي تصور الإسلام على أنه عقيدة تدعو المؤمنين إلى محاربة وقتل وإرهاب غير المسلمين، وتدعى أن الجهاد في الإسلام هو اعتداء المسلمين على غيرهم واستباحة دمائهم، ونتيجة لذلك استقر في أذهان قطاع من الغربيين أن الجهاد في الإسلام يعنى العدوان وتهديد الأمنين، ولم تستطع المؤسسات الإسلامية حتى الآن أن تنفذ برنامجا متكاملا لتوضيح حقائق الإسلام بالدليل والمنطق وبالأسلوب واللغة والمنهج الذي يتناسب مع عقلية الغرب. لم تستطع المؤسسات الإسلامية أن توضح لعامة المواطنين - بل وللمثقفين - أن الإسلام دين يدعو إلى الحرية الدينية،

وقد بدأت في العالم الإسلامي استجابات لهذا المخطط - بدون وعى أو إدراك لخطورته، - بظهور من يدعو المسلمين إلى مقابلة الكراهية بالكراهية، والعداء بالعداء، مع ما في ذلك من مخالفة لتعاليم الإسلام التي تدعو إلى التسامح والعفو ومقابلة السيئة بالحسنة، والإساءة بالصفح حتى يتحول العدو إلى صديق بعدما تتبين له حقيقة الروح الإسلامية التي تدعو إلى التعاون بين البشر جميعا.

والواجب على المسلمين جميعا أن يتنبهوا إلى خطورة هذه الحملات المعادية للإسلام في الغرب والتي تظهر في صور متعددة في مؤلفات ودراسات ومؤتمرات، وفي مقالات الصحف ومحاضرات أساتذة

وشخصيات عديدة.

لذلك فإن الدعوة قائمة إلى الهيئات الأهلية والحكومات فى العالم الإسلامى لتجميع الجهود المبعثرة، ووضع تخطيط يضمن التنسيق بين الجهود التى تبذلها بعض الدول الإسلامية، وتوجيه الأموال التى تنفق فى الدعوة الإسلامية فى الخارج فى صندوق واحد تشرف عليه هيئة مشتركة من العلماء والمسؤولين فى الدول الإسلامية، وتقوم هذه الهيئة بحشد الكفاءات القادرة على مخاطبة العقل الغربى، والتى تجيد اللغات المختلفة، وتنظم عمل هذه الكفاءات مع الجامعات، ومراكز البحوث، والمؤسسات الدينية، ورجال الإعلام، والمنابر الثقافية والإعلامية المختلفة.

ويدعوننا الطموح إلى الكمال فى الدعوة إلى اقتراح إنشاء مرصد فى دول الغرب تتابع كل ما يقال وما ينشر عن الإسلام، وتقوم بتحليل مضمون وأفكار الرسائل الإعلامية فى الغرب، وتتولى التصحيح والرد، مستفيدة بالمناخ الديمقراطي الذى يعطى الحق لكل صاحب رأى بأن يعبر عن رأيه وأن يدعو إلى العقيدة التى يؤمن بها، وسبق أن قامت بعض المؤسسات الإسلامية - بل وبعض الأشخاص من المفكرين وأساتذة الجامعات - بإرسال رسائل إلى الصحف لتصحيح ما تنشره مما يسىء إلى الإسلام، وقامت هذه الصحف بنشر هذه الرسائل دون حرج..

وأخيراً فإن الحاجة ملحة إلى إنشاء مركز علمى كبير يتولى ترجمة كتب عن العقيدة الإسلامية فى اللغات المختلفة، وقد بدأت وزارة الأوقاف المصرية فى هذا الطريق، كما بدأت وزارة الأوقاف السعودية، ومن المفيد أن تتجمع الجهود وأن يتم توحيد الجهات القائمة فى جهة واحدة تضم الكفاءات فى البلاد الإسلامية، وما أكثر هذه الكفاءات.. ولقد لمست الحاجة إلى التوسع فى إصدار هذه الكتب عن الإسلام من خلال زياراتى المتعددة إلى الولايات المتحدة والدول الأوروبية، ولقائى مع زملاء فى المؤسسات الصحفية والدينية، ودائماً أستمع إلى شكواهم من قلة المواد التى تعينهم على فهم الإسلام على حقيقته، وليس أمامهم إلا ما يكتبه المستشرقون وأكثرهم يحمل العداء للإسلام وقليل منهم يتحلى بروح الإنصاف، ويقول عن الإسلام كلمة حق.. وهؤلاء المنصفون للإسلام يستحقون أن نتعرف عليهم، وأن نقابل جهودهم بالتقدير والتكريم، ونشر أفكارهم فى العالم. الإسلامى وغيره، لكى تكون موجة الإنصاف قادرة على مواجهة موجة العداء الظالمة.

والله غالب على أمره.

الاستمرار، لمخاطبة الجهات والشخصيات المؤثرة فى رأى العام فى الغرب، بدلاً مما تسير عليه هذه المؤسسات من إرسال عدد محدود من المفكرين إلى بعض البلاد الغربية لبضعة أيام ليلتقوا بعدد من المفكرين ويشاركوا فى حوارات لا يمكن انكار فائدها على أية حال، ولكنها فى هذه الحدود لا تملك عصا موسى بحيث تتمكن فى تكوين رأى عام متفهم لحقائق الإسلام، مع تغفل العداء، وتعمق فكرة صراع الحضارات، والدعوات التى تتكرر مطالبة بتغيير بعض المبادئ فى الإسلام وإحلال منظومة من القيم والمبادئ الغربية محلها، والقول - كما ادعى صمويل هانجتون صاحب نظرية صراع الحضارات - بأن تغيير الإسلام وفقاً للمواصفات الغربية - باسم الاندماج فى العولمة - هو الضمان لتحديث المجتمعات الإسلامية واندماجها فى الحضارة الغربية وينتهى بذلك الصراع بين الحضارتين.

ولقد أعلن المفكرون - والمسؤولون - فى العالم الإسلامى جميعاً - رفضهم لنظرية صراع الحضارات، وكرروا - ومازالوا يكررون فى كل مناسبة - أن الإسلام يدعو إلى حوار الحضارات والشعوب وليس فيه أية إشارة إلى الصراع مع الحضارات والديانات والعقائد الأخرى. ولكن هذه الحقيقة لم تصل إلى الغرب بالوضوح الكافى كما ينبغى، ولا يمكن أن يقوم بهذه المهمة داعية واحد أو عشرة من الدعاة، لما تستلزمه من التعامل مع دول ومؤسسات ومنظمات

العولمة والعالم الإسلامى (١)

تعريف العولمة ومكوناتها ومجالاتها

التحولات العالمية المعاصرة، ومن أهم خصائص هذه العلاقات التى لا بد وأن تنعكس على جهود التنظير.

ولهذا تتعدد مستويات اقتراب علماء العلاقات الدولية من العولمة: هل هى منظور جديد للعلم؟ أم حالة جديدة للعالم؟ أم عملية (مثل الاعتماد المتبادل، أو الحرب الباردة، أو التبعية، ...) أم مجال جديد أم ... الخ.

وانطلاقاً من رؤيتى الكلية الشاملة عن العولمة (من رؤية إسلامية) - أرفض الثنائيات وأسعى إلى تجاوزها، على أكبر من مستوى - تحقيقاً لفهم أفضل لهذه الظاهرة المعقدة المركبة، وتطبيقاً - أو اتفاقاً معه - خصائص رؤيتى للعلاقات الدولية.

فمن ناحية: العولمة هى عملية، وأيديولوجية، وسياسات، ولذا يجب التمييز بين الأبعاد الثلاثة، وعدم اعتبار إحداها بديلاً كاملاً للثانى.

العولمة مجال بحثى مهم؛ تتنازع تعريفها، طبيعتها، آثارها، مجالاتها ... إلخ. رؤى متعددة تنطلق من مدارس فكرية وسياسية، بل وأطر مرجعية مختلفة، ناهيك عن وقوع «العولمة» كموضوع أساسى - الآن - بين موضوعات جميع العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة.

ولذا كله، تتعدد التعريفات، وتتعدى الرؤى عن الآثار والتحديات سواء للعالم الإسلامى برمته أو العالم كله. وسوف أقوم بتناول عدد من الأسئلة المهمة المتعلقة بهذه القضية، ألا وهى: تعريف العولمة وما مكوناتها ومجالاتها؟ كيف تؤثر العولمة على العالم الإسلامى؟ وما موقف الفكر الإسلامى المعاصر منها؟ ما العلاقة بين العولمة والاستراتيجية الأمريكية تجاه العالم الإسلامى؟ وما تأثيرات أيديولوجية العولمة وسياساتها على العالم الإسلامى؟ وما نقاط ضعف أو قوة المسلمين فى مواجهة العولمة؟ وما آليات وكيفية مواجهة عواقب العولمة؟.

أ.د. نادية مصطفى

وأقدم إجابتي على تلك الأسئلة انطلاقاً مما يلى: تخصصى فى العلاقات الدولية، والاهتمام بالمنظورات المقارنة لعلم العلاقات الدولية، والبحث فى أبعاد رؤية إسلامية معاصرة لهذا العلم. ويؤكد أن اختلاف المنطلقات باختلاف التخصصات وباختلاف المرجعيات يترتب عليه تنوع الإجابات على الأسئلة.

أولاً: تعريف العولمة

يقترح علماء العلاقات الدولية - مقارنة بعلماء التخصصات الأخرى - اقتراباً كلياً وشاملاً من العولمة، سواء من حيث تحديد طبيعتها أو مكوناتها أو آثارها على العالم برمته، أو أجزاء منه.

كما اقترحوا منها فى نطاق تحليلهم لطبيعة المرحلة الراهنة من تطور العلاقات الدولية، منذ نهاية الحرب الباردة والقطبية الثنائية من ناحية، ومن ناحية أخرى من أهم ملامح العلاقات الدولية والتنظير لها، أو باعتبارها من أهم

لا يمكن رفض العولمة أو قبولها دون معرفة القوى التي تحركها والتوجه الذي تتخذه

هذه العملية لا تتم نتيجة مجرد التطور التراكمي في عوامل هيكلية فقط (ثورة الاتصالات والمعلومات وأثارها على الاقتصاد والسياسة والجيش والإعلام...)، ولكنها تتم أيضاً تحت قيادة وإدارة نموذج حضارى واحد (متعدد الروافد: أوروبى، يابانى، أمريكى) ومن خلال هيمنة رؤية أكبر قوى هذا النموذج أى الولايات المتحدة، وإن كان هذا يبرر وصف البعض العولمة بالأمركة، إلا أنه يحصر العولمة فى جانب واحد منها وهو الأيديولوجية، وإن كانت هذه بدورها - كما سنرى - تؤثر وتهيمن على أدوات وآليات ثورة الاتصال والتواصل (تكنولوجيا المعلومات والاتصالات)، كما تهيمن أيضاً على الجانب الثالث من العولمة (السياسات) أى على صياغة محتوى العمليات وفق توجهات ووجهة الأيديولوجية الحاكمة.

من ناحية ثالثة: العولمة هى أيضاً سياسات تهدف إلى تقنين أيديولوجية العولمة سواء من خلال قناة متعددة الأطراف، وهى الأمم المتحدة، أو من خلال إرادة منفردة مثل إرادة الإتحاد الأوروبى أو الولايات المتحدة، ويظهر ذلك فى المجالات أو المكونات المتعددة للعولمة - كتجليات وأبعاد.

ثانياً: مكونات العولمة ومجالاتها:

مكونات العولمة أو تجليات العولمة أو مجالات العولمة (التي تدور العملية على صعيدها والتي تمثل محتوى السياسات والتي تصطبغ بصبغة الأيديولوجية) تتمثل فى أربع منظومات وهى:

* المكون السياسى موضع التفاعلات العالمية:

وهى عملية تاريخية مستمرة تتطور فى أشكالها تحت تأثير عدة قوى بيئية عالمية، هذه القوى ذات جذور ممتدة من حيث نمط وكيفية الربط بين أرجاء العالم، ولكن تكثفت وتعمقت درجتها وطبيعتها تأثيرها منذ أكثر من -سنتين نظراً للثورة التكنولوجية الهائلة التى حققت، طفرة نوعية فى مجال الاتصال والتواصل على نحو أثر بدورها على طبيعة القوة ومكوناتها ومجالات ممارستها. وكل هذا تزامن مع بداية تصفية الحرب الباردة والصراع الأيديولوجى ثم نهايتهما وظهور النموذج الغربى كأنه بلا منافس.

إن العولمة كعملية اتصالية يشعر بها أو يعرف عنها أو يمارسها أو يشاهدها معظم البشر (ولو بدرجات مختلفة) هى عملية لا يمكن إنكار وجودها أو التصل من الارتباط بها، كما لا يمكن رفضها أو قبولها بصورة مطلقة، أى بدون معرفة القوى التى تحركها والوجهة والتوجه اللتان تتخذهما ذلك لأن العولمة أيديولوجية تحكمها، وأخرى تضادها.

ومن ناحية ثانية: فإن العولمة أيديولوجية أيضاً. فالعملية الجارية على صعيد العالم، والتى تزيد من تشبيكه وترابطه وتداخل أرجائه، على نحو غير مسبوق من قبل، لا يقارن بالاعتماد المتبادل أو التبعية، هذه العملية التى أدت إلى اختراق الخارجى للداخلى وطفغيانه عليه على نحو فجر مقولات عالم بلا دول، دول بلا سيادة، الاقتصاد العالمى، الثقافة العالمية،...

يقترب علماء العلاقات الدولية اقترباً شاملاً من العولمة من حيث تحديد طبيعتها أو مكوناتها أو آثارها على العالم جزئياً أو كلياً

التحول الديمقراطي ونشر الديمقراطية وحقوق الإنسان (منظومة القيم السياسية) * المكون الاقتصادي موضع التفاعلات العالمية:

تحرير التجارة العالمية وحركة رؤوس الأموال (منظومة القيم الاقتصادية) * المكون الأمنى العسكرى:

منع انتشار أسلحة الدمار الشامل ومكافحة الإرهاب (منظومة القيم الأمنية). * المكون الثقافى والاجتماعى:

نشر (فرض) القيم الثقافية والمجتمعية الغربية باعتبارها القيم العالمية والإنسانية. هذه المنظومات الأربع ليست منفصلة، ولكنها مترابطة، ولكن على نحو يبرز فى عصر العولمة أمرين أساسيين، وهما:

الأمر الأول: بروز أو تجدد بروز وصعود الأبعاد الثقافية والحضارية بل والدينية فى مجال دراسة العلاقات الدولية بصفة عامة وفى ارتباطاتها بالعولمة بصفة خاصة.

وترجع أسباب هذا البروز والصعود، وترتبط بحالة علم العلاقات الدولية، والعلوم الاجتماعية بصفة عامة وهى الحالة التى تشهد، منذ منتصف الثمانينيات وبدرجة أكبر منذ نهاية الحرب الباردة ثم أحداث الحادى عشر من سبتمبر، تشهد مراجعات معرفية ونظرية ومنهجية للوضعيات والعلمانية وأثارها على الدراسات الاجتماعية والإنسانية وأفضت هذه المراجعة إلى الدعوة لتجديد الاهتمام بالدين والثقافة والحضارة فى دراسة العلاقات الدولية من ناحية وتجديد الاهتمام بالقيم والفلسفة والتاريخ من ناحية أخرى.

ولهذا فإن أدبيات العولمة لاتخلو من بند الثقافة، وكذلك أدبيات نظرية العلاقات الدولية خلال العقدين الماضيين. لاتخلو من

إشارة إلى الثقافة والدين، على نحو يدفع للتساؤل: أليس من أسباب أخرى، غير مراجعة حالة العلم، تبرر هذا الصعود؟ ألا يوجد مكان لدواعى الحركة وأهدافها فى مرحلة إنفراد النموذج الحضارى الغربى على قمة العالم، وخاصة وأن علم العلاقات الدولية - هو كما يقول تيار كبير من علمائه الإنجليز والفرنسيين بل والأمريكيين، هو علم أمريكى بالأساس؟

الأمر الثانى: هو الجدل بين الدينى والثقافى والحضارى، وبين السياسى والاقتصادى والأمنى. فبالرغم من احتفاء الأدبيات بالثقافى فهى تستدعى تأثيره وتأثره بالمكونات الأخرى، إما باعتباره عاملاً ومتغيراً مستقلاً ينطلق منه وبه التفسير (مثل المدرسة النقدية البنائية الجديدة فى علم العلاقات الدولية، التى تفسح مكاناً مهماً وأساسياً للأفكار والقيم ودورها فى فهم وتفسير العلاقات الدولية) أو باعتباره عاملاً من بين عوامل أخرى مؤثرة وإن لم يكن له الأولوية مقارنة بعوامل اقتصادية (كما فى حالة الماركسية) أو العوامل السياسية والعسكرية (كما فى حالة الواقعية).

بعبارة أخرى، إذا كان الجميع استدعوا من جديد «البعد الدينى الثقافى الحضارى» بمناسبة استدعاء العولمة أو حالة العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة، فلقد تم ذلك بدرجات مختلفة باختلاف المنظورات والمدارس. فإذا كان

بروز المكون الدينى الثقافى الحضارى فى أدبيات العولمة ذو دلالة واضحة على أثره فى تحقيق أهداف وأيدولوجية العولمة

تحقيق أهداف وأيدولوجية العولمة، وفق سياساتها. فأنا أرى على ضوء مراجعات الرؤى المتنوعة حول آثار العولمة (هل هى سلام واستقرار العالم أم تفجير صراعات جديدة وعدم استقراره؟ هل تناسق القيم كأساس للاستقرار العالمى أم التمييط من أجل الهيمنة أم التنوع فى ظل نظام عالمى جديد؟ .. الخ) وعلى ضوء المقارنة بينها، فأنا أرى أن المكون الدينى الثقافى الحضارى يلعب دوراً أساسياً، ولكن من خلال جند له مع المكونات الأخرى. وهنا لاتقدم مراجعات حالة العلم فقط الأدلة، ولكن تقدم أيضاً الحركة والسياسات أدلتها، مع ملاحظة أن هذه الآلة تتمحور فى محاولة للإجابة على سؤالين محددين: من ناحية، أيهما يؤثر على أو يوظف لخدمة الآخر الثقافى (بمعناه الواسع الذى يضم القيمى والدينى) أو السياسى (بمعناه الواسع الذى يضم الاقتصادى، والعسكرى، ...؟)

ومن ناحية أخرى: هل التأثير صراعى وعسكرى أم تأثير تعاونى وسلمى؟ وأرى أن هذين السؤالين فى حاجة لإعادة صياغة على النحو التالى: كيف يؤثر العاملان على بعضهما البعض وكيف يتم توظيف كل منهما لخدمة الآخر؟ ومتى يكون لكل منهما مقارنة بالآخر - تأثيراً أكثر صراعية أو تعاونية؟

ومن هنا أنتقل إلى نمط طرح الأسئلة، ونمط إعطاء الأولوية لعامل على حساب الآخر، يحتاج لمزيد من التوضيح. وهو الأمر الذى سيتحقق بالانتقال إلى السؤال الثالث حول موقف الفكر الإسلامى من العولمة ثم الرابع حول العولمة والاستراتيجية الأمريكية تجاه العالم الإسلامى.

هانتجتون قد دشّن هذا المسار المغاير لعادة العلم الغربى (الحدائى العلمانى) باستدعائه الحضارات (والدين فى قلبها) مستوى للتحليل وللصراع بينها كمحرك للصراع العالمى بعد نهاية الحرب الباردة، فلقد استدعى ذلك فى نطاق المنظور الواقعى، ولكن لم توافقه الروافد الأخرى لهذا المنظور فى اعتبار العامل الحضارى العامل المحرك والمفسر أو المستقل ... كذلك إذا كان القوميون والإسلاميون قد استدعوا مسائل الهوية والثقافة والدين، فإن روافد التيار اليسارى العلمانى قد حذرت من مخاطر هذا الاستدعاء - وخاصة الدين - على أساس أنه يصرفنا عن جوهر قضايا التنمية والاستقلال المتصلة بالتغير السياسى والاقتصادى من أجل التحديث، وعلى أساس أنه مكيّدة يريدنا لنا الغرب الآن وهو إلهاؤنا بهذه الأمور عن أمور أكثر خطورة فى استراتيجيته تجاهنا.. وهكذا ... تدور الحلقة المفرغة من الجدالات نظراً للاختلاف حول معنى الثقافى وحول وضعه على خريطة المنظومة المعرفية والفكرية والسياسية.

بعبارة موجزة، فإن تحديد فعالية كل مكون فى تحقيق العولمة، يرتفع بالمنظور عن طبيعة العولمة وآثارها.

ومن منظورى أرى أن بروز المكون الدينى - الثقافى - الحضارى فى أدبيات العولمة - ولو بدرجات مختلفة كما سبق التوضيح - ذو دلالة كبيرة على أثر هذا المكون ومنظومته فى

القدس الشريف: رمز الصراع وبوابة الانتصار

أ.د. محمد عمارة

ويعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية - (في القرن الرابع الميلادي) - كانت قدسية هذه المدينة - «إيليا» - وقفنا على النصارى، الذين اضطهدوا اليهود، وجعلوا أماكن «هيكلم» - بعد هدمه - مجمعا للقمامة والقاذورات، تجلب إليه من داخل المدينة وخارجها... حتى لقد طلبوا من عمر بن الخطاب، عند تسلمه للمدينة، بعد فتحها، أن يضمن لهم «ألا يسكنهم فيها أحد من اليهود»!

ذلك هو تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام..

لكن فتح الإسلام والمسلمين لهذه المدينة - «يوروسالم» - كان بداية عصر جديد.. فالإسلام والمسلمون هم الذين أعطوا لهذه المدينة القداسة والقدسية حتى في اسمها الجديد، فسميت بـ«بيت المقدس».. و«القدس» منذ ذلك التاريخ.. ولأول مرة في تاريخها الديني، تصبح قداستها عامة لجميع أمم الرسالات السماوية - اليهودية.. والنصرانية - والإسلام - وليست حكرا لأبناء

في الألف الرابعة قبل الميلاد، بنى الكنعانيون - أهل فلسطين - مدينة «يوروسالم» أو «يوروشالم».. ومن اسمها هذا جاءت تسميتها الغربية Jerusalem في اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها.. ومن هذا الاسم، أيضا جاءت تسميتها في «العهد القديم» بـ«أورشليم».

ولقد بدأ تاريخ العبرانيين الاتصال بهذه المدينة الكنعانية، عندما استولى عليها داود عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، أي بعد نحو ثلاثة آلاف عام من تأسيسها على يد الكنعانيين... ولم تدم هذه السيطرة العبرية على هذه المدينة لأكثر من أربعة قرون - (٤١٥ عاما) -... أي إلى التاريخ الذي هدمها فيها البابليون، الذين أزالوا «مملكة يهوذا» من الوجود سنة ٥٨٦ ق.م، وبدأوا حقبة «السبي البابلي» للعبرانيين.

وحتى بعد سماح الفرس لبعض العبرانيين بالعودة إلى أرض كنعان، كانت عودة الذين عادوا منهم إليها، عودة استيطان بلا دولة، وبلا سيادة على مدينة «أورشليم».

لكن هذا «الوجود اليهودي» قد عاد وأثار حفيظة الدولة الرومانية، فدمروا هذه المدينة مرتين، الأولى على يد الامبراطور «تيطوس» Titus (٣٩ - ٨١م) في سنة ٧٠م.. والثانية على يد الامبراطور «حدريانوس» سنة ١٣٥م، وذلك عندما محوها محوا تاما، بل وغير اسمها إلى «إيليا كابيتولينا» - أي إيليا العظمى - وهو الاسم الذي ظل علما عليها حتى الفتح الإسلامي لها (١٥هـ - ٦٣٦م) في خلافة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ق.هـ - ٢٣هـ - ٥٨٤ - ٦٤٤م)...

وفي السنوات الأربعمئة التي سيطر فيها العبرانيون على هذه المدينة، احتكروا قداستها لمقدساتهم وحدهم، دون غيرهم من الشعوب التي كانت تقطن أرض كنعان في ذلك التاريخ، وهي الشعوب التي بنت هذه المدينة قبل ثلاثة آلاف عام من دخول داود عليه السلام، إلبيها.. وظلوا يمارسون هذا الاحتكار، بل والاضطهاد مع النصرانية والنصارى، منذ بعثة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.



دين دون غيرهم من أبناء الديانات الأخرى.

فأماكن المقدسات اليهودية المهذومة منذ قرون، والتي جعلها النصارى - فى العصر الرومانى - «مجمعا للقمامة والقاذورات» ذهب إليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن تسلم المدينة، وعقد مع أهلها «العهد العمرى» الشهير، «فوجد على الصخرة زبلا كثيرا، مما طرحه الروم غيظا لبنى إسرائيل، فبسط رداءه، وجعل يكتس ذلك الزبل، وجعل المسلمين يكتسون معه الزبل»، وتتبع المسلمون أماكن عبادة الأنبياء السابقين واحدا واحدا، ابتداء من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم فى فلسطين وبيت المقدس، فأقاموا فيها المساجد، وحافظوا على قدسيته، وطهروها تطهيرا - (د. إسحاق موسى الحسينى «مكانة بيت المقدس فى الإسلام» كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية - ص ٥٧، ٥٨ سنة ١٩٦٨م) -.

لقد أحل المسلمون هذه المدينة مكانا فريدا تميزت به عن كل المدن التى فتحوها، وذلك عندما لم يتسلمها القائد الفاتح - وهو «أمين الأمة» أبو عبيدة بن الجراح (٤٠ق. هـ - ١٨هـ - ٥٨٤م) - وكان تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب الذى ركب من «المدينة المنورة» إليها، ليتسلم أمانتها، وليعقد بنفسه «العهد العمرى» مع بطريركها «صفرونيوس» (١٧هـ - ٦٢٨م) .. ولتكون

لها بهذه الخصوصية، مكانة «أمانة الفاروق عمر» لدى أمة الإسلام!.. وهو شرف لم تحظ به مدينة من المدن التى فتحها المسلمون، عبر تاريخ الفتوحات.

وبتغير اسم هذه المدينة إلى «القدس» و«بيت المقدس» رفع المسلمون عليها رايات القدسية والتقدیس.. وبتحرج عمر بن الخطاب - عندما كان يجلس مع «صفرونيوس» فى كنيسة القيامة - من أن يصلى فى الكنيسة، رغم دعوة البطريرك، كى لا تكون لمسلم شبهة حق فى أرض الكنيسة يقيم فيها مسجدا.. بهذا الموقف العمرى أضفى عمر بن الخطاب تقدیس الإسلام لمقدسات النصارى.. ولم يكن عمر فى ذلك «مبتدعا»، بل ولا حتى «مجتهدا» لأنه هو المؤمن

بالمعقيدة الإسلامية، التي لا تكتمل أركانها إلا بالإيمان بسائر الرسل وجميع الرسالات وكل الكتب التي سبقت رسالة محمد ﷺ على درب علاقة السماء بالإنسان ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ الذين يؤمنون بالغيب ويطيعون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون* والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ البقرة: الآيات ٢ - ٥. ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ البقرة: آية ٢٨٥. وهو - عمر - الذي يتعبد بالقرآن الكريم، الذي عرض لمقدسات أمم الرسالات السماوية جميعا، فبدأ بالصوامع، وانتهى بالمساجد ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾ الحج: آية ٤٠.

بهذا الموقف العمرى، بدأت الحقبة الإسلامية فى تاريخ المدينة، فغدت قداستها عامة لعامة أبناء رسالات السماء.. فكنيسة القيامة قدس خاص بالنصارى.. ومواطن المقدسات اليهودية، أعاد إليها عمر والمسلمون الطهارة عندما رفعوا عنها القمامة والقاذورات.. وارتفعت فى المدينة عمائر المساجد الإسلامية.

صنع المسلمون ذلك، لأنهم أمة الرسالة الخاتمة، التى ورثت كل

موارث الأنبياء والمرسلين، فكانت رسالة رسولهم اللبنة التى تمت بناء دين الله الواحد، وحملت أمانة الحفاظ على سائر لبنات هذا البناء، فأمة الشريعة التى أكملت الدين الإلهى الواحد، هى الحاملة لأمانة الحفاظ على مقدسات سائر شرائع هذا الدين، لأنها وحدها التى تعترف بشرعية سائر شرائع هذه الأديان.

والمسلمون صنعوا ذلك مع «القدس» تحديدا، لأن قرآنهم الكريم قد جعل الرباط بين «القدس» وبين «الحرم المكى» - الذى هو قبلة الأمة الخاتمة - آية من آيات الله، وليس مجرد رباط سياسى أو إدارى، يقيمه فاتحون وينقضه غزاة.. ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾ الإسراء: آية ١. فكان الإسراء - إسرائ الله بعبده ورسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وعروجه من الصخرة إلى سدرة المنتهى، الإعلان الإلهى عن ختم هذه الرحلة القدسية لخطوات الأنبياء والرسل على طريق الله، وعن حمل أمة الرسالة الخاتمة أمانة الجهاد فى سبيل الحفاظ على مقدسات كل الرسالات، تلك التى تجسدها مدينة القدس قبل غيرها، وأكثر من غيرها من المدن والبقاع..

ولقد شهد التاريخ الإسلامى للقدس، بأحرف من نور، على وفاء الأمة الإسلامية بهذه الأمانة التى أرادها الله، والتى رمزت إليها رحلة الإسراء، والتى سلمها إياها عمر بن الخطاب.. فغدت القدس، منذ ذلك التاريخ مشاعة القداسة، مفتوحة الأبواب لكل أبناء رسالات السماء.. ازدهرت فيها إلى جانب المساجد الإسلامية، كنائس النصارى.. وأخذ اليهود يعودون إلى سكنائها، بعد أن حرموا من ذلك فى العهد الرومانى، الوثنى والنصرانى على حد سواء.. بل لقد تولت الأسر المسلمة المقدسية «نظارة الأوقاف» التى أوقفها النصارى على كنائسهم، اختارهم النصارى لذلك، فرعوا هذه المقدسات النصرانية على امتداد التاريخ الإسلامى.

وشاء الله أن تظل هذه «الأمانة» من خصائص الأمة الإسلامية، والدول الإسلامية دائما وأبدا..

● فعندما جمع البابا الذهبى «إربان الثانى» (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) فرسان الاقطاع الأوربيين - الذين كانوا يتباحرون على

واستعادة الأرض السليبية، لا سبيل إليها إلا بوحدة مصر مع المشرق العربي، لتطويق الكيانات الصليبية المغروسة قسرا في قلب وطن الأمة.. ولذلك، كان التذكير بالقدس مصاحبا لكل خطوة تتحقق على طريق هذا التوحيد..

فعندما تدخل جيوش السلطان نور الدين الشهيد (٥١١ - ٥٦٩ هـ - ١١١٨ - ١١٧٤ م) إلى مصر، بقيادة أسد الدين شيركوه - ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي - فتبدأ بذلك خطوات وحدة مصر بالمشرق العربي، نجد «العماد الكاتب» - وهو يهتئ أسد الدين شيركوه، مذكرا إياه بالمقصد الأسمى: القدس والمسجد الأقصى.. فيقول لأسد الدين:

فتحت مصر، وأرجو أن تصير بها

ميسرا فتح بيت القدس عن كذب
فإذا توجه بالتهنئة إلى السلطان نور الدين، رأيناه يحدثه عن أن شروط تحرير القدس قد بدأت تجتمع - بوحدة مصر مع المشرق - فيقول:

أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم

واحطم جموعهم بالذابل الحطم
فملك مصر وملك الشام قد نظما

في عقد عز من الإسلام منتظم
فانتظام وحدة مصر والشام في
«عقد الإسلام» هو شرط التحرير
للقدس الأسيرة والأقصى السليب..

ونفس «الفكر الاستراتيجي»، يعبر عنه «الشعر»!، عندما يعلن الشاعر ابن عساكر على بن الحسن هبة الله، أن لا عذر عن تأخير المعركة الفاصلة، طالما تحققت وحدة مصر والشام في «عقد الإسلام»، فيوجه الحديث إلى

الإمارات والجبايات - ليوجه طاقاتهم القتالية ضد العالم الإسلامي، وفي سبيل احتلال القدس - وبعد أن ضمن تمويل الحملات الصليبية من قبل المدن التجارية الإيطالية، مقابل استيلائها على طرق التجارة العالمية، المارة بالوطن العربي!.. - وخاطب البابا هؤلاء الفرسان - في «كلير مونت» بجنوبي فرنسا سنة ١٠٩٥ م - فقال لهم: «أنتم فرسان أقوياء، ولكنكم تتناطحون وتتأبذون فيما بينكم.. ولكن، تعالوا وحاربوا الكفار - (المسلمين!).. يامن تتأبذتم اتحدوا.. يامن كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا.. تقدموا إلى بيت المقدس.. انتزعوا تلك الأرض الطاهرة، واحفظوها لأنفسكم، فهي تدر سمنا وعسلا..! إنكم إذا انتصرتهم على عدوكم ورثتم ممالك المشرق..!».

فلما حدث واجتاح هؤلاء «اللصوص الذين صاروا جنودا!»، المدينة المقدسة سنة ١٠٩٩ م.. ماذا صنعوا بها!.. لقد صنعوا ما وصفه المؤرخ المسيحي «مكسيموس موفرون» في كتابه (حرب الصليب) فقال - بلغته وعبارته -: «انعقد ديوان المشورة العسكرية الصليبي.. فقرر أن يمات» (يقتل) - كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة!.. واستمرت المجزرة أسبوعا كاملا.. ومن هرب في البيوت والأقبية، قبضوا عليه وقذفوا به من أعالي البيوت والأبراج في النار!.. أما الذين احتموا بجامع عمر بن الخطاب - الذي سبق وتخرج من مجرد الصلاة في كنيسة القيامة! - فلقد غدت دماؤهم سيلا «علا إلى حد الركب، بل إلى حد لجم الخيل» - كما يقول «مكسيموس»..! وفي الرسالة التي بعثوا بها إلى البابا، يبشرونه بما صنعوا، قالوا، مفاخرين: «إذا أردت أن تعرف ما يجري لأعدائنا، فتق أنه في معبد سليمان (جامع عمر) كانت خيولنا تغوص إلى ركايبها في بحر دماء الشرقيين»!..

لقد أبادوا المسلمين، وكذلك اليهود.. وحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية - وانفردوا بالمدينة المقدسة بعد أن عمم المسلمون قداسها بين أبناء كل الديانات!..

لكن ذاكرة الأمة لم تنس، للحظة واحدة، هذه المدينة المقدسة. بل لقد اتخذت منها ثقافة الأمة - والتي كان الشعر لسانها المعبر وإعلامها المفصح - الرمز لذلك الصراع الذي دام مع الغزوة الصليبية على امتداد قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١ م) ..

وكانت الأمة تدرك أن فك أسر القدس، وتحرير الأقصى،

فى ذكرى الإسراء والمعراج - ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ - ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م - ليعيدها إلى «عقد الإسلام» الذى انتظمت فيه منذ أن أسرى الله برسوله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك فيه وحوله - أرض فلسطين -.

وبعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس، لم يبق - كما قال الشاعر - «باب من الشام مغلق» فتحررت الكثير من المدن والقلاع والحصون التى سبق واستولى عليها الصليبيون.

وبهذا التحرير، عادت القدس، كما كانت قبل الغزوة الصليبية: المدينة المقدسة، والمشاعة قدسيته - تحت السلطة الإسلامية - لسائر أبناء كل أمم رسالات السماء..

لكن القوى الغربية، التى حركت ونظمت ومولت وقادت الغزوة الصليبية.. قد عادت فى مرحلة لاحقة، وفى طور جديد، لتحقيق ذات المقاصد: «انتزاع الأرض التى تدر سمنا وعسلا».. فبدأت بعد سقوط غرناطة (٨٩٧هـ - ١٤٩٢م)، مرحلة تطويق العالم الإسلامى، عبر اكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح (٩٠٣هـ - ١٤٩٧م) ومحاربة الجيش المصرى على سواحل الهند (٩١٠هـ - ١٥٠٤م) لتسلم إلى مرحلة ضرب قلب هذا العالم الإسلامى التى بدأت بحملة بونابرت على مصر (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م).. ولتؤسس منذ ذلك التاريخ «الشراكة» بين المشروع الغربى وبين المشروع الصهيونى.. فمن نداء نابليون ليهود العالم كى يتعاونوا معه لإقامة امبراطوريته الشرقية لقاء أن يعيد إليهم «ملك بنى إسرائيل».. إلى وعد بلفور (١٣٣٦هـ - ١٩١٧م) إلى إقامة إسرائيل (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م) إلى اغتصاب كامل القدس (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).. والذى بدأت به مرحلة تهويد المدينة المقدسة، واحتكارها دون الذين حملوا أمانة قداستها، وعمموها لكل أبناء الديانات لأكثر من أربعة عشر قرناً.

وإذا كانت ذاكرة الأمة - بواسطة ثقافتها - قد ظلت واعية بمكانة القدس فى هذا الصراع التاريخى، المتعدد المراحل والحلقات.. مكانة «الرمز» والمقصد.. والمفتاح» حتى جاء فحررها صلاح الدين الأيوبي.. فإن مهمة ثقافتنا - الوطنية والقومية، والإسلامية المعاصرة - هى إبقاء ذاكرة الأمة على وعيها الكامل بمكانة هذا القدس الشريف، وذلك حتى يطلع الفجر الجديد بالناصر: صلاح الدين الجديد!

السلطان نور الدين، قائلاً:

ولست تعذر فى ترك الجهاد وقد

أصبحت تملك من مصر إلى حلب

وصاحب الموصل الفيحاء ممتلئ

لما تريد.. فبادر فجأة النوب!

وعندما يستكمل صلاح الدين

الأيوبي (٥٣٢ - ٥٨٩هـ - ١١٣٧ -

١١٩٣م) مقومات معركة التحرير،

ويحرز انتصاره على الصليبيين فى

«غزة» نجد الشاعر - العماد الكاتب -

يحدثه عن أن فتح القدس هو الباب

لتحرير سائر البقاع التى احتلها

الصليبيون.. فهى الرمز للصراع كله،

وهى البوابة لتعميم الانتصارات!.. يعبر

العماد الكاتب عن هذه الاستراتيجية

الإسلامية، شعراً، يتوجه به إلى صلاح

الدين الأيوبي، فيقول:

غزوا عقر دار المشركين «بغزة»

جهاراً، وطرف الشرك خزيان من مطرق

وهيَّجت للبيت المقدس لوعة

يطول بها منه إليك المتشوق

هو البيت، إن تفتحه، والله فاعل

فما بعده باب من الشام مغلق!

هكذا كانت «القدس»: الرمز..

والمقصد.. والمفتاح!.. ولا تزال!..

وعبر «حطين» التى كانت - بلغتنا

- «المعركة المصيرية» المقررة «لوجود

المنتصر» و«عدم المهزوم» - والتى

تحدث عنها الأمير الفارس المؤرخ -

الذى عاصرها - ابن شداد (٦١٣ -

٦٨٤هـ - ١٢١٧ - ١٢٨٥م) فقال: «لقد

علمت كل طائفة أن المكسورة منها

مدحورة الجنس معدومة النفس»!..

عبر «حطين» وصلت جيوش صلاح

الدين إلى أسوار القدس.. فحررها

القدس مدينة السلام

أ.د. أحمد عمر هاشم

ومعنى هذا الحديث: أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلا لهذه المساجد الثلاثة، لأنه لا يسافر أصلاً إلا لها. وقد بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة، كما جاء فى الحديث الصحيح: عن أبى ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركت الصلاة وفصل فهو مسجد».

وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة فى الإسلام، فهو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين.

روى الطبرى فى تاريخه، عن قتادة قال: كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً.

ومما يدل على فضل بيت المقدس ومكانته، أنه أرض المحشر والمنشر. وعن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله افتتأ فى بيت المقدس؟ قال: «أرض المحشر والمنشر افتتأه فصلوا فيه، فإن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فى غيره».

وعن ابن عباس - رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس».

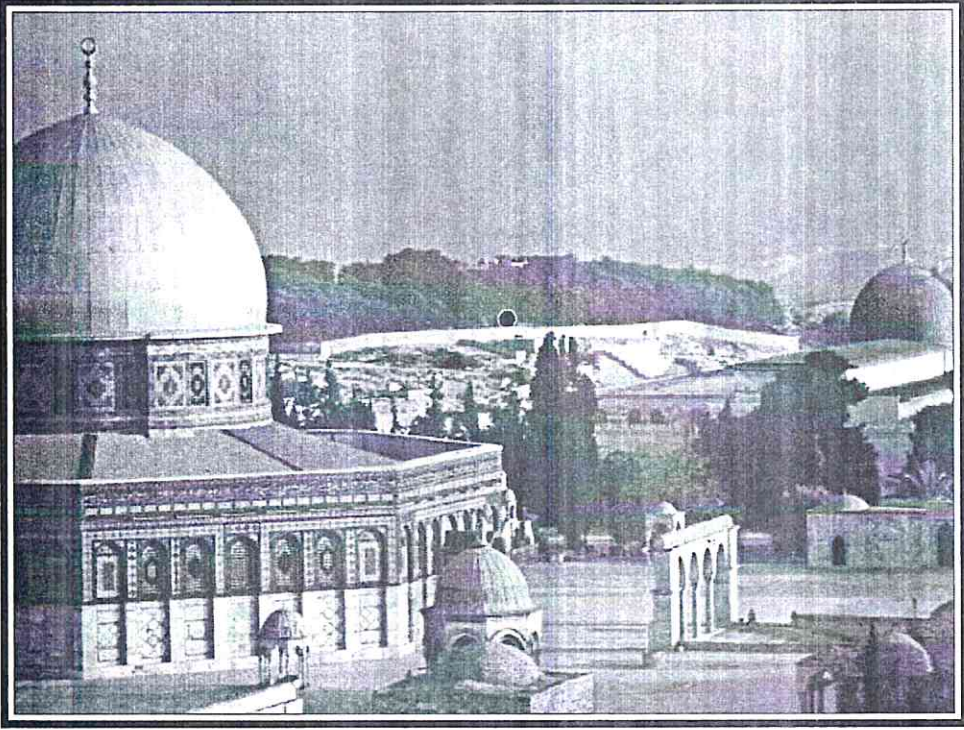
وفى مدينة القدس عدد كبير من الصحابة والتابعين، منهم الصحابى الجليل عبادة بن الصامت وشداد بن أوس. فهو مهد النبوات والشرائع، والرسول الذين وجدوا هناك فى هذا العصر، ولقد كان المسجد الأقصى قبلة لهم، وهذا كله يمثل البركة الدينية التى احاطت به. وأما البركة الدنيوية: فكثرة الأشجار

لقد سجل القرآن الكريم، مكانة القدس، حين وضع أن الله سبحانه وتعالى أسرى بعبده وحبيبه سيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، حيث قال جل شأنه: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير» الإسراء: آية ١.

وسمى بالمسجد الأقصى، لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة. والمراد بالبركة المذكورة فى الآية الكريمة، فى قوله تعالى: «الذى باركنا حوله» هى البركة الحسية والمعنوية، فأما الحسية فهى ما انعم الله تعالى به على تلك البقاع من الثمار، والزروع والأنهار، وأما المعنوية فهى ما اشتملت عليه من جوائز روحية ودينية، حيث كانت مهبط الصالحين، والأنبياء والمرسلين، ومسرى خاتم النبيين وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين.

والمسجد الأقصى: هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال، عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى».

المرسلين ﷺ



إمامة الرسول ﷺ للأنبياء إعلان لعالمية الإسلام وأنه التشريع الخاتم والرسول الذي ختم به الله المرسلين

واجاب عن هذا الاشكال أبو جعفر الطماوى فى شرح معانى الآثار: بأن الوضع غير البناء، والسؤال فى الحديث السابق عن مدة مابين وضعهما لا عن مدة ما بين بنائهما، فيحتمل أن يكون واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داوود وسليمان، ثم بنياه بعد ذلك. وللمسجد الأقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين، فهو مقر للعبادة، ومهبط للوحى ومنتهى رحلة الإسراء، وبداية رحلة المعراج.

وقد مر الرسول ﷺ فى رحلته إلى المسجد الأقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى ﷺ، وهى طور سيناء فصلى بها ركعتين.

ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى ﷺ، وهى: «بيت لحم» فصلى بها ركعتين ثم وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى جمع من

والأنهار وطيب الأرض، وهذا ما يراد بقوله تعالى: ﴿الذى باركنا حوله﴾.

وروى أن الذى أسس المسجد الأقصى هو يعقوب ابن إسحق - صلى الله عليه وسلم - بعد بناء إبراهيم الكعبة، وقد قام سليمان عليه السلام بتجديده، وقد أشكل ذلك، لأن باني البيت الحرام ابراهيم عليه السلام وباني المسجد الأقصى داوود وابنه سليمان بعده، وبينهما مدة طويلة تزيد على الأربعين عاما التى ذكرت فى الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى ذر رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض؟ فقال المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاما ثم الأرض لك مسجد، فحيثما أدركت الصلاة فصل فيه فان الفضل فيه».

فرض الجهاد للدفاع عن الأوطان ليس مقصورا على ساكني هذه الأوطان وانما على سائر المسلمين في كل الأرض

الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعاً، ثم عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى.

ولما عاد رسول الله ﷺ من هذه الرحلة المباركة، وأخبر قومه، كان منهم من صدق، ومنهم من كذب.

وذهب بعضهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأخبروه، فما كان جوابه إلا أن قال لهم. والله لئن كان قوله لقد صدق، قالوا:

تصدقه على ذلك؟ قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء،

وقد تمادى القوم في لجاجهم وحوارهم، يسألون الرسول ﷺ في تعنت عن بيت

المقدس، ومنهم من كان قد رآه، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون الرسول ﷺ في

حرج. ولكنه هو المؤيد من قبل ربه - وقد وصف لهم بيت المقدس وصفا كاملاً في

غاية الدقة، وأخبرهم عن آياته، يقول الرسول ﷺ: «فجعلت أخبرهم عن آياته

فالتبس على بعض الشيء فجلى الله لى بيت المقدس ثم جعلت أنظر إليه دون دار عقيل،

وانعته لهم» فقالوا: أما النعت فقد أصاب وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كلما وصف لهم

الرسول ﷺ وصفا يقول: صدقت أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن غيرهم،

وعن أحمالها، وعن دقائق الملابس ووصفها أكمل وصف، وقال لهم تقدم يوم

كذا مع طلوع الشمس، وفيها فلان وفلان، يقدمها جمل أورق عليه غرتان محيطتان،

ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم في عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة فقد

طمس الله على ابصارهم وبصائرهم ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ النور:

آية ٤٠، وفي رحلة الإسراء والمعراج فرض الله - سبحانه وتعالى - الصلاة، وهي الصلة

القوية بين العبد وربّه وكانت القبلة آنذاك

هى صخرة بيت المقدس حيث أمر الرسول ﷺ باستقبالها وكانت بمكة

يصلى بين الركعتين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت

المقدس، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهم،

عندئذ أمره الله تعالى أن يتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك نحو

سنة عشر شهرا.

وكان يدعو ربه ويبتهل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبله إبراهيم عليه السلام،

فأجيب إلى ذلك، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام، فخطب الناس وأعلمهم

بذلك وكان أول صلاة: صلاة العصر، وفى هذا يقول الله تعالى ﴿قد نرى

تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد

الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون

أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ البقرة: آية ١٤٤.

وعن البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر

شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة

صلاها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر

على أهل المسجد وهم راكعون فقال:

أشهد بالله لقد صليت مع النبی ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذى قد مات على القبلة

أن تحول رجلا قتلوا لم ندر ما تقول فيهم فأنزل الله: ﴿وما كان الله ليرضى عن أيمنكم إن الله بالناس

لرؤوف رحيم﴾ البقرة: آية ١٤٣.

وفى هذا المشهد توضيح لمكانة الجهاد والمجاهدين، وفى هذا النموذج المحسوس لمشوبة الجهاد، تجيش فى نفوسنا عواطف الإيمان، لتدفعنا لتطهير القدس الشريف واسترداده، وتطهير كل بقعة فى الوطن الإسلامى، ونجاهد من أجل إعادة الحق إلى أصحابه الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمْ﴾ البقرة: آية ١٩١.

وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى، وصلا للحاضر بالماضى، وتقديرا لمنزلة هذه البقعة المباركة، التى عاشت عمرا كبيرا تنتشر على ظهرها الهداية، وتستقبل فى رحابها النبوات.. وظل بيت المقدس مهبط الوحي الإلهى سنين عديدة..

فلما عصى اليهود أمر ربهم، وتكروا لوحى السماء، تحولت النبوة عنهم، وانتقلت إلى ذرية إسماعيل، وتحولت بالتالى القيادة الروحية الى خاتم الأنبياء والمرسلين. فانتقل الرسول ﷺ إلى هذه البقعة المباركة تقديرا لإخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين، وإعلانا عن إكباره لهم وللدين الذى انتشر نوره وسماه فى هذه البقاع المباركة لأن الرسول ﷺ والمؤمنين، يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما قال الله سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلَانْفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ البقرة: آية ٢٨٥.

ولقد جمع الله تعالى له الرسل السابقين، فاستقبلوه، وصلى بهم إماما وطبق الله فى ليلة الإسراء والمعراج وفى رحاب المسجد الأقصى ذلك العهد والميثاق الذى أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا ويمهد بعضهم البعض، وأن يؤمنوا بمن سيرسله لهم وأن ينصره، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ آل عمران: آية ٨١.

وهكذا كانت إمامة الرسول ﷺ للأنبياء والمرسلين فى هذا المكان المقدس اعلانا لختم رسالات السماء، وأن رسالته خاتمة الرسالات، ودستورها السماوى وهو القرآن كلمة السماء الأخيرة، وأنه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومما يؤكد عاطفة المسلمين نحو القدس الشريف كواحد من أهم معالم الإسلام أنه قد أسرى الله برسوله ﷺ إليه، وأن الرسول ﷺ دخل المسجد الأقصى وصلى فيه، فعن رواية أنس بن مالك: «... ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاء جبريل عليه السلام بإناء من لبن، وإناء من لبن، فاخترت اللبن» فقال جبريل: «أخذت الفطرة» وقال الإمام النووي - رحمه الله -: المراد بالفطرة هنا: الإسلام والاستقامة.

وفى رواية ابن مسعود... ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكن وساجد، ثم أذن مؤذن، فأقيمت الصلاة، فقمنا صفوفنا ننظر من يؤمننا، فأخذ بيدى جبريل، فقد منى فصليت بهم.

وفى رواية أبى امامة - عند الطبرانى - ثم أقيمت الصلاة، فتدافعوا حتى قدموا محمدا ﷺ.

فصلى إماما بالأنبياء جميعاً فى المسجد الأقصى. ولقد اطلع الله - سبحانه وتعالى - رسوله ﷺ فى هذه الرحلة المباركة على نماذج لثواب الطائعين، وعقاب العاصين. ومن هذه النماذج ما رآه من ثواب المجاهدين فى سبيل الله: «مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال لجبريل عليه السلام: ما هذا؟

قال: هؤلاء المجاهدين فى سبيل الله تضاعف الحسنه إلى سبعمائة ضعف، وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين».

على جميع المسلمين فى كل الأرض، ومن هنا فإن كل جهاد والحكم الشرعى الذى قرره الفقه الإسلامى أن أعداء الإسلام إذا دخلوا بلدا يقيم فيه المسلمون فيجب الخروج لقتالهم ولا يجب لأحد أن يتخلى عن هذا الواجب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا».

فإذا نادى الواجب المسلمين، لتحرير أوطانهم، ورفع العدوان عنها، واسترداد الحق، فإنه يجب عليهم أن يخفوا لتلبية هذا النداء وألا يتثاقلوا، قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِثَّا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ التوبة: آية ٣٨.

وفى سبيل إقرار الحياة الآمنة المستقرة، ونشر الإسلام فى ربوع الأمة يجب علينا ألا نتفرق وألا نخلف، بل نتوحد فلا نتنازع ﴿وَلَا تَتَنَازَعُوا فَيَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ وأن نتجمع ولا نتفرق ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلاة رسول الله ﷺ بالأنبياء، لا ينافيها كون الأنبياء كانوا قد ماتوا من قبل، لأن الذى أسرى هو الله الخالق القادر على كل شىء، فهو القادر على تغيير بشرية الرسول ﷺ ليصلى بالأنبياء، وهو القادر على تغيير قانون برزخية الأنبياء السابقين ليصلى بهم .. فما أراد الله تعالى حدث، وبالكيفية التى أرادها رب العزة سبحانه وتعالى.

وفى هذا إعلان لعالمية الإسلام، وإعلان بانه التشريع الخاتم والرسول الذى ختم الله به الأنبياء والمرسلين.

وأن حادث الإسراء والمعراج ليضع فى أعناق المسلمين فى كل الأرض أمانة القدس الشريف، وعدم التفريط فى دين الله وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا فى حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها.

فعلىنا أن نوحّد جهودنا، وإلا نتفرق، لنكون بوحدتنا، قوة إسلامية لا يستهان بها، ولا تضعف فى المطالبة بحقوقها، فطريق الوحدة ومناشدة القوة، هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التى هى جزء من عقيدتنا وديننا. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

إن القدس مسرى خاتم الأنبياء، وبوابة الأرض إلى السماء، وأولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، ولكم تعرض إلى العدوان والتخريب، فلماذا؟ وهو الموطن الإسلامى، ولولا الصفة الإسلامية للقدس وفلسطين ما كانت لتعانى كل هذه المعاناة، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ..﴾

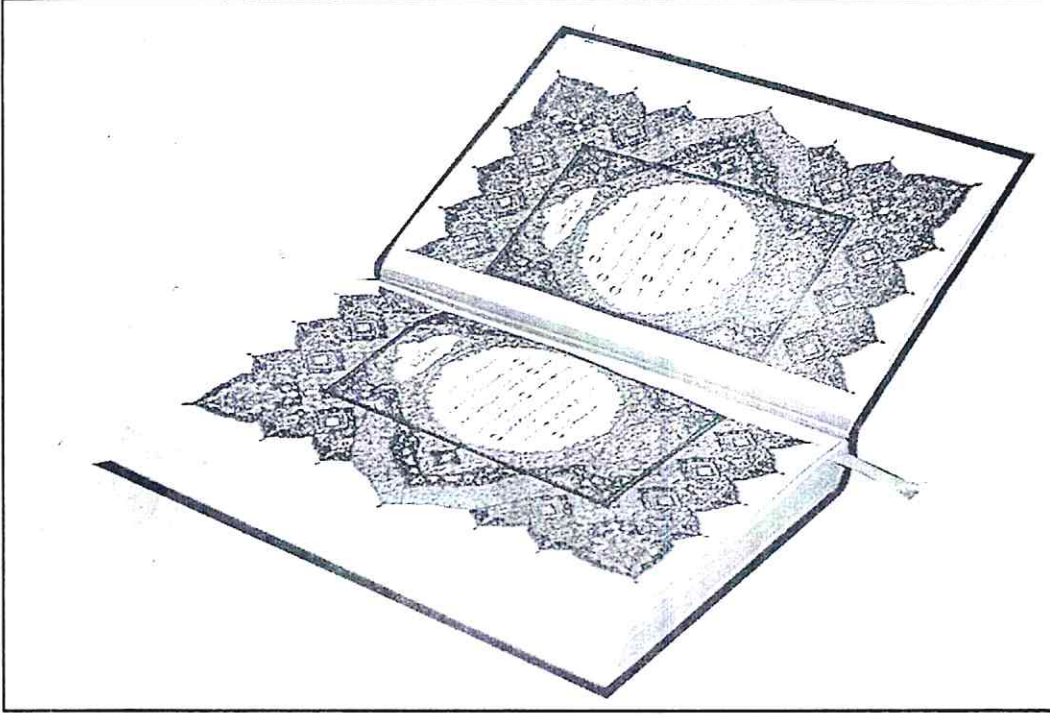
أنها مسلمة تُحتل وتكثر المستوطنات اليهودية بها يوما بعد يوم؟

لأن شعبها مسلم يضطهد ويشرد ويتعرض للإبادة والتفكيك؟ هل أصبحت هذه سمة البلاد والشعوب الذين يتعرضون لتهاون النظام العالمى؟ فنرى أمثال هذه المعاناة فى البوسنة والهرسك والشيشان..

أقول: إن الجهاد فرض عين فى الدفاع عن القدس، كما أنه فرض عين فى الدفاع عن البوسنة والهرسك والشيشان وكل وطن إسلامى على ظهر الأرض.

وفرض الجهاد للدفاع عن الأوطان ليس مقصورا على ساكنى هذه الأوطان المسلوقة أو المنهوبة فحسب، بل إن فرضية الجهاد

الرد على الفيلم الهولندي المسيء للقرآن



قل للبلاغة أنصت لي ياني * * لا قول بعد بلاغة القرآن
 ما الفكر ما الضحى وما أربابها؟ * * عبر الدنا وعلى مدى الأزمان
 ما الخلق كل الخلق من إنس ومن * * جن إذا اجتمعوا هنا في آن؟
 لن يستطيعوا أن يصوغوا كلهم * * آيا كآى الذكر والتبيان

* *

لا سفر فى طول الحياة وعرضها * * إلا ونالت به يد العبدوان
 إلا كتاب الله فهو مقدس.. * * يحمى حماه خالق الأكوان
 من أنت يا من تزدري دستورنا؟ * * أعرفت معنى الوحي والإيمان؟
 من أنت يا من تزدري قرآننا؟! * * أعرفت معنى النور والعرفان؟
 قرآن ربى فى الفؤاد نصونه * * آياته تترى بكل جنان

نرعاها بين صدورنا وسطورنا * * ونردُّ عنه هجمة الطغيان
الملحد الأفلاك إذا أزرى به * * أزرى بكل الرسل والأديان

* *

أرأيت «هولنديهم» وضلاله * * يرمى بأفات من الهذيان؟
يرمى كتاب الله وهو منزّه * * عن ترهات الشر والبهتان
قد قيل عنه: إنه شعر فهل * * فى الذكر أبيات من الأوزان؟
وأتى الأثيم يقوّل عنه إنه * * قد جاء فاشيا على الإنسان
يابئس ما قال الأثيم ترنحت * * أفكاره فى الإثم والخسران
أىكون فاشيا ورى منزل * * آياته بالعضو والإحسان
إن الذى طمست بصيرة قلبه * * لا يهتدى بهداية الفرقان

* *

قد جاء بالقرآن من رب الورى * * خير الخلائق من بنى عدنان
قد كان أميا وجاء بمعجز * * قد أعجز الدنيا بخير بيان
عجز المعادى أن يجىء بمثله * * فمثاله ما كان فى الإمكان
هيهات يأتى الكافرون بمثله * * لا يلتقى كفر مع الإيمان

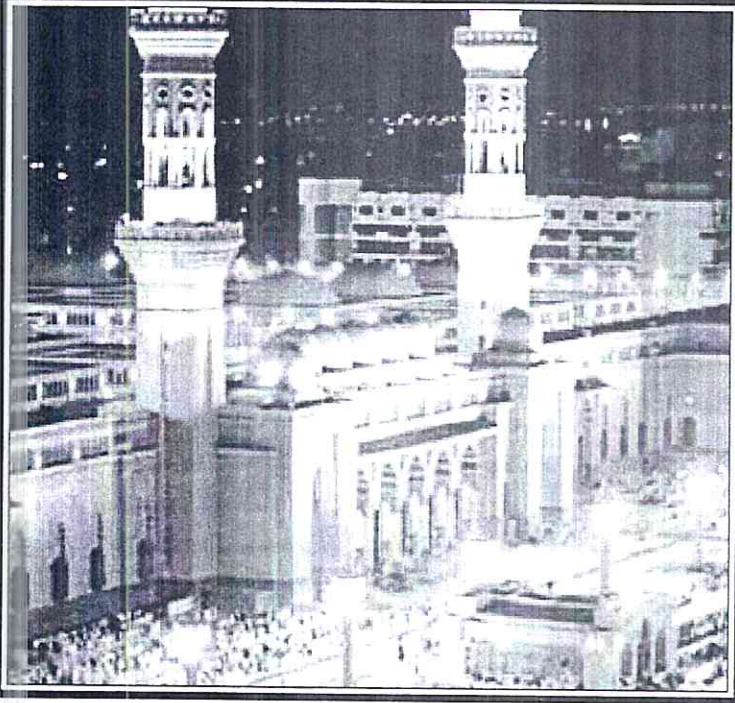
* *

نزل الكتاب على الحبيب المصطفى * * بهداية وسماحة وبيان
ودعا إلى رب العباد بحكمة * * وبلاغة حملت أجل معانى
قد جاء خير المرسلين بآيه * * فـأزاح ليل الظلم والأوثان
وأضاء بالتوحيد دنيا أشرقّت * * بالعلم والإيمان فى الأوطان
إن قيل فنّان يريد مثاله * * قلنا جهول مال للشيطان
فالضن إن يسلك سبيل غواية * * كانت عواقبه على الفنان
أ.د. أحمد عمر هاشم

معالجات إسلامية

﴿إنا كفييناك المسـتهزئين﴾

د/ يوسف جمعة سلامة



ورأيت من واجبي كطالب علم أن أذود عن عرض نبينا ورسولنا محمد ﷺ حيث يتناول عليه الأقزام بين الفينة والأخرى، وأن أرد على الأكاذيب والافتراءات الواردة في هذا الكتاب، وهذا جهد المقل، فالله - سبحانه وتعالى - قد تكفل بالانتقام ممن يسيئون إلى الرسول ﷺ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ الأحزاب: ٥٧، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ - عز وجل - قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب» أخرجه البخاري، فكيف بمن عادى الأنبياء؟ وكما قال الشاعر:

ياناطح الجبل العالي ليثلمه

أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

الحمد لله الذي أنعم علينا بالإسلام وشرح صدورنا للإيمان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين.. وبعد..

تناقلت وسائل الإعلام المختلفة خبر نشر كتاب «الحب والجنس في حياة النبي» والذي تم طرحه مؤخرا، وهذا الكتاب يعتبر إساءة جديدة للرسول - عليه الصلاة والسلام - تضاف إلى ما قامت به سبع عشرة صحيفة دنماركية قبل أسبوعين من إعادة نشر الرسوم المسيئة للرسول ﷺ والتي سبق أن نشرتها إحدى الصحف في الدنمارك قبل سنتين تقريبا.

إن هذا الكتاب ملئ بالتجاوزات والافتراءات على النبي ﷺ ومن هذه الافتراءات والتجاوزات أن الكتاب يسئ للرسول ﷺ، كما أنه يكفر الإمام البخاري، ويصفه بأنه كاره للإسلام والرسول والعرب، ويتهمة بالإساءة إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - حيث يزعم أن صحيح الإمام البخاري يشتمل على عشرات الأحاديث المكدوبة، كما يدعى خوف النبي ﷺ من خديجة، حيث إنه لم يتزوج عليها بسبب خشيته من حرمانه من مالها، وأن النبي ﷺ كان محبا للجنس والنساء، فقد تزوج باثنتين وخمسين امرأة بعد وفاة خديجة .

تطاول الأقزام على الرسول ﷺ جريمة لا تغتفر بحق الإنسانية جمعاء

كثيرة للرسول ﷺ:

لقد توعد الله سبحانه وتعالى أولئك المجرمين المستهزئين بالله ورسوله بأشد العذاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَلئن سألْتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ التوبة: الآيتان ٦٥، ٦٦.

لقد نزلت هذه الآيات في رجل من المنافقين استهزأ بالله وبكتابه ورسوله فقال: «ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا السنة، وأجبننا عند اللقاء»^(١).

لقد استحق هذا المنافق وأمثاله هذا الجزاء، فلم يقبل الله عذره، فليس كل عذر يقبل، وليست كل جريمة تغتفر، وهل هناك جريمة أعظم من الاستهزاء بالله ورسوله ﷺ أيتها الكاتبة!!

● كما تضمن الكتاب إساءات بالغة للإمام البخارى، حيث يصفه بأنه كاره للإسلام والرسول والعرب، ويتهمه بالإساءة إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - كما يزعم أن صحيح الإمام البخارى يشتمل على عشرات الأحاديث المكذوبة.

الإمام الجليل والمحدث العظيم محمد ابن إسماعيل البخارى أمير أهل الحديث وصاحب أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، هو ذلك العالم المحدث العظيم الذى ملأ طباق الأرض علما، وقد قيل فيه:

المسلمون بخير ما بقيت لهم

وليس بعدك خير حين تفتقد

وقد اتفقت الأمة على أن كتابه أشهر كتب الحديث النبوى جميعها، بل أصحها، حيث بذل فيه جهدا كبيرا، وانتقل فى تأليفه وجمعه وترتيبه وتبويبه ستة عشر عاما وقد ابتدأ البخارى تأليف كتابه فى

إن هذه الإساءات بحق الرسول ﷺ ليست جديدة، فقد قالوا عنه سابقا بأنه مجنون، وساحر، وكذاب، كما فى قوله تعالى: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين﴾ الأنعام: الآيتان ٢٣، ٢٤. مع أنهم وصفوه قبل الرسالة بأنه الصادق الأمين، كما طعنوا فى شرف أعز الناس لديه فى زوجه عائشة - رضى الله عنها - حيث جاءت براءتها من فوق سبع سماوات ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ النور: آية ١١، ومنهم من طعن فى الصدقات، وفى توزيع الغنائم، كما قال قتادة: ومنهم من يطعن عليك فى الصدقات، كما ورد فى قوله تعالى: ﴿ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ التوبة: آية ٥٨.

وتوالى محاولات المجرمين عبر التاريخ للنيل من الرسول ﷺ ولكن أنى لهم ذلك فكما قال الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وساقوم بالرد على أشهر المحاور

التي تضمنها الكتاب وهى:

● تضمن الكتاب على إساءات

المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولم يتعجل إخراجه للناس بعد أن فرغ منه، ولكن عاود النظر فيه مرة بعد أخرى، وتعهده بالمراجعة والتتقيق، ولذلك صنفه ثلاث مرات حتى خرج على الصورة التي عليها الآن، وفيه يقول الشاعر:

تشاجر قوم في البخارى ومسلم

لدى فقالوا أى دين تقدم

فقلت: لقد فاق البخارى صحة

كما فاق في حسن الصناعة مسلم

يقول الإمام البخارى عن صحيحه: أخرجت هذا الكتاب من زهاء ستمائة ألف حديث، وما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين، وما أدخلت في هذا الكتاب إلا ما صح وتركت من الصحاح كي لا يطول الكتاب، فهل هذا الإمام يبغض الرسول - عليه الصلاة والسلام - أيتها الكاتبة!!

● كما تضمن الكتاب أن الرسول ﷺ قد تزوج باثنتين وخمسين امرأة ولكنه لم يتزوج على خديجة - رضى الله عنها - لأنه خاف أن تحرمه خديجة من مالها.

هذا الكلام كذب وافتراء، فالرسول ﷺ لم يتزوج بهذا العدد، لأن جميع من عقد عليهن ﷺ ثلاث عشرة امرأة، واللواتي تزوجهن ودخل بهن إحدى عشرة امرأة، وقد ماتت منهن في حياته اثنتان وهما: خديجة، وزينب بنت خزيمة، والتسع الباقيات بقين بعد وفاته، ومات ﷺ عن تسع، وعشن بعده، كما قال الشاعر:

توفى رسول الله عن تسع نسوة

إليهن تغزى المكرمات وتسب

فعائشة ميمونة وصفية

وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم سودة

ثلاث وست ذكرهن المذهب

لقد تزوج الرسول ﷺ خديجة وعمره خمس وعشرون سنة وكان عمرها وقتئذ أربعين سنة، وقد تزوجت بزوجين قبله، فهل هذا يدل على أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان شهوانياً!! كما أن الرسول ﷺ لم يتزوج بكراً إلا عائشة، وأن باقى نسائه كن ثيبات وأرامل، تزوجهن إكراماً لهن، وإكراماً

لأهلهن ولحكم عديدة ذكرها العلماء وهى الحكم التعليمية، والتشريعية، والاجتماعية، والسياسية.

أما زعم صاحبة الكتاب بأن الرسول ﷺ كان طامعاً فى مال خديجة، أو أنه لم يتزوج عليها خوفاً من أن تحرمه من مالها فهذا افتراء واضح، فقد نسيت هذه الكاتبة أن جبريل عليه السلام قد عرض على النبي ﷺ مثل جبال أحد وتهامة ذهباً فلم يرض - عليه الصلاة والسلام - كما عرض عليه الكفار ذلك عندما ساوموه: إن كنت تريد مالا أعطيناك، وإن كنت تريد نساء زوجناك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك.

وفى الختام أتساءل: ما موقف المليار ونصف المليار مسلم من الإساءات المتكررة بحق رسولنا - عليه الصلاة والسلام -؟ وما موقف الأمة لو أن هذه الإساءات كانت بحق رئيس أو ملك أو أمير؟، لرأينا سحب السفراء، وقطع العلاقات!!، فيأمة الإسلام هل هناك أغلى من الحبيب ﷺ؟، فعلياً أن نبرهن على حينا ونصرتنا للرسول ﷺ وأن نردد دائماً: اللهم أحينا على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا فى زمرة، واسقنا يارب من حوضه الشريف شربة ماء لا نظماً بعدها أبداً.. آمين.. يارب العالمين..

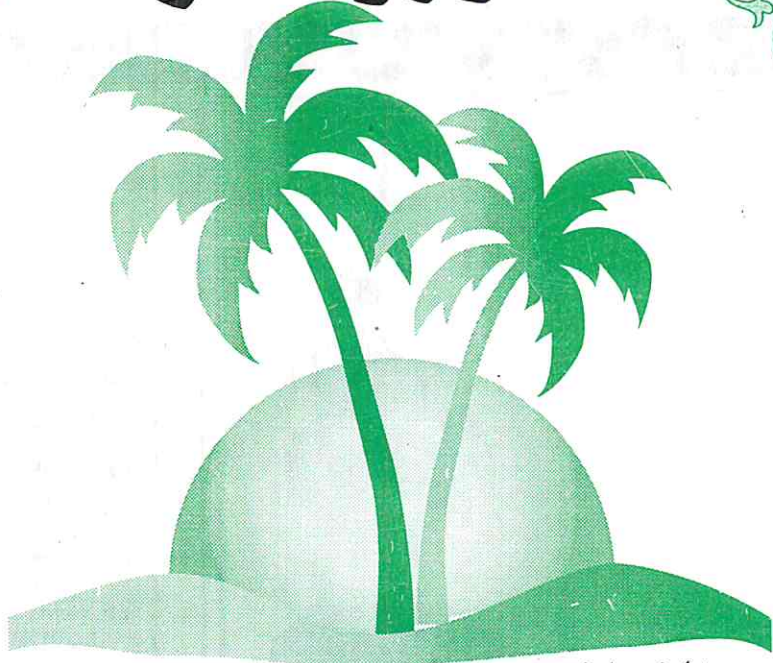
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الهامش:

١ - مختصر تفسير ابن كثير ج ٢

ص ١٥٢.

حوار وحضارة



• الإسلام دين الحضارة الباعث لقيم

التسامح

• خلق الوجه وما فيه من حواس

• تجميل المدن وتشجيرها في منهج

الإسلام

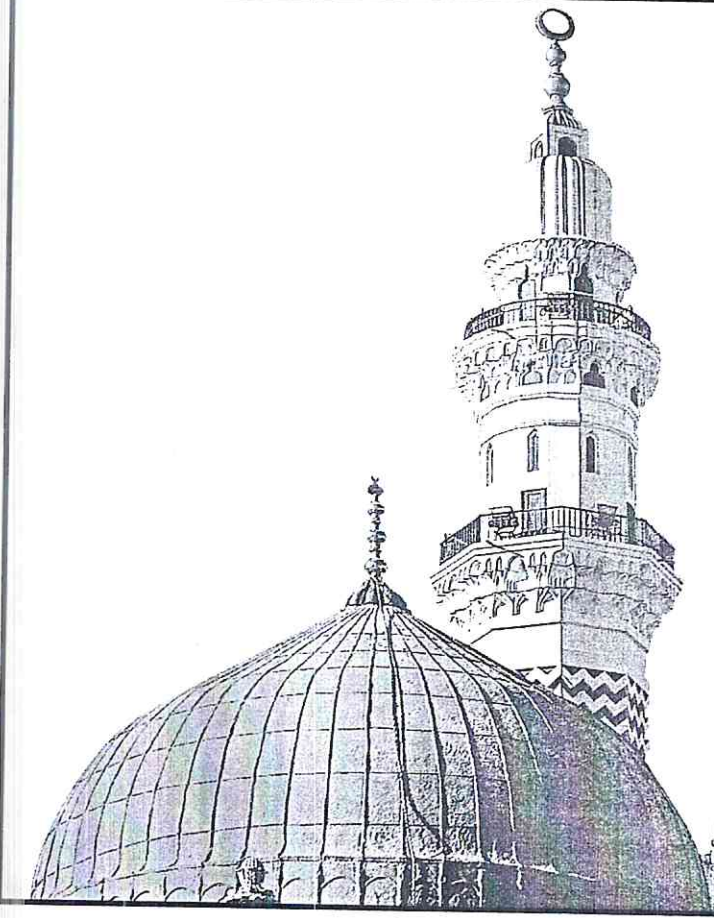
• أدب الحوار في الإسلام

• الأوقاف وحماية الآثار

• الإسلام والأخـر

الإسلام دين الحضارة الباعث لقيم التسامح

أ.د: عبد الفتاح مصطفى غنيمه



التطاول والهجوم على العرب والمسلمين ليس بغريب على الذين تمتلئ قلوبهم حقداً على الإسلام وحضارته، بينما الحضارة الغربية تقوم على فلسفة الصراع وتوهم وجود عدو يجب أن يتخلصوا منه وهو الإسلام، كما أكد هذا فيلسوفهم هانتجتن في كتابه آفاق الصدام بين الإسلام والغرب.

إن المتطاولين على الإسلام وحضارته لو عقدوا مقارنة موضوعية بين مادية حضارتهم التي صنعت التقدم والرخاء، وضمنت حقوق الإنسان، وحضارة الإسلام الروحية لوجدوا أن حضارة العرب هي حضارة القيم التي ترفع الإنسان من حالة إنسان الغابة إلى إنسان يمتلك المشاعر والأحاسيس النبيلة والراقى في سلوكه مع أخيه الإنسان.

إن الغرب يحاول أن يحول العالم العربى إلى منطقة عبيد بالتفريغ السياسى وتسويق الاستهلاك، وإثارة الطائفية، واستغلال المشاكل المصطنعة، وتشويه القيم، ونشر الضياع، والغاية عندهم تبرر الوسيلة، فهم يحاولون نزع المقاومة، وتدمير الحصون الثقافية رغم أن العرب لا يرفضون الثقافة الغربية فقد توغلت فى اللحم والعظم والأعصاب، ودخلت فى التكوين الفكرى للعرب ولغير العرب، وكل من يدب على هذه الأرض ينعم بعطاء الحضارة الغربية بعد أن صارت إرثاً للإنسانية كلها.

لمجموعة من النصارى مصابون بالجذام، وأمر بترتيب الأقوات لهم. وهذا عبدالله بن عمر يعطى جاره اليهودى قبل أن يعطى المسلمين رعاية لحق الجوار، بصرف النظر عن دينه، وكان عثمان بن عفان يعطف على شاعر مسيحي هو أبو زيد.

كتب المسيحيون فى الشام إلى أبى عبيدة بن الجراح يقولون: يامعشر المسلمين أنتم أحب ألينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا. وأغلق سكان حمص أبواب مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل وصرحوا للمسلمين بأن ولايتهم وعهدهم أحب إليهم من ظلم الرومان وتعسفهم.

ورحب قبط مصر بالفتح الإسلامى، ولقوا من عمرو بن العاص أعظم التسامح، لأنه أنقذهم من اضطهاد الرومان، ويذكر التاريخ أن اضطهاد جستنيان للقبط فى مصر حملهم على الالتجاء للصحراء للاحتماء بها، فراراً من التكيل بهم. وكذا رحبوا بعمرو بن العاص فقد كفل لهم الحرية الدينية. ولم يحدث فى عهده ولا من بعده أن ضغط أحد على مسيحي لكى يرتد عن دينه. ومازال التاريخ يحكى كيف أن عمراً بن العاص كتب لهم عهداً بحماية كنيستهم وكتب أماناً للبطريرك بنيامين ورده إلى كرسيه، وأمر باستقباله بحفاوة عندما سار إلى الإسكندرية.

وأحب الفرس عدالة الإسلام والمسلمين فى بلادهم حيث عاملوهم بالتسامح وبقي من الفرس على دينه وكفلوا لهم حرية العبادة والمعابد.

ولم يكن اختلاف الدين مانعاً للمسيحيين واليهود أن يوظفوا فى الدولة، فقد اصطنع عمر بن الخطاب بعض أسارى قيسارية ووظفهم فى الدولة، وكان عمر يرفض تعيين أو تولية مسلم إذا توجس منه ظلماً للناس، أو خيانة للمال، واتخذ أبو موسى الأشعرى كاتباً نصرانياً. وتوسع معاوية الخليفة الأموى فى إلحاق النصارى بالوظائف، وحكاه آخرون من البيت الأموى، فكان لمعاوية طبيب مسيحي هو ابن آثال، وشغل المسيحيون مناصب عالية فى بلاط الخلفاء الأمويين مثل الأخطل شاعر البلاط ومثل يوحنا الدمشقى مستشار عبد الملك بن مروان، واختار أثناس معلماً لأخيه عبدالعزيز، ولما عين عبدالعزيز والياً على مصر رافقه أستاذه.

ولم يكن اختلاف الدين حائلاً فى قضية التعليم، فإن كثيراً من المسيحيين درسوا على علماء المسلمين، منهم حنين بن إسحاق، درس على يد الخليل بن أحمد وعلى سيبويه، وتلمذ

ولا يمكن لأحد أن يرفض ثقافة الغرب لأنها هى العصر والتكنولوجيا، ولكن العرب يرفضون استخدام هذه الحضارة الغربية ضد ثقافة الدين والأهل.

إن الحضارة الغربية توظف التكنولوجيا المتقدمة والعقول الإلكترونية وغسل الأدمغة توظيفاً متزايد السعة لفرض منطقها ومصالحها، فهى الحضارة التى تفترس الأخريات وتسلب ثرواتها وأموالها وأرضها وأدمغتها، وتسلب الدرع الحضارى العربى وتحاول تفريفه من المحتوى.

كانت الشعوب القديمة تعامل أسراها معاملة العدو البغيض، فتقتلهم أو تسترقهم أو تبيعهم وتسخرهم فى أشق الأعمال، أما الرسول ﷺ فقد عامل أسرى بدر معاملة حسنة وأمر أصحابه أن يحسنوا إليهم، فكانوا يفضلونهم على أنفسهم فى الطعام. وجعل فداء الأسير الذى يكتب أن يعلم عشرة من صبيان المدينة الكتابة.

وعندما كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالشام وحانت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة فطلب البطريرك من عمر أن يصلى بها، وهم أن يفعل، ثم اعتذر حيث خشى أن يصلى بالكنيسة فيدعى المسلمون بعد ذلك أنها مسجد لهم.

واشتهر عن عمر أنه كان ينصف من يشكو إليه من النصارى واليهود، فقد علم أن الوليد بن عقبة واليه على بنى تغلب قد توعد النصارى فعزله خشية أن يوقع الشر بالنصارى كما أمر عمر بإعطاء الصدقات

يحيى بن عدى على الفارابى، ودرس ثابت بن قرّة على يد محمد ابن موسى الخوارزمى وتلقى ابن جزلة تعليمه على يد الوليد المعتزلى. وطالما درس المسلمون على أيدي أساتذتهم من المسيحيين واليهود، فى غير تخرج فقد درس خالد بن الوليد على يد راهب مسيحى هو أرمانيوس.

وساهم عدد كبير من المترجمين المسيحيين فى ترجمة الكتب فى بداية العصر العباسى، وفى كتب طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة مئات الأسماء وأيضاً فى كتاب الفهرست لابن النديم. وكانت البصرة والكوفة ملتقى العرب والفرس والمسيحيين والمسلمين واليهود والمجوس، وكان المسلمون يأخذون العلم من هؤلاء جميعاً. فقد نقلوا عن الهنود الرياضيات والتنجيم، وترجم يعقوب الرهاوى كتب اليونان فى الفلسفة.

واشتغل السريان بالترجمة من اليونانية ومن السريانية إلى العربية. وقد أشاد المنصفون من مؤرخى العلم بهذه السماحة. يقول درابر المؤرخ الأمريكى، كانت إدارة المدارس بفضل سماحة الخلفاء موكولة إلى النساطرة تارة وإلى اليهود تارة أخرى، ولم يكن المسلمون ينظرون إلى البلد الذى عاش فيه العالم، ولا إلى الدين الذى يعتنقه، بل ينظرون إلى مكانته من العلم والمعرفة.

ولم يفرق الإسلام بين المسلم والذمى فى المعاملات العامة وأمام القضاة فالجميع سواسية أمام القانون وهما سواء فى القصاص، فالنفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف. وهما سواء فى الديات والضمان والتقارير، يجرى على الذمى ما يجرى على المسلم وقد أتيح للذمى كل زواج يقره دينه وإن خالف الدين الإسلامى، وأتيح له كل طلاق وإن لم يتفق مع الإسلام، وليس للإسلام أن يتعرض للذميين فى شئ من هذا إلا إذا احتكموا إليه.

وسوى الإسلام فى الحرمان من الميراث بين الذمى والمسلم، فلا يرث المسلم قريبه الذمى، ولا يرث الذمى قريبه المسلم، ولا يرث الزوج المسلم زوجته الكتابية وكذلك لا ترثه، وأباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا من طعام أهل الكتاب وذبائحهم، بشرط أن يكون المذبوح مما يحل للمسلمين أكله.

وأحل الإسلام للمسلم أن يتزوج مسيحية أو يهودية وتبقى على دينها، ولها على زوجها من الحقوق مثل ما للمسلمة، وذلك لأن المسلم مؤمن باليهودية وبالمسيحية ومصدق بموسى وعيسى عليهما السلام. أما الحرية الدينية فقد كفّلها الإسلام لأهل الكتاب فهم أحرار فى عقيدتهم وعبادتهم وإقامة شعائهم فى كنائسهم،

ولهم أن يجددوا مآتهم منها، وأن يبنوا جديدا ولهم دق نواقيسهم إيدانا لصلاتهم ولهم إخراج صلبانهم. وقد ذكر المؤرخ توماس أرنولد أن بعض الخلفاء أمروا ببناء كنائس فى الشام والعراق وشمال الجزيرة ومصر .. وأنفقوا عليها، ومازال بعضها قائما حتى اليوم مثل كنيسة أبو سرجة التى بنيت فى القسطنطينية.

واعتبر الإسلام مال الذمى مصون كمال المسلم وأباح الإسلام للمسلمين أن يعاملوا الذميين جميع المعاملات المباحة، ولهم أن يضيفونهم ويستضيفونهم وأن يبادلهم الهدايا. ومن حق المسلم أن يعطى صدقة الفطر والتطوع للفقير الذمى من أهل بلده.

ولاشك أن الإسلام يقتضينا أن نكشف عن مزاياه ليستبين للجاهلين من أتباعه بعض ما فى دينهم من سمو وحكمة، وتسامح ومرونة لمسايرة الزمن، وأنه دين رحمة وسلام كما أنه دين قوة لصيانة العقيدة وحماية الأرواح.

وإذا رجعنا إلى أسباب موقعة بدر وموقعة أحد والخندق، وأسباب فتح مكة وأسباب غزوة حنين لتبين لنا من ملابسات هذه الغزوات التى ذكرناها على سبيل التمثيل أن النبى ﷺ لم يكن فى إحداها راغبا فى حرب أو بادئا بعدوان، والذى يتتبعها جميعا يجده حريصا على السلام ما وجد للمسألة سبيلا.

وعندما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة واتخذها مقرا له ولبن هاجروا معه، صارت العاصمة والحصن، فضاق اليهود بالدين الجديد، فجذوا

٢ - **فى سير الحرب:** السلام فى الإسلام هو الأصل، والحرب عمل طارئ مؤقت لكرامة الإنسانية، فلا يجوز التعدى على الشيوخ والنساء والعجزة والمنقطعين للعبادة. وأن تكون الحرب دفاعية وعقاباً للمعتدى، وألا يجوع المسلمون أعداءهم ولا يمتنعون عنهم الماء، وأن يكفل الأمان للمستأمنين فى ديار الإسلام وأموالهم مصونة وأرواحهم مرعية، وإذا جنح العدو إلى السلم كان على المسلمين أن يسالموه.

٣ - **فى الغاية من الحرب:** القواعد الإسلامية تؤكد على قتال المعتدين وأن يكون الجهاد حماية للموحدين، وأن تكون الحرب لإحقاق الحق ونشر العدل والسمو بالمجتمع.

٤ - **فى نتائج الحرب:** لا يبيح الإسلام التمثيل بالقتلى ولا تخريب العمران، ولا إحراق المساكن وقطع الأشجار وإتلاف الزرع، وأن يرحم المسلمون الخصوم المهزومين وأوجب الإسلام الوفاء بالعهد، والعفو عن الأسرى والسبايا. ولا يجوز إلحاق الأذى بالرعايا والمدنيين الذين لا عمل لهم فى ميدان الحرب. وأوجب الإسلام العناية بالمرضى والجرحى يقول الرسول ﷺ لا تعذبوا عباد الله ونهى الإسلام عن قتل الأعزل وعن الإحراق بالنار.

وهكذا نجد أن الإسلام دين سلام، والسلام من أسماء الله ويسمى الجنة دار السلام، يؤثر السلم على الحرب، ويدعو إلى المثل الأعلى فى جميع الصلات والمعاملات، ذلك بأن الإسلام عقيدة وعمل دين ونظام لكل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، يكفل الخير للبشرية أفراداً وجماعات. ولا ننسى أن الإسلام سبق إلى إلغاء الرق قبل أن تلغيه الدول الأوروبية بأكثر من أثنى عشر قرناً وقبل أن تفكر أمريكا وأوروبا فى تحرير العبيد عام ١٨٤٤ واعتبر الإسلام حرية البشر هى الفطرة، والأصل، وحطم الإسلام قيود الرق، وفتح لهم أبواب الحرية، وأتاح لتحريرهم كل الفرص، ومن سماحة الإسلام أنه جعل للزوجة الرقيقة حقوقاً على زوجها مثل الزوجة الحرة، وجعل الإسلام عتق العبد كفارة عن كثير من الذنوب والمخالفات للدين. وحض الإسلام على الرفق وحسن معاملة الرقيق، وكثيراً ما حض النبى ﷺ إلى إكرامهم وأوصى بهم.

بقوله: **إنهم إخوانكم، وقوله إنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد** (فتح البارى ومسند أحمد) وتشير كتب التاريخ أنه لم يفكر أحد عند اليونان وعند الفرس قبل الإسلام فى حقوق الأرقاء التى منحهم الإسلام إياها.

لقد جاء الإسلام هدى ونوراً للبشر وسيبقى

فى محاربه والكيد له ما وسعهم الجهد، فبنوا قينقاع حنقوا على النبى ﷺ لما انتصر فى بدر وبدأوا يتحرشون به وحاربوا حلفائه، وبنو النضير دبوا حيلة دنيئة تقتل النبى ﷺ وهو فى حصن من حصونهم فى نفر من أصحابه، ورغم أنهم عاهدوا النبى ﷺ على أن يشتركوا فى الدفاع عن المدينة. ونكت بنو قريظة معاهدتهم مع النبى ﷺ وانضموا إلى الأحزاب فى غزوة الخندق ورغم ذلك فقد عامل النبى ﷺ بنى قينقاع بالرحمة والتسامح فأجلاهم عن المدينة وعامل بالسماحة بنى النضير. وكان فى هذا ردع لبنى قريظة وحض على الوفاء بالعهد.

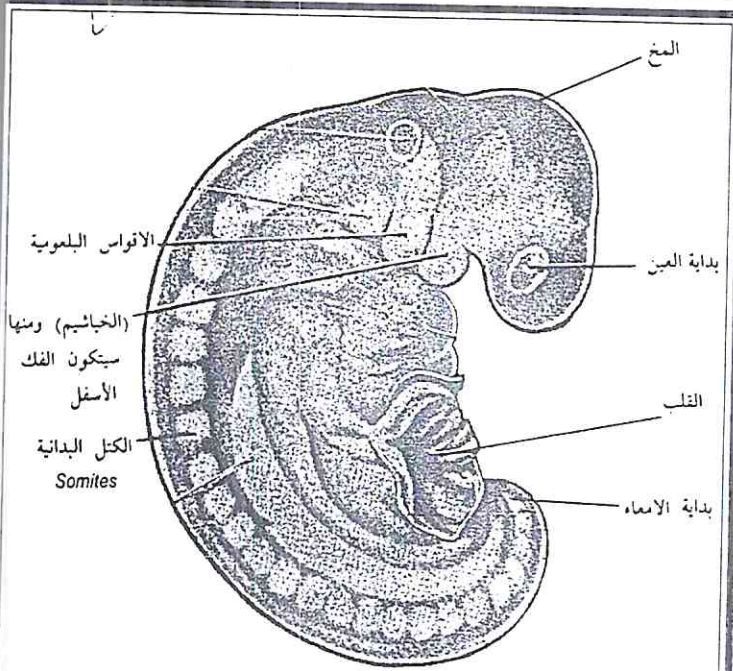
ومن بواعث التسامح فى الإسلام ما سنه الإسلام أحكاماً للحرب، وأوجب مراعاتها لتخفيف ويلات القتال، وهو خير ما عرف من قوانين الرحمة بالناس. والقوانين التى سنها الإسلام تتفق والقانون الدولى فى كثير من الأحكام لأنها أحكام دينية لها من الجلال والطاعة النفسية ما للدين وأحكامه ويمكن إجمال ما سنه الإسلام للحرب فى أربعة أمور.

١ - **فى دوافع الحرب:** أن تكون دفاعية لحماية العقيدة التى تكفل للناس حياة كريمة لذلك قال تعالى: **﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم﴾** (البقرة آية ٢١٦). كما أن الإسلام كان دوماً ما يضيق نطاق الحرب وينهى عن العدوان حتى على الأعداء. **﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾** (البقرة آية ١٩٠).

خلق الوجه وما فيه من حواس

﴿وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسِن صُورَكُمْ﴾

أ. د. عبدالمعبود عمارة



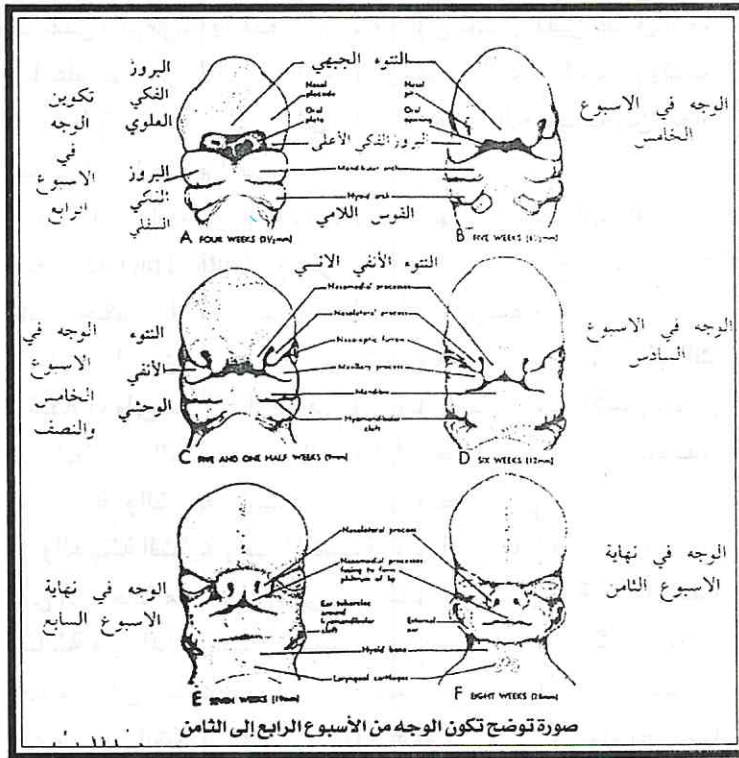
صورة للجنين أثناء تكوين الأعضاء الأساسية وتبدو بداية الفقرات واضحة

خلق الله - سبحانه وتعالى - الإنسان من الماء والتراب ثم من نقطة خلقه فقدره ثم تتحول النطفة إلى علقة والعلقة إلى مضغة، ثم تتحول المضغة إلى عظام تكسى باللحم إلى أن تكون تلك الصورة الجميلة للإنسان بعد التسوية والتصوير والتعديل ونفخ الروح، قال تعالى: ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ في أى صورة ما شاء ركبك﴾ الانفطار: الآيتان ٨، ٧. وفي تصوير الإنسان في رحم أمه يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ آل عمران: آية ٦، ويقول أيضاً: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ الأعراف: آية ١١، ويقول - سبحانه -: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ الزمر: آية ٦.

وفي إحسان خلق الإنسان في أحسن صورة يقول جل من قائل: ﴿وَصَوِّرْكُمْ فَأَحْسِن صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِير﴾ التغابن: آية ٢، ويقول سبحانه: ﴿يأبها الإنسان ما غرك بريك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ في أى صورة ما شاء ركبك﴾ الانفطار: الآيتان ٨، ٧. فسبحان الخالق البارئ المصور القائل: ﴿هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى﴾ الحشر: آية ٢٤.

تكوين الوجه:

ويبدأ تكوين الوجه في وقت مبكر من حياة الجنين الرحمية، وتظهر فتحة الفم في الأسبوع الرابع، وتحاط هذه الفتحة بالقوس البلعومي الأول من كلا الجانبين Mandi Bular Arch. كما تظهر الأقواس البلعومية الأخرى المكونة لأسفل الوجه



وأعلى الرقبة وتظهر الكتل البدنية المكونة للعمود الفقري Somits ويأخذ الجنين شكل المضغة.

ويتكون الوجه في الفترة ما بين الأسبوع الرابع والأسبوع الثامن من الحمل، ويظهر التوء الفكي العلوي والسفلي وبينهما فتحة الفم. ويظهر فوق فتحة الفم كتلة الخلايا المكونة «للوح الشم» وبسلسلة من التوءات الإنسية والوحشية تتكون فتحتا الأنف. ويتغير شكل الوجه «التعديل والتسوية» التي في نهايتها يتكون وجه هذا الإنسان في أجمل صورة من دقة الصنع وحكمته التي تدل دلالة واضحة على عظمة الخالق - سبحانه وتعالى -.

تكوين سقف الحلق واللسان:

يتكون سقف الحنك «الفم الحقيقي» من بروز حنكى من الفك العلوي الأيمن والأيسر، ثم يلتقى هذان البروزان في خط الوسط ليكونا سقف الحنك. أما اللسان فتتكون أغشيته الطلائية الحساسة من الغشاء الطلائي الداخلي للأقواس البلعومية الأولى والثاني والثالث والخاصة بالإحساس العام كالحرارة واللمس والألم كما تتكون حلقات التذوق، والذي يعتبر من أعظم الحواس لأن الله - تعالى - خلق لكل طعام براعم تذوق خاصة به فهذه حلقات تتذوق الحلو، وأخرى للمر وثالثة للمواد المالحة، وتتغذى هذه البراعم بواسطة أعصاب المخ الخامس Mandi Bular والسابع Fas-cial والتاسع Glosso PharynGial.

أما عضلات اللسان فتتكون من الكتل البدنية من المنطقة الرأسية الخلفية Upper Four Occipital Somits وترحف إلى الأمام وتدخل إلى داخل هذه الأغشية المخاطية للسان وتكسى لها. وهذا الجزء العضلي من اللسان مسئول عن حركة اللسان Motor Hypo وتتغذى هذه العضلات بواسطة العصب تحت اللسان Medulla oblongata والذي ينشأ من النخاع المستطيل للمخ - Medulla oblongata وعلى الإنسان أن يمسك لسانه إلا من حق يوضحه أو باطل يدحضه. لأننا مآخذون بما ننطق به «وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم».

أما خاصية التذوق فتوجد في الأغشية الطلائية للسان وبها يتذوق الإنسان الحلو والمر والمالح وطيبات الرزق وحينما يتذوق الإنسان طعاما مرا أو فاسدا فإنه يلفظه بسرعة البرق كي لا يفسد بدنه أو يسيء إليه تكوين حاسة البصر. قال تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون﴾ النحل: آية ٧٨.

تكوين حاسة البصر:

ويتكون جهاز الإبصار من العين وملحقاتها كالحفرة العينية في الجمجمة والتي تقى العين من الصدمات، والجفنين العلوي

حاسة الشم

يتكون جهاز الشم من الأنف والعصب الشمي والقنوات العصبية الشمية ثم مراكز الشم في المخ وتتكون الأنف من فتحتين يلحق بهما الجيوب الأنفية وتبطن بأغشية مخاطية شمسية بها سائل مخاطي وشعيرات أنفية، وتقوم بتدفئة الهواء الداخل إلى الرئتين وترطبيه ومنع ما يعلق بالهواء من أتربة أو مواد ضارة قد تلحق ضرراً إذا وصلت إلى الجهاز التنفسي كالبكتيريا مثلاً.

وبعد أن رأينا هذه اللوحة السريعة على ما خلق الله من آيات ونعم من وجه أودع فيه أسراراً لا تنتهي عجائبها من سمع وبصر وشم ولمس وتذوق ولساناً طلقاً أفلاً نشكره ونسجد له ونطيل السجود ونسبح بحمده ليل نهار، ونجعل دنيانا وما فيها مزرعة للحياة الباقية التي لا ينتهي النعيم فيها بل نعيم دائم وخلود لا يفنى وفيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

المراجع:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم د. محمد فؤاد عبدالباقى.
- ٣ - خلق الإنسان بين الطب والقرآن أ. د. محمد على البار - الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة - السعودية - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٤ - كتب التشريح وعلوم الأجنة الأجنبية والمصرية.

والسفلى والرموش والغدد الدمعية والتي تغسل العين طوال اليوم مما علق بها من الأتربة والدخان وغيرها. وتزيد الدموع وتكثر حينما تتعرض العين لأذى زيادة في الحماية من المواد الضارة أو الأجسام الغريبة.

ومن أجزاء جهاز الإبصار العصب البصري، والقنوات البصرية Optic Tract ثم مراكز الإبصار في المخ. وفي كل من آيات الحكمة ما تعجز عشرات الكتب عن وصفه.

وتكون العين من العديد من الأنسجة، وتقع في ثلاث طبقات الطبقة الأولى من الخارج وهى القرنية الشفافة من الأمام وتمثل $\frac{1}{5}$ الطبقة الخارجية، والصلبة البيضاء وتمثل $\frac{4}{5}$ الطبقة الخارجية، والقرنية تشف عما تحتها وتظهر لون العين.

والطبقة الثانية وهى المشيمة وبها الأوعية الدموية وتحتوى على القرنية من الأمام وفى منتصفها توجد الحدقة. والطبقة الثالثة من الداخل هى الشبكية وتقوم بتصوير الأشياء ونقل الصورة إلى المخ عن طريق العصب البصري وقنوات الإبصار، ورغم صغر الشبكية النسبى فإنها تقوم بتصوير الأشياء بحجمها الطبيعى وصورتها الموجودة عليها. وهى مرتبطة بالمخ ارتباطاً وثيقاً لأنها جزء منه ينشأ منه ويتأثر به صحة أو مرضاً.

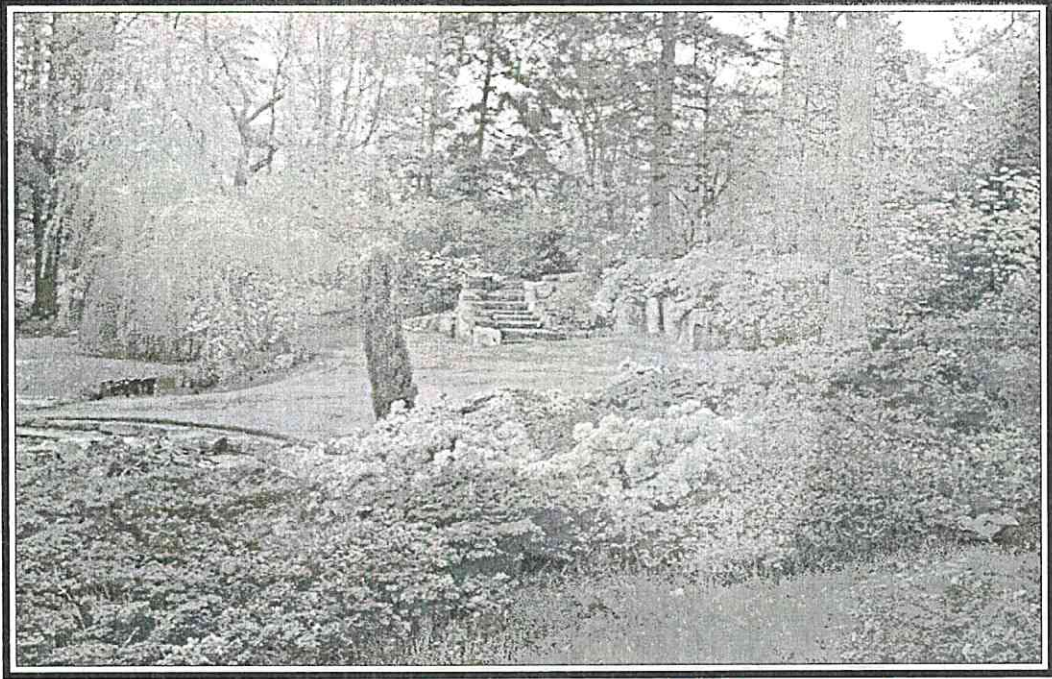
تكوين حاسة السمع:

من دعاء الرسول ﷺ: «سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره».

وتتكون حاسة السمع من الأذن، والعصب السمعى التوازنى الثامن المخى، والقنوات العصبية السمعية Auditory Path Way. ثم مراكز السمع والتوازن فى المخ. وتتكون الأذن من الأذن الخارجية والوسطى والداخلية.

الأذن الخارجية وبها صوان الأذن. وقناة السمع الخارجية وتنتهى بطبلة الأذن وتنقل الأصوات إلى الأذن الوسطى المكونة من المطرقة والسندان والركاب. أما الأذن الداخلية فتحتوى على القوقعة، ويوجد بها سائل ليمفاوى عظيم الفائدة كما يوجد بها قنوات السمع النصف الدائرية التى تحفظ للإنسان توازنه أثناء الحركة أو السكون.

وحاسة السمع تنشأ قبل الولادة وأول ما يسمع الجنين هو دقات قلب أمه، وقدم السمع على البصر لأن الإنسان يدرك به مالا يدركه بالبصر وكم من العلماء والأفذاذ فقدوا البصر ولكنهم لم يفقدوا البصيرة.



تجميل المدن وتشجيرها في منهج الإسلام

د. عبد الرحمن عميرة

الجمال بكل صوره وأشكاله، الجمال بمعناه الواسع لا يقف عند حدود الحس ولا ينحصر في قالب محدود، جمال الكون بنجومه وشموسه، وأقماره وما بينهما من تجاذب وارتباط. جمال الطبيعة بما فيها من أشجار وأنهار وأضواء وظلال. جمال المشاعر بما فيها من حب وخير وطلاقة وارتفاع.

والإسلام يربط اهتماماته الجمالية بعنصر الماء، الماء الذي هو سر هذه الحياة وأصل ثابت في استمرارية حركة الوجود، قال الله تعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ الأنبياء: آية ٣٠.

والماء من قبل هذا ومن بعده عنصر أساسي في تكوين الجمال، لأنه عنصر أساسي في إنبات الشجرة الباسقة، والزهرة اليانعة، والوردة الفواحة بالعطر الناشرة للأريج، وعنصر أساسي في إيجاد الحدائق والبساتين. قال تعالى: ﴿وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تثبتوا شجرها﴾ النمل: آية ٦٠.

إنه أمر من الله تعالى وتوجيه إلهي بإقامة الحدائق، وإنشاء

دأبت الأمة الإسلامية والعربية من سنوات قليلة الاحتفال بتجميل المدن وتشجيرها، وأطلقت على ذلك عيد الشجرة مرة، وعيد الربيع أخرى، وجمال المدينة وتنسيقها مرة ثالثة.

وإذا كان ذلك كذلك فما موقف الإسلام من هذه الأعياد..؟

وإذا كانت هذه الأشياء للتجميل والتنسيق أترى الإسلام يدعو إلى الجمال..؟ وهل يأمر الإسلام بغرس الأشجار، وإقامة الحدائق، والدعوة إلى إنشاء البساتين في مداخل المدن ووسط ميادينها، وعند مخارجها..؟

إن الإسلام في حقيقته، وانطلاقاً من مبادئه يهتم اهتماماً كبيراً بتجميل المدن وغرس الأشجار فيها، يفعل الإسلام ذلك، لأنه يعلم مدى تأثير القيمة الجمالية في حياة الفرد، وفي حياة الجماعة، ومدى تأثير الجمال في حياة الأمة بأسرها.

قائداً في كل وقت أيسعنى أن أصلى في بيتي.. قال ﷺ:
أسمع الإقامة..

قال: نعم.

قال: فأتها.

ومن توجيهات الإسلام أن المسلم الذي يفرس الأشجار ثم يعمل على المحافظة عليها حتى تكبر وتترعرع تكتب له صدقات، ويمحو الله عنه بعض السيئات.

عن عبدالله بن وهب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نصب شجرة، فصبر على حفظها، والقيام عليها حتى تثمر كان له في كل شيء يصاب من ثمرتها صدقة عند الله - عز وجل -». والرسول ﷺ شارك في غرس الأشجار، وإقامة الحدائق، من ذلك أن سلمان الفارسي - رضى الله عنهم - صاحب رسول الله ﷺ طلب منه أن يفرس ثلاثمائة شجرة حتى يحرق من الرق، وما كاد الرسول يعلم ذلك، حتى سارع بنفسه في مساعدته في غرس بعض الأشجار، يقول راوي الخبر: فما تخلف منها شجرة واحدة.

ويظهر اهتمام رسول الله ﷺ بإقامة الأشجار وحث المسلمين على ذلك أن جعل بركة بعض الأشجار كبركة الرجل المسلم في العطاء والنفع عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهم - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى لأعرف شجرة بركتها كالرجل المسلم».

لقد تساوت بركة الشجرة مع بركة بنى آدم الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الإسراء: آية ٧٠.

وإذا كان هذا هو اهتمام الإسلام بالأشجار وإقامة الحدائق، تجميلاً للحياة وإشاعة للبهجة والسرور في حياة الناس، وانتظاراً لجنى الثمار، فإنه من هذا المنطلق يحرم إتلاف أو قطع الشجرة إلا للضرورة - حتى ولو كان هذا الشجر يملكه الأعداء الذين تقام بيننا وبينهم المعارك والحروب.

يقول الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقائد الجيش الزاحف إلى بلاد الشام في ذلك الوقت: «لا تقتلن امرأة ولا صبياً، ولا شيخاً هرمًا، ولا تقطعن شجراً مثمرًا»، وقد يكون من تقريب النصر للجيش الإسلامي، وهزيمة الأعداء العمل على إتلاف شجرهم، وتخريب مدنهم، ولكن ليس هذا من أهداف الإسلام في الحرب، حتى قال بعض المؤرخين يصف سلوكياتهم في

البساتين وغمر التربة في أي موقع بالخضرة والأشجار تجميلاً للمدن وترويحاً للحياة.

ومن هذا المنطلق كان اهتمام الشعوب الإسلامية وحكامهم في مشارق الأرض ومغاربها بتجميل المدن، ومحاولة تقويتها مما يلوث أجواءها أو يشوه بهاءها أو يقلل من روعة جمالها. إن الباحث في جذور هذا الموضوع يرى أن اهتمام المسلمين بتجميل المدن وتشجيرها قد بدأ في وقت مبكر، يحدده بعض المؤرخين بهجرة الرسول ﷺ إلى يثرب.

فما كاد الرسول ﷺ يستقر في مدينته حتى قام بتخطيطها، وأمر أصحابه بتشجيرها وتجميلها، ولقد استجاب الصحابة - رضوان الله عليهم - لأمر رسولهم فغرسوا الأشجار في شوارعها وميادينها، وعلى مشارف الطرق والمداخل فيها ولم يمض على ذلك كبير وقت حتى كان الصحابي الجليل عبدالله بن أم مكتوم يعتذر عن صلاة الجماعة في المسجد، لأن الطريق إليه محفوفة بالأشجار والنخيل، وليس لديه في كل وقت من يقوده إلى المسجد.

فقد روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن ابن مكتوم أن رسول الله ﷺ أتى المسجد فرأى في القوم رقة - عدد قليل -، فقال إنى لأهم أن أجعل للناس إماماً ثم أخرج فلا أقدر على إنسان يتخلف عن الصلاة في المسجد إلا أحرقت عليه بيته. فقال ابن أم مكتوم: يارسول الله إن بيني وبين المسجد نخلاً وشجراً، ولا أجد

والعاج بين الأبنوس كأنه
أرض من الكافور تثبت عنبراً
واختط العباسيون مدينة سامراء
والمتوكلية الزهراء.

واختط بنو الجندى مدينة عمان،
وكان الإمام سلطان بن سيف وولده
قد جلبا لمدينة عمان أشجاراً كثيرة
من البحر وغرسا فيها تلك الأشجار
حتى الورس والزعفران.

وأراد المؤرخ الشريس الأندلسي أن
يصف أهل عمان ومدينتهم فقال:
أهله في رفاهة وأمان لا يخافون
جور شيطان، ولا سطوة سلطان، ثم
يصف العاصمة بقوله: ذوات سهول
وقصور، وحياض ورياض، وبساتين
وكرم، حدائقها محصنة بعيون
الكعاب محفوظة بالأس، كأنها الجنة
في القياس.

فهل عمان في عصرنا الراهن
بهذه الصورة الجميلة؟..

نرجو من حكام الأمة الإسلامية
أن يهتموا بغرس الأشجار وتحويل
صحاريهم إلى جنات وارفة الظلال
تعطى أطيب الثمرات، وبذلك يكونوا
جديرين بقول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة: آية ٣٠.

ويقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ
مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء: آية ١٠٥.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَكْنَاهُمْ
فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ الحج: آية ٤١.

ميادين القتال: «لقد كانوا يحملون سيوفهم، ومن وراء سيوفهم
أخلاقهم، فكأن سيوفهم نفسها ذات أخلاق».
ثم ماذا؟..

إن الله سبحانه وتعالى يصف هول يوم القيامة بقوله: ﴿فَإِذَا
جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ يوم يفر المرء من أخيه * وأمّه وأبيه * وصاحبته
وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿ عبس: الآيات ٣٢ - ٣٧.
وسط هذا الهول الكبير وكل إنسان مشغول بنفسه، زاهد عن
أحب الناس إليه يطالبنا الرسول ﷺ ألا نهمل عملية التعمير
وغرس الأشجار بقوله: «إذا قامت القيامة، وفي يد أحدكم
فسيلة (شجرة صنيرة) فلا يتركها حتى يفرسها».

أرأيتم حرص الإسلام واهتمامه بالخضرة. وتجميل المدن،
وتحويل الصحراء والجبال إلى مزارع وبساتين حتى قال الشاعر
عندما شاهد الجبال تخضر بهمة رجال الإسلام:

لا تقل أخصب الثرى ههنا أورق الحجر..

وما كاد المسلمون ينداحون في أربعة أركان الأرض، حتى
أقاموا المدن وحرصوا على تخطيطها، وتشجيرها.

لقد اختط عتبة بن غزوان مدينة البصرة عام ١٦هـ على نهر الفرات.
واختط عمرو بن العاص مدينة الفسطاط على نهر النيل
عام ٢٨هـ وفيها يقول الشاعر:

أحن إلى الفسطاط شوقاً وإننى

لأدعو لها ألا يحل بها القطر

وهل في الحيا من حاجة لجناها

وفى كل قطر من جوانبها نهر

تبدت عروساً والمقطم تاجها

ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

واختط عقبة بن نافع مدينة القيروان في تونس، واختط
المنصور مدينة بغداد على الجانب الغربى من دجلة عام ١٤٥هـ،
ويصفها الشاعر بعد أن اكتملت في عصر الرشيد بقوله:

لم يبد فيها الروض إلا مزهراً

والنخل والرمال إلا مثمراً

أنشأت فيها للعيون بدائماً

زفت فأزهل حسنهما من أبصراً

ثم يصف بعض شوارع حدائقها بقوله:

فمن الرخام مسيراً ومسهما

ومنمنما ومدرهما ومدنرا

أدب الحوار في الإسلام

فضيلة الشيخ / خالد الجندى

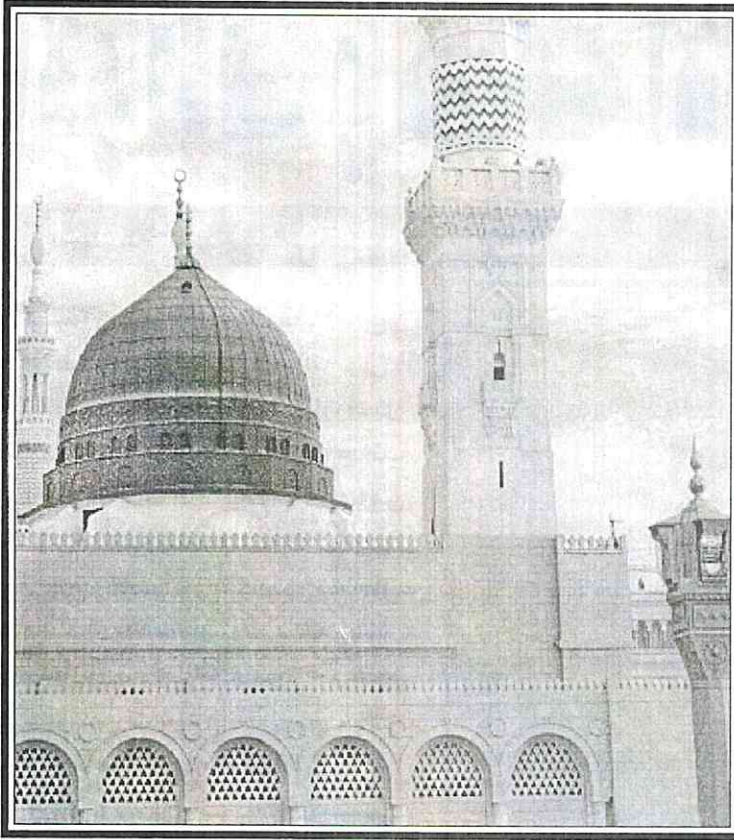
والآداب عسى أن ندرك أبناءنا ونعلمهم قبل فوات الأوان .. اعلّموا رحمكم الله أن الحوار معناه تبادل المخاطبة والرد بين طرفين لأن فعله هو (حار) أى (رجع) قال تعالى : **«إنه ظن أن لن يحور»** الانشقاق: آية ١٤، أى يرجع للحياة مرة ثانية وقال أيضاً **«فقال لصاحبه وهو يحاوره»** وقال أيضاً: **«والله يسمع تحاوركما»** . إذاً الحوار خطاب وكلام وليس الحوار معركة ومساجلة ومبارزة بين طرفين والحوار له أهمية كبرى فى حياة المسلمين عموماً والدعاة خصوصاً، فالدعوة إلى الله تحتاج إلى الحوار **«أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن»** النحل: آية ١٢٥، والعلاقات الاجتماعية بأنواعها تحتاج إلى الحوار، مع الوالدين مع الأبناء مع الزوجة مع الخادم مع الجيران مع زملاء العمل .. الخ وتصوروا لو لم يكن هناك حواراً كيف تكون الحياة؟ إن المشاجرات والمشاحنات التى نراها فى برامج الفضائيات وعلى صفحات الجرائد وفى مباريات كرة القدم إنما هى دليل دامغ على غياب فقه الحوار بين بعض أفراد المجتمع. لقد بلغ من عظم أمر الحوار أنه

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما ينبغى لجلال وجهه ولعظيم سلطانه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير. وأشهد أن سيدنا محمداً عبداً لله ورسوله القائل له ربه **«وانك لعلى خلق عظيم»** القلم: آية ٤. فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً مباركاً إلى يوم الدين ... ثم أما بعد . لقد تقدم العلم هذه الأيام تقدماً كبيراً فى شتى مناحى الحياة، وكنا ننتظر أن تنعم البشرية بالراحة والسعادة إزاء هذا التقدم والرخاء، إنما وبالعجب حدث العكس تماماً فقد ظهرت آثار سلبية كثيرة نتيجة الانحراف فى استعمال هذه الوسائل العلمية كما قال ربنا - سبحانه - **«ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدي الناس»** الروم: آية ٤١.

واخترعت القنابل والأسلحة الفتاكة، وظهرت تجارب الاستتساخ لسلالات بشرية مشوهة بدلاً من دفع تجاربها لنفع البشرية، وظهرت القنابل الجرثومية بدلاً من محاربتها إنما أخطر ما نقله إلينا العلم فى ثورة الاتصالات حالياً هو فوضى الحوار التى اجتاحت مجتمعاتنا!!

فكلما قلبت قنوات الكثير من المحطات الفضائية تجد صياحاً وعراكاً، وضوضاء، وجلبة، وتراشقاً بالألفاظ ووجوهاً مكفهرة، وشفاهاً متوترة فتسأل . ما هذا؟ فيقولون لك . هذا حوار حول قضية كذا أو كذا .. فهل هذا حوار؟ لا وألف لا .. إن الحوار فى الإسلام له قيمه وآدابه ومنهجه وشروطه وتعالوا معى إخوة الإيمان والإسلام نطوف حول هذه المعانى

**المشاجرات
والمشاحنات
على صفحات
الصحف
والبرامج
الفضائية
دليل دامغ
على غياب
فقه الحوار بين
بعض أفراد
المجتمع الواحد**



وانظروا إلى التواضع في الأسلوب الخطابي مع الخصم والحرص على عدم استثارته عندما قال **﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين﴾** سبأ: آية ٢٤، وانظروا إخوة الإيمان والإسلام إلى حديثه عن عقائد الآخرين باحترام بغير تطاول ولا سب عندما قال **﴿قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾** الزخرف: آية ٨.

أيها المسلمون..

علموا أولادكم أدب الحوار وذكروهم بأخلاق النبي ﷺ الذى عاتبه ربه عندما تجهم فى وجه رجل أعمى علموا أولادكم قول النبي ﷺ «تبسمك فى وجه أخيك صدقة» وقوله «لا يحقرن أحدكم من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق».

ولله در الشافعى عندما قال أنا على صواب يحتمل الخطأ وغيرى على خطأ يحتمل الصواب.

نريد أن نتعلم جميعاً فن الاختلاف بغير خلاف حتى نرتقى ببلادنا وبأنفسنا وبأولادنا متذكرين وصية نبينا ﷺ «لاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تتابزوا وكونوا عباد الله إخواناً».

وصلى الله وسلم على خير المتحاورين بأدب النبیین وعلى آله وصحبه وسلم.

أول شىء دار فى خلق الكون وبين من مع من؟ بين الله - سبحانه - وملائكته الكرام **﴿وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾** البقرة: آية ٣٠.

وكذلك حوارات الأنبياء مع أقوامهم وأشهرها حوار نوح مع قومه ومع ولده وحوارات إبراهيم الخليل مع أبيه ومع قومه ومع النمرود وحوار موسى مع فرعون .. الخ وكلها مذكورة ومبينة فى كتاب الله سبحانه.

كما أن السنة المطهرة تركت تراثاً نبويا هائلاً من الميراث النبوى المبارك، رأينا فيه الحبيب ﷺ، وهو يحاور عمه أبا طالب ويحاول دعوته لدين الله، ورأيناه فى محاوره الوليد ابن المغيرة، وعقبة بن أبى معيط، ووفد نصارى نجران، وفى كل هذه الحوارات، لم نر النبى ثائراً أو متجهماً أو ساباً، بل على العكس فإن تباشير الحنو التى كانت ترسم على محياه الشريف كانت من أكبر أسباب استمالة غير المسلمين لدعوته إنه أدب القرآن ومدرسة النبوة التى تمنع حتى من التطاول على وثن يعبد أو صنم عند المشركين يقدس يقول تعالى **﴿ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾** الأنعام: آية ١٠٨.

وانظروا إلى عظيم أدب الحوار فى قوله تعالى مخاطباً الكافرين بقوله **﴿لکم دینکم ولى دین﴾** الكافرون: آية ٦.

الأوقاف وحماية الآثار في مصر

د. أحمد عوف محمد عبد الرحمن



بفضل مبدأ تأييد الوقف - وبما له من قدسية وحرمة في النفوس - تكونت ثروة كبيرة من الآثار: مثل التحف والمقتنيات النادرة، إلى جانب المباني والمنشآت الأثرية وما فيها من نقوش وزخارف.. ومنها المساجد القديمة والأسبلة والتكايا والحمامات الشعبية، والأسواق، والقباب، وبعض القصور والبيوت الشهيرة، فمعظم الموجود من تلك الآثار في مصر الآن هو عبارة عن «أعيان موقوفة».

ووفقاً لمنطق التحليل المؤسسي، فقد كان من المفترض أن تتطور تلك المؤسسات لتتلاءم مع المتغيرات الجديدة في كل مرحلة تاريخية، أو أن تندثر بزوال الغرض الذي وجدت من أجله، أو بظهور مؤسسات بديلة أكثر كفاءة وتطوراً.. ولكن الذي حدث هو أن معظم تلك المنشآت الوقفية ظلت قائمة لفترات طويلة، وبعضها لا يزال موجوداً حتى الآن، بالرغم من توقفها عن أداء وظيفتها الأصلية: كأسبلة المياه، والتكايا، والحمامات الشعبية القديمة.. وغيرها، والسبب الرئيسي في استمرار وجودها كونها "موقوفة" أي: أوجدها مؤسسها لتبقى على الدوام، ضامناً لها ذلك من خلال «نظام الوقف»، الذي بفضل استمرار الكثير منها، وأصبح «ذمة أثرية وسياحية»^(١).

ففي مصر نجد أن الإدارة الحكومية الحديثة منذ عهد محمد علي باشا قد تنبعت إلى أهمية تلك المؤسسات الوقفية الموروثة عن العهود السابقة: كمصدر من مصادر تكوين الثروة الأثرية في مصر بصفة عامة. وحفظت لنا سجلات ووثائق تلك الفترة وقائع الاهتمام الحكومي الرسمي بالآثار الوقفية: ومن ذلك أنه حدث في سنة ١٢٤٢هـ - ١٨٢٦م أن تقدم بعض الباحثين الإنجليز عن الآثار - في مصر - بطلب إلى محمد علي باشا للحصول على إذن منه ليسمح لهم بخلع عتبة «جامع الميرآخور» بباب النصر بالقاهرة، لأن على تلك العتبة خطوطاً أثرية قديمة. فكان جواب الباشا هو الرفض الشديد، وتقول الوثيقة التي سجلت الواقعة: إن محمد علي طلب «تفهيمهم عدم جواز ذلك، وأن يقال إننا ما زلنا نسمح لهم بإعطاء كل حجر

تلقى متحف الفن الإسلامي عدة وقفيات اشتملت على مجموعات نادرة من المقتنيات الأثرية ذات القيمة الفنية والتاريخية الكبيرة

عهد على المدة المنحصرة بين فتح العرب لمصر، وبين وفاة محمد على، مما له قيمة فنية أو تاريخية، أو أثرية». وتشير وثائق المشروع الأصلي لهذا القانون إلى أن الأعيان الموقوفة التي تنطبق عليها أحكام القانون تشمل: الجوامع والخوانق والأسبلة والكتاتيب والحمامات والقلاع، وما يتعلق بتلك المنشآت من منقولات مثل المصاحف والكتب والعملات.. إلخ».

أما بالنسبة لمواد الفنون الجميلة والمتحف التي وجدت بالمنشآت الوقفية وغيرها، فقد بدأ التفكير في إنشاء «متحف للفن الإسلامي» لوضعها فيه، وذلك منذ سنة ١٨٩٢م، وفي سنة ١٨٩٩م طلبت لجنة حفظ الآثار العربية من الحكومة أن تقوم بوقف بعض الأطنان الأميرية الحرة، ولكن اللجنة المالية رفضت فكرة وقف الأطنان، واكتفت بتخصيص ربعها للغرض المقصود تخصيصاً إدارياً، وتكشف «وثائق لجنة الآثار العربية» - بما فيها وثائق تأسيس متحف الفن الإسلامي بباب الخلق بالقاهرة - عن عزم اللجنة آنذاك للعناية بتلك الآثار التي حفظتها المؤسسات الوقفية على مر العصور السالفة؛ من أجل إعادة توظيفها لتكون «من وسائط الرقى في الصناعة الشرقية، والمحافظة على خصوصية التراث، ولجذب السواحين، على حد ما عبر عنه دكريتو تعيين قومسيون للآثار التاريخية بمصر»^(٣).

وبعد أن نشأ متحف الفن الإسلامي تلقى عدة وقفيات أثرية، كانت أهمها على الإطلاق وقفيات الأمير يوسف كمال^(٤)، التي اشتملت على مجموعات نادرة من المقتنيات الأثرية ذات القيمة الفنية والتاريخية الكبيرة وقد حرص "الواقف"

يجدونه في مواضع مختلفة، فلا يصح أن نعطيهم الأحجار التي في مباني الجوامع أيضاً»^(٢).

واستمر هذا الاهتمام الرسمي بالمؤسسات الوقفية في عهد محمد على، وتضمنت اللائحة الأولى لديوان عموم الأوقاف الذي أنشأه في سنة ١٢٥١هـ - ١٨٣٥م نصوصاً كانت في معظمها متعلقة بالمحافظة على الجوامع والتكايا وأسبلة المياه الموقوفة، كما أن اللائحة الثانية للديوان الصادرة في سنة ١٢٧٦هـ - ١٨٥١م في عهد عباس باشا الأول قد تضمنت نصوصاً مشابهة لما نصت عليه اللائحة الأولى .

ثم صدر في ١٨/١٢/١٨٨١م أول دكريتو (قانون) بتشكيل «لجنة حفظ الآثار العربية القديمة» تحت رئاسة «ناظر عموم الأوقاف»، وكان من المهام الرئيسية لتلك اللجنة حسب نص الدكريتو: «ملاحظة صيانة الآثار العربية وإخبار نظارة الأوقاف بالإصلاحات والمرممات المقتضى إجراؤها»، وذلك حتى يمكن للنظارة أن تطابق الإصلاحات المراد عملها مع «شروط الواقفين» المنصوص عليها في حجج وقفياتهم بخصوص ما سيتم إصلاحه، على أن يكون تمويل ذلك من ريع الأوقاف التي تحت إشراف نظارة الأوقاف».

وفي ١٣/٤/١٩١٨م صدر القانون رقم «٨» لسنة ١٩١٨م «لحماية آثار العصر العربي» ونصت مادته الأولى على أنه «.. يعد أثراً من آثار العصر العربي كل ثابت أو منقول يرجع

تعتبر المؤسسة الوقفية مصدراً من مصادر تكوين الثروة الأثرية في مصر منذ عهد محمد على باشا

على تسجيل تلك الآثار قطعة قطعة في حجج وقفياته، مع وصف تفصيلي لكل منها وذكر منشأ صناعتها، وتاريخ صنعها وثمانها الذي قدرت به (في سنة وقفها) وقد اشترط أن تكون جميعها - «بلغت ٤٩٥ قطعة» - وقفاً «وتنقل إلى دار الآثار العربية الإسلامية المصرية بجهة باب الخلق».. لينتفع بها استغلالاً فقراء المسلمين، وبرؤيتها ومشاهدتها الصانع والمخترعون وغيرهم من الهيئة الاجتماعية، تعلماً واستفادة ومشاهدة، ويصرف ريعها للفقراء والمساكين من المسلمين على الدوام»^(٥).

وقد استمر إشراف وزارة الأوقاف على قطاع الآثار إلى سنة ١٩٣٦م، ثم نقل إلى وزارة المعارف في تلك السنة، ثم أصبحت هناك هيئات رسمية متخصصة بعضها يتبع وزارة الثقافة، وبعضها الآخر يتبع وزارة السياحة، وذلك في أعقاب ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م، وانحسر اختصاص وزارة الأوقاف عن هذا المجال، وأصبح مقتصرًا فقط على إدارة الأعيان الموقوفة واستغلالها اقتصادياً؛ للإنفاق على المنشآت والمباني الأثرية صاحبة الاستحقاق في ريع تلك الأوقاف.

وقد اشترط - أيضاً - أنه «... ليس للنظر على هذا الوقف، ولا لأى قراض شرعى، ولا لأحد غيرهما حق مطلقاً في بيع الأشياء الأثرية الموقوفة، ولا أى منها، ولا هبته، ولا استبداله، ولا تغييره، بل تبقى وقفاً محفوظاً على وجه ما ذكر وأن يكون النظر عليه لكل من يكون ناظراً لوزارة الأوقاف المصرية - بصفته - فإن تعذر، يكون النظر لمن يقرره قاضى المسلمين الشرعى بمصر».

هذا، وقام الأمير يوسف كمال في سنة ١٩٢٥م بوقف مجموعات أخرى من القطع

الأثرية «صناعة الصين»، ومجموعات من الأقمشة القبطية التي يرجع تاريخها على القرن السابع والقرن الثامن للميلاد، ومجموعات من اللوحات الفنية والكتب الخاصة بالفنون الجميلة والعمارة وبصنع الصور المجسمة، وجعلها وقفاً، ليستفيد منها المشاهدون وطلاب العلم «بدون مقابل»، وقد وضعها في صيغة «الوقف» تحصيلاً لها، وضماناً لبقائها وعدم تبديدها^(٦).

الهوامش:

١ - إبراهيم البيومى غانم: الأوقاف والسياسة في مصر - دار الشروق للنشر والتوزيع - القاهرة - ط/ ١، ١٩٩٨هـ - ص ٢٨٥.

٢ - دار الوثائق بالقاهرة - محفظة الأبحاث رقم ١٢٧ - ملخص مكاتبة بتاريخ ٢٦ شوال ١٢٤٢هـ.

٣ - دار الوثائق بالقاهرة - محافظ عابدين - محفظة رقم ١٦٣.

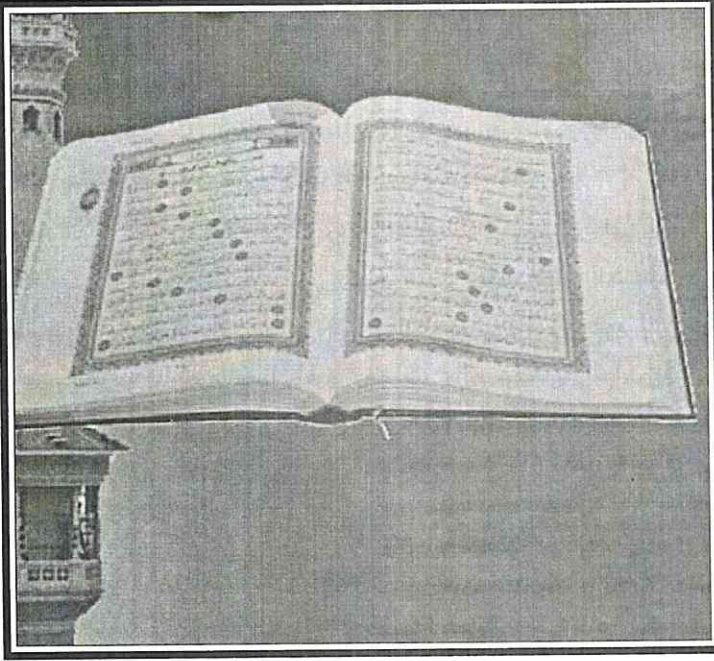
٤ - وقفيات الأمير يوسف كمال المحتوية على «الآثار» المشار إليها تقع في إحدى عشرة حجة محررة جميعها بمحكمة مصر الشرعية، كانت أولها بتاريخ ٢٠ من المحرم ١٢٣٠هـ - ١٩١٣/٢/١٨م وآخرها بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٤٥هـ - ١٩٢٧/٢/١٤م وجميعها بسجلات وزارة الأوقاف.

٥ - حجة وقف الأمير يوسف كمال المحررة بتاريخ ٢٠ المحرم ١٢٣٠هـ - ١٩١٣/٢/١٨م أمام محكمة مصر الشرعية (سجلات وزارة الأوقاف - سج ٢٥ / مصر - سلسلة ٧٧).

٦ - الأوقاف والسياسة في مصر - مرجع سابق - ص ٢٨٤، ٢٨٨ (بتصرف).

الإسلام والآخر

أ.د. محمد محمد أبو ليلة



وقد سبق «هيرقليطس» «هيجل» في تصور الوجود باعتباره حاملاً للأضداد. إن ما يحمله الغرب على الآخر من مقولات عنصرية وعدائية، إنما هو من صميم مقولة «صدام الحضارات» و«نهاية التاريخ»؛ و«البقاء للأقوى» والتي تهدف في النهاية إلى تفرد الحضارة الغربية بالساحة العالمية أو الكونية؛ وسوف نتبين من خلال هذا البحث أن اتهام الغرب للإسلام والمسلمين بالعنف والإرهاب لا أساس له، ونتبين بالدليل والتحليل أبعاد هذه التهمة وتهافت مضمونها، وما تحمله من شر في الحاضر والمستقبل ضد البشرية كلها، وذلك لأنه إذا نجحت هذه المقولات وذلك التتميط المغالط فيه ضد أمة ما، فإنه بلا شك سوف يُستخدم مبرراً للاعتداء على أي أمة أخرى، وبالتالي فلن تسلم أية أمة من الأمم من آثاره المدمرة. ونؤكد أن الإسلام لا يدعو قط إلى إنكار الآخر، أو معاداته واستبعاده، أو التخلص منه، لأن «الآخر» في التصور الإسلامي لا يعني العدو المتربص دائماً، ولكنه يعني أيضاً بالدرجة الأولى

الآخر بمعنى غير؛ كقولك رجل آخر وثوب آخر، ومعنى اليوم الآخر يعني غير الأول. والآخر مقابله «الأنا»، وهو الذات التي ترد الأفعال إليها، أفعال الشعور جميعها، وجدانية كانت أو عقلية، أو إرادية، وهو المكلف والمحاسب، والمثاب أو المعاقب. يقول تعالى: «... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ» الأنعام: آية ١٦٤ (١).

كثُر في هذه الأيام الحديث عن الآخر، وطال، واتسع مداه؛ والإسلام اليوم متهم بإنكار الآخر أو نفيه. وهذه التهمة البشعة هي إحدى مرتكزات الحملة الإعلامية في الغرب، الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، إذ يتهم الإسلام من قبل خصومه، والمشتنعين به في الغرب، بأنه دين ينفي الآخر، ولا يعترف به، و«الآخر» كما يصوره الغرب في معركة الصراع اللغوي، والصراع العقائدي والأيديولوجي يشبه الشيء ونقيضه في الجدلية الماركسية التي ترجع في أصلها القديم نسبياً إلى الفيلسوف الألماني «هيجل». والتضاد عند «هيجل» يعبر عن حقيقة الوجود، وعن الواقع الحقيقي. وقد بلور هذه الضدية «صمويل هنتنغتون»، ووضعها في سياق سياسي عسكري في مقولته «صدام الحضارات».

عنصراً من عناصر التكامل والتعاون بين البشر، كما يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: آية ٢.

أسباب العداء ومعركة «الآخريّة»

«الآخر» فى الوضع اللغوى يعنى أى شخص، وأى شىء غيرك. الآخر هو كائن يحمل صفات خاصة به، ليس فيك أنت. ومن هنا يقال «شخص آخر»، و«فكرة أخرى»، و«بلد آخر» و«موقف آخر» أى مغاير، ويقال: «الشرق آخر أوروبا»، و«أوروبا آخر الشرق»، وتتضمن «الآخريّة»، معنى الاختلاف.

الشرق هو بتعبير «فولتير» «الحضارة التى يدين لها الغرب بكل شىء»، وإذن فالآخران عند هذين العالمين الكبيرين متعاونان، متكاملان. يرى المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى أن «لقاء الغرب بالشرق يمثل أهم أحداث عالم عصرنا الراهن».

ومن علماء الغرب من يعترف بفضل الحضارة الإسلامية، والعربية على أوروبا، ومنهم من يتكلم بازدراء عن الحضارات الشرقية، بشكل عام، معتبراً «الآخريّة» تضاد، وصراع، وتصادم. على سبيل المثال، فإن «تشارلز ساندرز بيرس» يتكلم بازدراء عما أسماه بـ«صوفية الشرق الوحشية».

وأعرب «آرثر كويستلر» عن رفضه لعقائد الشرق، واصفاً إياها بأنها: «شبكة من الأراجيف فى ثوب مهيب».

ولقد تلقى الشرق باعتباره «آخر» بالنسبة لأوروبا ضربات كلامية كثيرة، يعكس ذلك عبارات مثل «الأبهة الشرقية»، و«الشهوانية الشرقية»، و«المكر الشرقى»، و«الفضاظة الشرقية»، الشرق «غريب مثير»: والشرق هو «الطاعون الأصفر»، «الاستبداد الشرقى»، «الظلامية الخرقاء»، «الشرق هو الآخر المنذر بالأخطار».

وننوه بأن النظرة السلبية إلى الآخر على المستوى الأعمق، متجذر فى الثقافة الغربية، ويرجع إلى عصر «هيرودوت»، وإلى الصراع الملحمى بين الهيلينيين، والفرس التى تمخضت عن فكرة أن الغرب بطولى، محب للحرية، وحركى، أما الشرق فهو جامد، وراكد، وسلبى، واستبدادى..

إن «الآخر الغربى» يسعى دائماً إلى احتواء عصارة الآخر الثقافية والفكرية، ثم تركه يعانى من الجفاف، والجفاء، حتى

ينزوى أو ينطوى.

يقول «رورتى»: «إن الغرب أصبح بشكل عام نوعاً من الحيوانات القارئة التى تقتات على كل شىء، وتلتهم جميع الثقافات الأخرى» (٢).

الحضارة الغربية ديناصور آيل للانقراض، فهى تسعى إلى ابتلاع كل الثقافات، والقيم، والهويات الأخرى، فمهندسو الحضارة الغربية، ومنظروها، ومعملاؤها من المستشرقين والمترجمين قد أسقطوا المقالات والمسلّمات والاهتمامات الغربية على الأفكار الشرقية فى محاولة منهم لإخفاء معالمها وراء الأصباغ والمساحيق الغربية.

وقد لاحظ «إدوارد سعيد» و«هارفى كوكس» ذلك فى أواخر السبعينات، وقد عبر كلاهما عنه بالقول بأن الشرق لم يعد أكثر من «أسطورة تتوى فى رؤوس الغربيين»، وشاشة ملائمة يسقط عليها الغرب صوراً معكوسة لمظاهر النقض عنده. (١٩٧٧: ١٤٩).

ويقول جى جى كلارك فى هذا السياق إنه «أصبح مألوفاً فى السنوات الأخيرة أن نتحدث عن «الشرق» باعتباره خلقاً أو افتراضاً ذهنياً غربياً، وكأنه مؤلف من خطاب غربى، وليس حقيقة قائمة وموجودة مستقلة... وتصبح اللغة ذاتها، حسب النظرة، أداة لا شعورية لإسقاط المسلّمات والقيم الغربية». «على الثقافات الأخرى» (٣).

وهذا الكلام يؤكده مايجرى اليوم

عنده قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ النمل: آية ٤٠، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ البقرة: آية ١٥٢، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: آية ٧.

وشكر الله على النعمة يستوجب الإيمان بلا شك، لأن الله تعالى لا يطلب من الكافر شكراً على نعمه، لأنه جحد أعظم النعم أصلاً، وهى نعمة الإيمان بالله تعالى، والثقة فيه، والتوكل عليه. ولذلك قال الراغب الأصفهاني «وأعظم الكفر جحود الوجدانية أو الشريعة أو النبوة، والكفران فى جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر فى الدين أكثر، والكفور بصيغة المبالغة، يكون فيهما جميعاً» ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَاقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً﴾ الإسراء: آية ٩٩، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ الفرقان: آية ٥٠ (٤).

ويطلق الكفر على من أبطل الشريعة، أو أخل بها، وترك ما لزمه من شكر الله ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ يدل على ذلك مقابلهته بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمَلْ صَالِحاً فَلَأَنفُسَهُمْ يَمْهَدُونَ﴾ الروم: آية ٤٤، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ النحل: آية ٨٣.

ومن الكفر الإخلال بأحد أركان الشريعة فى قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران: آية ٩٧.

ومما يقابل «المؤمن» الملحد، وهو المائل بجنبه وقلبه عن الله تعالى، إنه ينكر الله تعالى، ولا يعترف بوجوده. فإذا كان هذا الشخص يجاهر بالحاده، ويدعو إليه، ويتحدى مشاعر المسلمين، ويهدد أمنهم من الداخل، أو بالتآمر مع العدو الخارجى، فإنه يخضع لحكم لشريعة، ديانة وقانوناً، ويلحق بالكافر والملحد «المادى والطبيعى» الذين لا يؤمنون بما وراء هذا الكون المشهود، ولا يؤمنون بالغيبات.

وفى الإخلال بأحكام الشريعة فى المعاملات يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبِطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ

من حملات مكثفة ضد الإسلام والمسلمين، لتشويه حضارتهم، وتأسيس الشعوب المسلمة وإخضاعها للنمط الغربى العبودى بشكل مطلق، ودون نقد أو مراجعة، سواء من قبل الغربيين المستعبيين بثقافتهم أو من قبل الشعوب المستهدفة من الغرب.

«الآخر» تحديد الدلالات:

وهنا لابد أن نقوم بعملية تفكيك أو تحليل لكلمة «الآخر»، ولمعرفة الموضوع أو الموضوعات التى تشير إليها هذه الكلمة، وقد سبق أن قلنا إن الآخر قد تعنى «غير»، وقد تعنى مقابل «الأول» سواء كان هذا الأول شخصاً أو شيئاً، قولاً كان أو فعلاً.

فإذا أُطلق «الأول» فإن مقابله إذن ليس الإنسان، وإنما الحيوان، اللهم إلا إذا كان التقابل بين صفات، فنقول «هذا إنسان عالم»، و«ذلك إنسان جاهل»، «هذا إنسان خير» و«ذاك إنسان شرير»، وهكذا..

وإذا كان «الأول» أو المستثنى منه مؤمناً، كان «الآخر» كافرًا؛ والكفر أنواع: كفر بالله تعالى، أى إنكاره وعدم الإيمان به مطلقاً؛ وكفر بالنعمة يتمثل فى جحودها أو استخدامها فى عصيان الله تعالى وإمساكها عما وهبت من أجله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ إبراهيم: الآيتان ٢٨، ٢٩، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً

اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿البقرة: الآيتان ٢٧٥، ٢٧٦﴾

وقد عاقب الله جاحدى النعمة، كما قال فى حق أهل سبأ، أصحاب الجنتين الذين جردهم من نعمه عليهم، عقوبة لهم ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ سبأ: آية ١٧. وقد يكون الكفر أو الكفران متمكن فى الطبع، كما فى قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ الزخرف: آية ١٥، ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ عبس: آية ١٧، ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورُ﴾ سبأ: آية ١٣.

ومن نعم الله على عباده أنه بغض إليهم الكفر، والفسوق، والعصيان، ولذلك فهم لا يزالون قَلْتُونَ فى سَيْرِهِمْ إلى الله، لا يستقرون، ولا يرتاحون حتى يكتشفوا الحق، ويعرفوا الحقيقة، ويؤمنوا بها، ويستقروا عليها.

ومن الكفر: الإنكار الفعلى لله تعالى، ومكابرة شرعه استكباراً فى الأرض، واستحباباً للكفر على الإيمان، فقد وصف الكافر فى القرآن بهذه الأوصاف ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ نوح: آية ٢٧، ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ إبراهيم: آية ٣٤.

ووردت الإشارة فى القرآن الكريم إلى «المرتد» بالفعل، لا بالاسم، وأنذره الله تعالى بالويل والثبور فى الدنيا والآخرة، دون تحديد لنوع العقوبة، وللآخر «المرتد» عقوبة مقدرة، تسبقها المراجعة والاستتابة، وتكرير ذلك عليه، حتى لو استغفر ذلك العمر، هذا ما لم يعظم خطره على الدين والدولة، وإنما يستوجب سرعة القضاء، والفصل فى الأمر. يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَإِمَّتٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة: آية ٢١٧. ولكنه ورد فى الحديث قوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه».

وقد يعبر به «الكافر» عن «الزارع»: لأن الزارع يستتر بذوره

بالتراب، لتنمو ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الحديد: آية ٢٠، و«الكافر» يستتر كفره خوفاً، وإما أن يُغلفه بمسائل علمية، ونظريات تبرر لكفره، أو تدعو إليه، وتزينه.

«الآخر» فى القرآن الكريم

ولننظر فى البداية إلى «الآخر»، وماذا تعنى هذه الكلمة فى التعبير القرآنى، وفى التصور الإسلامى بشكل عام. وردت هذه الكلمة فى القرآن الكريم بالمفرد، والمثنى، والجمع، وفى الإشارة إلى المذكر، والمؤنث، ومن هذه الكلمات ما استعمل فى المدح، ومنها ما استعمل فى الذم، أو فى التقرير، أو فى التحديد، أو فى التصنيف، على سبيل المثال فأول ذكر للكلمة فى القرآن، جاء فى آية واحدة جمعاً ومفرداً، يقول تعالى: ﴿وَأَخْرُوجُوا اعْتَرِفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة: آية ١٠٢.

ويقول فى السورة نفسها، وبعد أن أمر الله تعالى بالعمل الخالص: ﴿وَأَخْرُوجُوا مُرْجُونَ لَأَمْرُ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: آية ١٠٦.

ومعنى «مُرْجُونَ» مُؤَخَّرُونَ، من الإرجاء، وهو التأخير يعنى أن هؤلاء موقوف أمرهم وموكل إلى الله تعالى، لا يقطع لهم بتوبة. وفى الآيات: (١٠٠ - ١١١) يتكلم الله تعالى عن الآخر، ليس باعتبار أصله

أو للبشرية. والنفاق وإن اختلفت أسماؤه وأنماطه ووسائله، فجوهرة واحد.

وتأتى كلمة "آخر" فى القرآن فى نفي الشريك عن الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الحجر: آية ٩٦، فهذا تهديد لمن يشرك مع الله تعالى أحداً فى ملكه، أو قوته، أو سلطانه، أو فى عمله، أو خالقيته.

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْقَلَىٰ فِي جَهَنَّمَ مُلُومًا مَّدْحُورًا﴾ الإسراء: آية ٢٩، تنص هذه الآية على أن الشرك بالله تعالى مذممة ومذلة، وهلكة فى الدنيا والآخرة، ولا شىء فى الدنيا يُغْنَى أو يعوض عن الإيمان بالله الواحد إذا فقد الإنسان ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ المؤمنون: آية ١١٧، تقرر هذه الآية أن الذى يتخذ إلهاً آخر غير الله الحق تبارك وتعالى، فإنه يترك أمره لله، فإن مات على شركه، فإنه يموت كافراً خاسراً.

وتطلق كلمة «آخر» فى القرآن للتعبير عن إحدى مراحل خلق الإنسان ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ المؤمنون: آية ١٤، فالإنسان نفسه صار «آخر» فى دورة تكوينه آخر مختلف عما كان عليه فى أصل النشأة، مابيناً للخلق الأول أبعد المباشرة، حيث جعله حيواناً، وكان جماداً وناطقاً، وكان أبكم، وسميعاً، وكان أصم، وبصيراً، وكان أكمه، وأودع ظاهره وباطنه، بل كل عضو من أعضائه عجائب وأسرار، وغرائب، منها يدرك بالفطرة، ومنها ما يحتاج إلى الأوقات، والمجلدات، والمشاهدات، والوسائل والأدوات الكثيرة لمعرفته، والوقوف على كنهه.

وتطلق كلمة «الآخر» كذلك للتعبير عن أحد أنواع العذاب التى سيصلاها الظالمون، والطاغون يوم القيامة عقوبة لهم على أعمال اقترفوها ضد أنفسهم وضد الآخرين، سواء كان هؤلاء الطاغون مسلمون، أو غير مسلمين يقول تعالى: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرًّا مَّابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيُسَّسُ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ ص: الآيات ٥٥ - ٥٨.

وتأتى الكلمة فى سياق الحديث عن بنى آدم للتمييز بين المقبول منهم والمفضوب عليهم من الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ إِنِّي لَا

إنساناً كرمه الله تعالى، وإنما باعتبار ما يصدر عنه من أفعال ضارة منكرة. ويحذر الله تعالى منها أهل الخير والاستقامة، و«الآخر» هنا هو المنافق تحديداً.

و«المنافقون» جعلهم القرآن نوعين: «الأول» منافق خالص النفاق منه ينطلق، وإليه ينتهى؛ وأما «الصنف الآخر» فهم المنافقون الذين يخلطون العمل الصالح بالعمل السىء، والنافع بالضرار، لكنهم تتوفر عندهم الشجاعة الأدبية فيعترفون بذنوبهم، فهؤلاء قد يغفر الله لهم، ولا يسد باب التوبة فى وجوههم؛ أما الذين اعتقدوا النفاق ومردوا عليه فهم يجاريون المسلمين ويضللونهم بكل السبل، حتى ولو اضطربهم الأمر إلى بناء مساجد، وإعلان الإيمان ظاهراً، فإنهم إذا بنوا دار عبادة، أو داراً للبر والإحسان، فإن ما بنوه يكون بمثابة مَنْ أَسَسَ بنيانه على شفا جُرفٍ هارٍ، يعنى على حافة بئر عميق، لم تتدعم بالحجارة، بل إنها متصدعة سريعة السقوط، وما يؤسسها المنافقون سوف يسقط بهم فى نار جهنم، لأنهم ليسوا على ثقة مما بنوا، وما فعلوا، فهم شكاك مترددون، ومتوجسون، وهكذا شأن أهل الباطل، مهما قووا أو سيطروا.

والآية وإن أشارت إلى الذين اتخذوا مسجداً ضارراً، على عهد رسول الله ﷺ، ليفرقوا كلمة المسلمين، ويمزقوا وحدتهم، فإنها عامة فى كل مضلل مخادع للمسلمين

أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ* وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ* لَكِن بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ* إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ* فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ* فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ* المائدة: الآيات ٢٥ - ٣١.

فهذه الآية جاءت إشارة إلى أول قاتل في العالم، يوم أن كان العالم تسكنه أسرة واحدة صغيرة، تشغل منه بقعة ضيقة، ليس فيها زحام أو صدام، ولا تستدعي المناقصة إلى حد قتل الأخ لأخيه، وجلب الحزن والعار على هذه العائلة الطيبة المباركة، قريبة العهد بالجنة.

وعن المنافقين والمحاربين للمسلمين، يقول الله تعالى بعد آيات متصلة، وآيات لاحقة ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزْلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَاخْذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ النساء: آية ٩١، تتحدث هذه الآية عن حالة الحرب القائمة بالفعل، وتحذر المسلمين من أن هناك منافقين مذنبين، يعلنون بألسنتهم أنهم مع المسلمين، ولكنهم بقلوبهم ينتهزون أية فرصة للانقضاض عليهم مع قومهم، وعلى الرغم من ذلك فإن الله تعالى يأمر المسلمين أنهم إن اعتزلوهم ولم يحاربوهم أن يتركوهم وشأنهم.

ومعنى «الفتنة» المشار إليها في الآية الكفر والمحاربة معا، وتنص هذه الآية على أن الكافر إذا سالم، ولم يتعرض للمسلمين بأذى، يترك. وإذن فمدار محاربة الكافر، وصدده، مشروطة بالتعرض بالقتال للمسلمين أو الانحياز إلى أعدائهم أو العمالة لهم، وليس لمجرد كفره.

والمسلمون ليسوا جماعة أو أفراداً منعزلين، وإنما هم أمة واحدة لها كيائها الديني والمدني، ولها هيبتها التي ينبغى أن

تصان. وفي هذه الآيات أيضاً نص على حكم المسلم إذا قُتل غير المسلم خطأ، فإنه ينظر إذا كان المقتول مؤمناً يعيش وسط أعداء محاربين، فإنه في هذه الحالة تكون دية تحرير رقبة مؤمنة، أما إذا كان من قوم معاهدين أو ذميين فتدفع الدية إلى أهله، وتحرر رقبة مؤمنة، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمَنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: آية ٩٢.

فتشريعات الإسلام إذن لم تجعل «الآخر» مباح الدم، أو مسلوب العرض أو الكرامة، على الإطلاق هكذا، لمجرد أنه «آخر»، بل إنها شرّعت لمن يُقتل خطأ من غير المسلمين، وفي غير حرب مبررة شرعاً: أما المقتول عمداً من غير المسلمين بيد مسلم، فإن القاتل يُقتل به، حكماً ثابتاً، اللهم إلا إذا قُبل أهل القتل الدية، أو عفواً عن القاتل؛ ولا تفريق في هذا بين مسلم وغير مسلم؛ وإلا صارت الأمور فوضى، وشاع الفساد وساد، وهدد حياة العباد، ومصالحهم جميعاً.

ومما يلفت النظر في مجموعة

٩٨، بل إن الله تعالى يشجع على الهجرة، فيقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ النساء: آية ١٠٠.

وللتخفيف على المسافر رخص الله تعالى له في قصر الصلاة، وجمعها، لأن سفر المهاجر قد تكون إلى دار غير إسلامية، وقد تكون إقامته بين قوم لا يشاركونه نفس الدين، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً﴾ النساء: آية ١٠١، وسواء كانت هذه صلاة المسافر، أو صلاة الخائف أثناء القتال مع الأعداء، أو أثناء الإقامة في أرض غير إسلامية، ولا يستطيع المسلم أن يجاهر فيها بصلاته، أو خشى إذا طول فيها لوحظ فأوذى، كان له أن يقصر صلاته ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَفْقَلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتَعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾ النساء: آية ١٠٢.

وتحمل كلمة «الآخر» إشارة إلى صنف من الناس يُحَرِّفُونَ الحقائق وينشرون الأكاذيب، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ المائدة: آية ٤١.

ويُذَكِّرنا الله تعالى بأننا إذا لم نعدل في معاملة «الآخر»، ونتمسك بالقيم الإنسانية العامة التي هي قوام الحياة، وأساس التقدم، وسر بقاء الأمم، ودوام ملكها ورخائها، فإن الله تعالى سيهلكنا، ويأتي بقوم «آخرين» يفعلون ذلك ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلَفْ مَنْ بَعْدَكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ* إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِ وَمَا أَنْتُمْ

الآيات من سورة النساء (٨٨: ١٠٤). أن يأتي الأمر بالهجرة في الأرض للاستقواء، بدل الاستضعاف، وللغنى بدلا من الفقر، والمعروف أن الأرض التي أُمِرَ المسلمون بالهجرة إليها، والانتشار فيها، لم يكن أهلها مسلمون، ولم يشترط القرآن على المسلم المهاجر أن يهاجر إلى مجتمع مسلم لا غير، أو أنه يجب عليه أن يُحوّل المجتمع الذي يعيش فيه إلى مجتمع إسلامي، وإن كان مأمور شرعاً أن يبلغ دينه بالطرق السلمية، وأن يحافظ في الوقت نفسه على عهده ووعدته مع أهل البلد الذي يعيش فيه، وأن يكون مثلاً طيباً للإسلام، وأن يعيش بدينه، ولا يتحول عنه أبداً. يقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح: «اتق الله حيثما كنت».

والدين المعاملة والسلوك الطيب، هذا ما ينبغي أن يراه الناس من المسلم، فلا خير في إيمان لا يظهر في سلوكيات صاحبه، ولا خير في صلاة لا تُعْرَجُ بصاحبها إلى آفاق البر والخير والفضيلة، وتُتَوَجَّه بتاج الكرامة والأخلاق النبيلة.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا* إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ النساء: الآيتان ٩٧،

بِمُعْجِزَيْنِ الأنعام: الآيتان ١٣٣، ١٣٤، وفى آخر الآية تحدّ من الله تعالى للمتكبرين، إذ يقول تعالى لهم إن قوتكم هذه التى تعتمدون عليها لن تحميكم من قدر الله تعالى، وإن حصونكم أو قواعدكم التى تهددون بها لن تمنعكم من الله - عز وجل -.

يقول تعالى: **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾** الأنعام: آية ٦، و«كم» هنا للتكثير، والمعنى: أننا أهلكنا كثيراً من الأمم قبلهم، فليسوا هم وحدهم الأقوياء، وليسوا هم وحدهم بأصحاب القوة المطلقة أو القرار الذى لا يرد، يقول تعالى: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾** الأنفال: آية ٥٩.

فهذا «الآخر» الذى هو مُحَارِب، أو يمكن أن يكون عنده نية الاعتداء على الآخرين، يجب إعداد القوة اللازمة لردعه ومنعه أن يغامر بالحرب ضد المسلمين، وهذا معنى «تُرْهَبُونَ» فى قوله تعالى: **﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾** الأنفال: آية ٦٠، كما نقول إن قوة الدولة العسكرية تجعل لها هيبة ورهبة فى صدور الآخرين، وتكون لهم رادعاً، بحيث لا يفكرون فى الاعتداء عليها، والرهبة قيد الرغبة. ومنها قوله تعالى: **﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾** الحشر: آية ١٢، وليس معنى «تُرْهَبُونَ» أى تنشرون الإرباب؛ كما يهرف به من لا يعرف حقيقة الإسلام ولا يهمله إلا التحريض عليهم والتشنيع بهم.

وتحقيق الرهبة التى دعا القرآن إلى تأسيسها، عن طريق إعداد القوة، هى لردع العدو، وليست لعموم الناس، كما تُرَوِّج له أبواب الدعاية الغربية ضد الإسلام والمسلمين. وللأسف فقد نقل بعض المترجمين معنى هذه الآية إلى اللغة الإنجليزية بما قد يفهم منه أن الآية فيها دعوى إلى الإرهاب. والعدو الذى يحذر منه الإسلام قد يكون ظاهراً، وقد يكون مستتراً، قد يكون موجوداً بالفعل، وقد يكون محتمل الوجود فى المستقبل، معروفاً للمسلمين أو غير معروف، على أى حال، فإعداد القوة للردع ولصيانة هيبة الأمة مطلوبة، وهذا حق من حق أى دولة كانت،

فلماذا يُهاجم الإسلام على شىء؟ يعتبر مطلباً مشروعاً لكل الشعوب؟! وهذه القوة التى يدعو الإسلام إلى بنائها وإعدادها ليست للعدوان وإنما لتحقيق سياسة التحاجز بين البشر، وردع الأعداء المتربصين، ولنع العدوان، وتضييق الفرص على من يفكرون فى الحرب.

ومن المهم توضيحه أن الإسلام يأمر ببناء القوة للدفاع، وليس للهجوم؛ والقوة فى الإسلام مطلوبة، ولكنها محكومة بالشريعة والأخلاق، وليست مطلقة. ولأهمية بناء القوة لحفظ الملة والدولة، أمر الله تعالى بالإعداد لها، ووعد كل من ينفق فى هذا السبيل بالثواب العظيم، وبالبركة فى المال والعمر.

وبالقوة يمكن الإسلام للعدل فى المجتمع ويحمى الحقوق والحريات، ويأخذ على أيدى الخارجين والعابثين. يقول تعالى: **﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾** ثُمَّ أَعْرَفْنَا **﴿الْآخَرِينَ﴾** الشعراء: الآيتان ٦٥، ٦٦، ف«الآخرين» كانوا هم العصاة المجرمون، الذين خرجوا على منهج الله تعالى، وعصوا رسوله موسى ﷺ بعد تأكيد الدعوة عليهم، فكانت العقوبة لهم الإغراق.

الهوامش:

- ١ - المعجم الفلسفى. مجمع اللغة العربية ص ٢٣.
- ٢ - التتوير الآتى من الشرق ج. ج. كلارك. ترجمة شوقي جلال. الكويت، عالم المعرفة، ص ٢٥١، ٢٩١.
- ٣ - نفسه ص ٢٩١.
- ٤ - مفردات ألفاظ القرآن ٧١٤.

فقه وأحكام



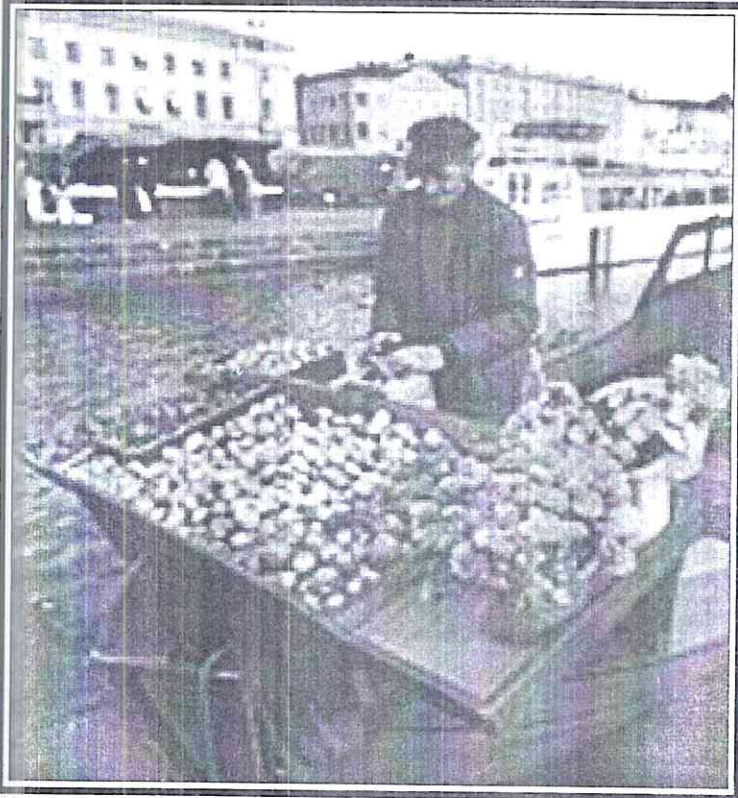
• حق الإنسان في مستوى لائق من

المعيشة بموجب الإسلام

• الأخلاق وصلتها بالعقيدة والعبادة

حق الإنسان في مستوى لائق من المعيشة بموجب الإسلام

المستشار الدكتور: محمد شوقي الفنجري



إن قضية وقصة البشر منذ البدء وحتى اليوم، وفي أية بقعة من العالم، ليست إلا قضية وقصة الصراع من أجل إقرار حقوق الإنسان.

أولاً: قصة الإنسانية هي قصة الصراع من أجل إقرار حقوق الإنسان:

وحقوق الإنسان في نظري اثنين، يتفرع عنهما سائر الحقوق، ألا وهما: حق العيش وحق الحرية:

١ - فعن حق العيش: يتفرع ضمان حد الكفاية إلى المستوى اللائق لمعيشة كل فرد: طعاماً وملبساً، ومسكناً، وتعليماً، وتطبيباً، وترفيهاً. كما يتفرع عنه حرمة المال الخاص، واحترام الملكية الخاصة..... إلخ.

٢ - وعن حق الحرية: تتفرع جميع صورها حرية دينية كانت، أم حرية فكرية، أم حرية مدنية، أم حرية سياسية.... إلخ.

ذلك أنه إذا كان صحيحاً أنه بدون الخبز لا يستطيع أن يحيا الإنسان، فإنه صحيح أيضاً أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل أنه يموت كمداً إذا لم يتنفس بالحرية. ومثل الأمس القريب، صارخ الدلالة، عندما كان الملايين من الألمان الشرقيين يهجرون بلادهم بمجرد فتح سور برلين، فلم يكن هدفهم الخبز فهم ينتمون لدولة غنية متقدمة وفرت لهم أعلى مستوى معيشة. ولكنهم كانوا يستهدفون حريتهم في التعبير والتنقل.

وعليه فإنه لكي يعيش الإنسان حياته الطبيعية، ولكي يعمل وينتج ويفكر ويتقدم، ولكي تستقيم حياته ليكون بحق كما أراد له خالقه: خليفة الله في أرضه، لا بد أن يتوافر له المستوى اللائق للمعيشة: طعاماً، وملبساً، ومسكناً، وتعليماً، وتطبيباً، وترفيهاً... إلخ، جنباً إلى جنب مع حريته الشخصية والعامّة بجميع صورها. وذلك بصرف النظر عن الخلاف حول حدود ومعايير وصور هذين الحقين الأصليين: حق العيش، وحق الحرية.

ثانياً: حقوق الإنسان لا تتجزأ:

إن حقوق الإنسان لا تتجزأ، ولم تعد اليوم حكراً على النخبة. ولقد كفر إنسان اليوم بالشعارات البراقة وبالنظريات البعيدة

الدفاع عن حقوق الإنسان التي أقرها الإسلام جهاد في سبيل الله والاستشهاد من أجلها جزاؤه الفوز بالجنة

ألوانه، وكذا الحرية بكل أنواعها، لم تعد مجرد مطلب أو أمل نصبو إليه، بل هي اليوم سلوك وواقع نندفع إليه بحتمية التطور وتلاحق المتغيرات، لافرق في ذلك بين دولة رأسمالية وأخرى اشتراكية أو بين مجتمع متقدم وآخر متخلف.

ثالثاً: أهم وثائق حقوق الإنسان:

إنه إذا كانت الإنسانية في تطورها الحديث قد أصدرت في العاشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٤٨ عن طريق الجمعية العامة للأمم المتحدة «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» بوصفه المثل الأعلى الذي تشده الشعوب والأمم كافة، وتضعه الدول نصب أعينها لضمان توفير هذه الحقوق والحرريات، والالتزام بتطبيقها على مستوى العالم، فإننا نسجل أيضاً، أن أول إعلان لحقوق الإنسان، هو ما جاء به الإسلام كخاتم الأديان منذ أكثر من أربعة عشر قرناً بمقتضى وثيقة المدينة عقب هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة.

ولقد كان هذا القول يردد دائماً، دون بيان محدد Concert كما هو الشأن في مختلف وثائق حقوق الإنسان الوضعية، غير أنه أخيراً وبمناسبة بداية القرن الهجري الخامس عشر، نظم المجلس الإسلامي العالمي الذي يتخذ من لندن مقراً له، مؤتمراً عالمياً عقد في باريس خلال شهر ذي الحجة سنة ١٤٠١هـ أي منذ نحو ربع قرن، الذي حضره كبار مفكرى العالم الإسلامي وقادة الحركات الإسلامية والدولية، وذلك لدراسة حقوق الإنسان في الإسلام حسبما وردت أو كشفت عنه نصوص القرآن والسنة. وقد صدرت عن هذا المؤتمر «وثيقة حقوق الإنسان في الإسلام» مزيلة

عن واقعه، وذلك بعد أن دهمته المشكلات وطحنته المتناقضات، بحيث لم يعد ذلك الفرد الصابر الخاضع المنكسر.

إن قضية الاختلاف بين المذاهب والنظم الوضعية سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية، لم تعد لها اليوم قيمة في مجال حقوق الإنسان. ذلك أنه لاجدوى لأية أيديولوجية أو نظام يحقق لأتباعه الأمن الاقتصادي مثلاً، في الوقت الذي يحجر على حرياتهم فيمنعهم مثلاً من حرية التعبير أو الانتقال. وبذات المستوى لاجدوى لأية أيديولوجية أو نظام يضمن لأتباعه حرية التعبير أو التنقل، دون أن يوفر لهم مناخ العمل وأسباب المعيشة اللائقة.

إن ثورة المعلومات، وثورة الاتصالات، ثم الاحساس المتزايد بأننا في مركب واحدة، ما يصيب أحد أطرافها يلحق الضرر بالجميع، قد جعل ما كان مستحيلاً بالأمس ممكناً اليوم. ونحن جميعاً نشهد في عالم اليوم معطيات مستحدثة وتحولات سريعة، تستهدف حياة جديدة: من الحرية والتعاون بين الشعوب، ومن التجمع والتكامل بين الدول، مما يستلزم تغييراً كبيراً في النظم السياسية والاقتصادية القائمة حتى تتلاءم وطبيعة هذه المتغيرات العميقة المتلاحقة.

وفى ظل الظروف والمناخ السائد اليوم، أستطيع القول بأن حقوق الإنسان متمثلة في توفير العيش بكل

حذفًا ولا نسخًا ولا تعطيلًا من حاكم، كما لا تقبل تنازلاً من فرد، وذلك باعتبارها حق المجتمع أى حق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق.

ومن ثم فإن الحفاظ على حقوق الإنسان فى الإسلام، ليس مجرد حق لكل مواطن أيا كانت ديانته أو جنسيته بوصفه إنساناً، بل هو أيضاً واجب عليه بحيث يأثم هو ذاته؟ فرداً كان أم جماعة؟ إذا فرط فيها، فضلاً عن الإثم الذى يلحق كل من يحول بين الإنسان وهذه الحقوق. ذلك لأنها فى نظر الإسلام ليست مجرد حقوق للإنسان، وإنما هى ضروريات لتحقيق حكمة خلق الإنسان ورسالته فى الحياة. كما أنها ضروريات لا تتعلق بحق الإنسان فحسب بل هى أساساً تتعلق بحق المجتمع أو بعبارة فقهاء الشريعة إنما تتعلق بحق الله الذى يعلو فوق كل الحقوق.

٢ - إن الوثيقة الإسلامية لحقوق الإنسان تفوق الإعلان العالمى لحقوق الإنسان، ببعدها الإيمانى ذلك أن الوثائق الوضعية تستمد قوتها من الضمانات القانونية فحسب أى الرقابة الخارجية، بخلاف الوثيقة الإسلامية لحقوق الإنسان فإنها تستمد قوتها من الضمانتين الإلهية والقانونية معاً، أى من الرقابة الذاتية والخارجية.

وبالتالى فإن الدفاع عن حقوق الإنسان فى الإسلام هو جهاد فى سبيل الله، كما ان الاستشهاد من

بأسانيدها الشرعية، والتى بكل أسف لم تصل إلى علم الكثير، وذلك بسبب التعتيم الغربى من ناحية لكل ما ينصف الإسلام أو يؤيده، ثم من ناحية أخرى بسبب تراخى أو إهمال المراكز الإسلامية استثمار هذه الوثيقة فى نشاطها خاصة ما أبدته الشخصيات الدولية عند إظهارها والكشف عنها محددة سنة ١٩٨١م، وعلى رأسهم رئيس دولة فرنسا المضيضة للمؤتمر وكان وقتئذ الرئيس الراحل ميثران والذى أشاد حينئذ بالدروس والعبر التى يزخر بها التاريخ الإسلامى حول حقوق الإنسان على مر العصور والقرون، مؤكداً ان غاية رسالة الاسلام هى تحقيق «العدل والتعاون بين البشر» وأن الإسلام هو «أصدق وأعمق صرخة فى تعبئة القوى الإنسانية لمكافحة قوى الظلم».

رابعاً: بين وثيقة الإعلان العالمى لحقوق الإنسان والوثيقة الإسلامية:

إذا كنا نجد قاسماً مشتركاً بين «وثيقة حقوق الإنسان الإسلامية» منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وبين «وثيقة الإعلان العالمى لحقوق الإنسان» منذ نحو نصف قرن، فإن ما تتميز به الوثيقة الإسلامية، ليس كما يتصور البعض بأنها سبقتها بأربعة عشر قرناً، وأنها قديمة قدم الإسلام، وإنما فى الواقع لاعتبارات كثيرة لعل أهمها فى نظرنا مايلى:

١ - إن الوثيقة الإسلامية لحقوق الإنسان مصدرها إلهى، فهى ليست منحة أو قراراً صادراً من سلطة محلية أو منظمة عالمية، وإنما هى شريعة الله تعالى الذى له الخلق والأمر. ومن ثم فهى دائمة الإلزام للحاكم والمحكوم على السواء، فلا تقبل

القوانين الوضعية تحمى حرية الفساد أما الوثيقة الإسلامية فلا تسمح بموامل الهدم باسم الحرية

أقر الإسلام حق الإنسان فى مستوى لائق للمعيشة بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه

الإنسان فى الحياة بأنه مستخلف من الله فى أرضه بقوله تعالى فى سورة البقرة الآية ٣٠: ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾، ومن ثم كان تكريم الله تعالى للإنسان وتفضيله على سائر المخلوقات بقوله تعالى فى سورة الإسراء الآية ٧٠: ﴿ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾، كما كان تمكينه وهيمنته على كل ما فى الأرض وما عليها وما فى باطنها وما يحيط بها بقوله تعالى فى سورة الجاثية الآية ١٣: ﴿وسخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض جميعاً منه﴾.

وخلافة الإنسان شأن كل شئ وشأن كل تفويض أو تكليف لها وجهان:

١ - الوجه الأول: هو العلاقة بين الإنسان وخالقه وهى علاقة العبودية لله وحده والالتزام بمنهجه، إعمالاً لقوله تعالى فى سورة الذاريات الآية ٥٩: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

٢ - والوجه الثانى: هو العلاقة بين الإنسان وكل ما استخلفه الله عليه، وهى علاقة سيادة على الأرض وتعميرها بقوله تعالى فى سورة هود الآية ٦١: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ أى كلفكم بعمارته.

ووسيلة الإنسان لتحقيق الوجه الأول من الخلافة وهو العبودية، هى الدين والإيمان. بينما وسيلته لتحقيق الوجه الثانى من الخلافة، وهو السيادة على الأرض، هو العلم والعمل.

وعليه فإن الإيمان والعلم هما المقومان الوحيدان لخلافة الإنسان فى الأرض بوجهيهما: العبودية من جهة والسيادة على

أجلها جزاؤه الفوز بالجنة. وعليه فإن المسلم المجاهد من أجل إقرار حقوق الإنسان، ليس أمامه سوى أحد خيارين: إما النصر فى الحياة الدنيا بإعمال شرع الله وتعاليمه وقيمه، وإما الاستشهاد فى سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الحق تعالى وبالتالي الفوز بالجنة فى الآخرة.

٣ - إن جميع الوثائق والقوانين الوضعية لحقوق الإنسان، تتطلب شرط المصلحة الشخصية المباشرة فى إقامة أية دعوى تمس حقوق الإنسان. بخلاف الوثيقة والنظم الإسلامية لحقوق الإنسان، فإنها تجعل من كل فرد ضمير مجتمعه، بحيث يصبح من حقه بل من واجبه مباشرة الدعوى «حسبة»، إعمالاً للمبدأ الإسلامى بشأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٤ - إن جميع الوثائق والقوانين الوضعية لحقوق الإنسان، تحمى حرية الفساد، إذ فى ظلها يمكن تداول الخمر، وشيوع تبرج المرأة وعريها، وحماية الشذوذ الجنسى بل والزنا، وكذا الدعوة إلى الإلحاد، وإهدار جميع القيم.. إلخ من المفاصد، بخلاف الوثيقة والنظم الإسلامية لحقوق الإنسان، فهى لا تسمح بعوامل الهدم باسم الحرية.

٥ - إن الوثيقة الإسلامية لحقوق الإنسان، انضردت بما عجزت عنه سائر المذاهب والوثائق الوضعية لحقوق الإنسان، وهو بيان حكمة الخلق، وبالتالي تحديد مهمة ورسالة

لم يستطع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أن يعطى للإنسان معنى لوجوده ورسالته ومصيره فظل إنسانا هشاً ممزقاً تضيق به الحياة ويفزوه القلق

كافة الأشياء من جهة أخرى وهما فى الإسلام متوافقان ومتكاملان وضروريان لتحقيق رسالة الإسلام، وليس بينهما شأن المذاهب والنظم الوضعية أى تعارض أو انقسام. ذلك أنه إذا لم يحقق الإنسان عبوديته لله، فإنه يفقد سيادته على الأرض، أو سيسقط حتماً فى عبوديات أخرى. وبالمثل إذا لم يحقق الإنسان سيادته على كل الأشياء والأحياء فى الأرض، فإنه سيكون عبداً لها وبالتالي يتعذر عليه أن يكون عبداً لله وحده^(١).

لذلك لا أشك لحظة أن حضارة الإسلام الأولى ممثلة فى حقيقة خلافة الإنسان فى الأرض بلغت القمة حينما التزمت بشرطيتها: العبودية لله وحده، والسيادة على الأرض، وأقلت شمس هذه الحضارة وتخلف المسلمون بقدر ما بعدت حضارتهم أو بعدوا أفراداً وجماعات ودولاً عن هذين الأصلين. ولا أشك أيضاً أن الحضارة الغربية اليوم، وإن حققت بمنهجها التجريبي، والذي أخذته عن الحضارة الإسلامية، تقدمها المادى والسيادة فى الأرض، إلا أنها قد ضلت وشقيت بانحرافها عن عبودية الله وتعاليمه^(٢) وصدق الله العظيم فى سورة الحشر الآية ١٩: ﴿نسوا الله فأنساكم أنفسهم﴾.

ونخلص مما تقدم أن الإعلان العالمى لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م، والذي يعتبر ذروة ما حققته البشرية، لم يستطع أن يعطى للإنسان معنى لوجوده ورسالته ومصيره، فظل بالرغم من تقدمه المادى حتى غزوه للفضاء، إنساناً هشاً ممزقاً تضيق به الحياة ويفزوه القلق، وتلك هى أزمة الإنسان المعاصر، الأمر الذى تعالجه

وثيقة حقوق الإنسان الإسلامية حيث تمنحه السلامة والطمأنينة النفسية بتوعيته بالمعنى الصحيح لوجوده ورسالته ومصيره. ذلك أن من عظمة الفكر الإسلامى وباعتبار أن الإسلام هو خاتم الأديان، هو الوحيد بين كل الأديان والنظم الوضعية جميع الذى يجيب بكل وضوح وإقناع حسبما بينا، على ذلك السؤال الأزل الذى تاهت فيه الأفهام وتعددت فيه المذاهب وضلت فيه المسالك، وهو لماذا خلقنا وإلى أين المصير، وصدق الله العظيم فى سورة المؤمنون الآية ١١٥: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾، وقوله تعالى فى سورة آل عمران: الآية ١٤٢ ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾.

الهوامش:

١ - عن شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإنسان لا يمكن إلا أن يكون عبداً، فهكذا خلقه الله تعالى، فهو أمر جبرى لا يملك تغييره أو تبدليه. غير أنه - عز وجل - جعل عبودية الإنسان محل ابتلاء، له فترك له حرية اختيار معبوده؟ انظر فتاوى ابن تيمية المجلد الأول ص ٣٦ والمجلد الرابع ص ٢٤٩.

ومؤدى ذلك أنه إذا لم يجعل الإنسان عبوديته للحق تعالى وحده، وقع حتماً فى عبوديته لغير الله تعالى سواء عبد الهوى أو الطاغوت أو الجاه أو المال أو المعشوقة أو الوثن... إلخ من الأصنام أو الأهواء.

٢ - انظر كتابنا (الإسلام والمشكلة الاقتصادية) ص ١٠٨ الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٧م، الناشر دار الوطن بالرياض.

الأخلاق وصلتها بالعقيدة والعبادة

د. سالم عبد الجليل



• العلاقة بين الإيمان والسلوك علاقة وثيقة:

ونلاحظ ذلك في نصوص كثيرة مثبتة في الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت..» متفق عليه.

• حسن الخلق دليل كمال الإيمان:

قال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً» (١).

• ضعف الخلق مرده إلى ضعف الإيمان:

وفى هذا المعنى يقول ﷺ: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه» (٢).

لقد أصبحت الشكوى مريرة، لما أصاب الناس في العصور المتأخرة، من انهيار في الأخلاق، واضطراب في الموازين، فالجاري يؤدي جاره، والأمانة ضاعت بين الناس، والمراوغة راجت سوقها، والتعلق بمتاع الدنيا فاق كل القيم عند كثير من البشر، وأنه لخطر عظيم ينذر بالشرور والفوضى، بل وذهاب هيبة الأمة واضمحلال كرامتها، وصدق الشاعر إذ قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وان ضعف الخلق دليل واضح على فساد التصور وضعف الإيمان، بل ويعتبر انقساماً وازدواجية في شخصية المسلم.

إن الإيمان الصادق لا يعنى حفظ بعض المتون في العقيدة أو حتى تعلمها إذا لم يتمثل المرء أخلاقياتها، بل لابد من تحويل العقيدة - وكذا العبادة - إلى واقع عملي في الحياة والتعامل بين الأنام تأسيساً برسول الله ﷺ وصحبه الكرام الذين تحولوا إلى نماذج فريدة سلوكاً وإخلاصاً وطهراً.

إن من أهم ما يحتاجه الناس اليوم هو صياغة حياتهم صياغة إسلامية، ولا يتأتى هذا إلا بمعرفة أن الأخلاق والسلوك يرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة من ناحية وبالعبادة من ناحية أخرى.

• الخلل في السلوك من أمارات النفاق:

قال ﷺ: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وحج واعتمر وقال: إني مسلم! إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»^(٢)؛ ذلك لأن الإيمان حقيقة وكل حقيقة لها علامة، وعلامة الإيمان العمل به، وإذا دخل الإيمان القلوب، واستقر فيها نبضت بالحيوية، ودفعت النفوس إلى العمل الصالح والسلوك الطيب.

• العبادة الصحيحة تهذب السلوك:

لأنها تزكي نفس صاحبها وتوجه سلوكه توجيهاً شافهاً متورعاً عن الحرمات، وتهذب أخلاقه وتقومها باستمرار.

- فالصلاة، تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ سورة العنكبوت، الآية ٤٥، ويقول جل وعلا: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ سورة الماعون، الآيات: ٤ - ٧، إن هؤلاء لو كانوا يقيمون الصلاة حقاً لله تعالى، ما منعوا العون عن عباده، وهذا هو المحك الحقيقي للعبادة الصادقة المقبولة عند الله كما أن الرياء يترك الأعمال خواءً ويصيرها هباءً.

- والصيام جنة: فلا يمتنع المسلم فقط عن الطعام والشراب بل عليه أن يجتنب كل ما حرم الله تعالى، وإلا فلا أجر له، قال ﷺ: «من لم يدع

قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٤).

- والزكاة ليست دفعاً للمال فقط وإنما هي تطهير المال والنفس، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ سورة التوبة، الآية: ١٠٢، ومن أجل ذلك وسع النبي ﷺ في دلالة كلمة الصدقة التي ينبغي أن يبذلها المسلم فقال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة»^(٥).

إن علاقة الأخلاق بالعبادة علاقة وطيدة، فقد لا تنفع المرء صلاة ولا زكاة أو صيام يوم القيامة، إن كان من المفسدين المعتدين على الناس.

• ثواب العبادات يضيع سدى إذا لم تتهذب السلوكيات: سأل الرسول ﷺ يوماً أصحابه فقال: «أتدرون ما المفلس، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؛ فقال: «المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»^(٦).

ولاحظ هنا أن النبي ﷺ قال: «ما المفلس»، مع أن قواعد اللغة تقول: إن (ما) لغير العاقل فكيف يستعملها النبي - عليه الصلاة والسلام - للعقلاء؟.

وهو سؤال وجيه إجابته في شعر المتنبي حين قال:

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

حولى بكل مكان منهموا خلق
تخطى إذا جئت في استفهامهم بمن

فكأن النبي ﷺ عاملهم معاملة من لا يعقل إذ لو كانوا يعقلون لما وقعوا فيما وقعوا فيه.

إن العبادات تلتقى عند الغاية التي رسمها رسول الله ﷺ في قوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(٧).

والمسلم الحق هو: «من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما حرم الله»^(٨).

عندما نلمس ذلك عند بعض من يتخذون ظاهرة التورع والتدين وسيلة لمآربهم الخاصة.

وبعد أن يضمحل أثر الإيمان فى النفوس، يستمد الناس قيمهم فى التعامل من الهوى والمصلحة الشخصية، بل تصبح هذه المصلحة هى الشاغل الأول لأمثال هؤلاء، ومن هنا فلا يرجى من أعمالهم خير مهما تلبسوا بالصلاح.

لقد غزت فلسفة الغربيين مجتمعاتنا المسلمة، ويرى أصحاب هذه الفلسفة (النفعية) أن السعادة الحققة هى التى يشعر بها الإنسان نتيجة لإشباع دوافعه الطبيعية وغرائزه الحسية دون التقيد بدين أو خلق قويم. عملاً بقاعدة الغاية تبرر الوسيلة، وهى تمثل مبدأ مادياً مرفوضاً.

وفى المقابل يجب أن نعود إلى المبادئ الإسلامية وهى تمثل الفطرة السوية التى فطر الله الناس عليها، ومن أهم هذه المبادئ: سمو الغايات من سمو الوسائل، فوجب أن تكون الوسائل الأخلاقية سامية كالغايات تماماً، كي تعود الأمة إلى مكانها الريادى.

الهوامش:

- ١ - متفق عليه.
- ٢ - مسند أحمد بن حنبل ج/٢ ص ٢٥٠.
- ٣ - مسند أحمد بن حنبل ج/٢ ص ٢٢٨.
- ٤ - صحيح مسلم ج/١ ص ٧٨.
- ٥ - صحيح البخارى ج/٥ ص ٢٢٥١.
- ٦ - مسند أحمد بن حنبل ج/٢ ص ٣٢٨.
- ٧ - صحيح مسلم ج/٤ ص ١٩٩٧.
- ٨ - سنن البيهقى الكبرى ج/١ ص ١٩١.
- ٩ - متفق عليه.
- ١٠ - مسند أحمد بن حنبل ج/٢ ص ٤٤٠.

وفى رواية: من سلم الناس كما فى سنن النسائى الكبرى ج٦/ص ٥٣٠: عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم».

وفى صحيح ابن حبان ج٢/ص ٧٦: عن أبى ذر قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، قال: يا أبا ذر إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان، فقم فاركعهما، قال فقامت فركعتيهما، ثم عدت فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله، إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: خير موضوع، استكثر أو استقل، قال: قلت يا رسول الله، أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله، وجهاد فى سبيل الله، قال: قلت يا رسول الله فأى المؤمنين أكمل إيماناً، قال: أحسنهم خلقاً، قلت يا رسول الله، فأى المؤمنين أسلم؟ قال: من سلم الناس من لسانه ويده... الحديث.

وأخيراً علينا معاشر الدعاة أن نبرز للناس الصلة الوثيقة بين العبادة والسلوك وأن نبين لهم أن العبادة لا جدوى منها إذا فقدت روحها وفاعليتها فى تهذيب نفس صاحبها.

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن فلانة تكثر من صلاتها وصدقته وصيامها، غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها، قال ﷺ: هى فى النار؛ قالوا يا رسول الله: إن فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها، وأنها تتصدق بالأنوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها، قال: هى فى الجنة^(٩).

إن فصل المسلمين بين العقيدة والمعاملة من ناحية وبين العبادات والمعاملات من ناحية أخرى قد دمر الجوهر الحضارى المتضمن فى هذا الدين.

وبعبارة أخرى: حين صار المسلم لا يجد حرجاً فى قلبه أن يكذب وأن يغش أو أن يخون الأمانة وأن يتهاون فى العمل ويخلف العهود، نشأ عن ذلك تخلف حضارى هائل، أخرج هذه الأمة من زمرة المتحضرين، كما أخرجها من ريادة العالم، وسادت للأسف ما يسمى بالأخلاق النفعية.

الأخلاق النفعية أضحت ظاهرة:

إن ظاهرة الأخلاق النفعية تعد أمراً مقلقاً ولافتاً للنظر فى هذا العصر.. وقد أدت إلى نتائج خطيرة فى التعامل بين الأفراد والجماعات.. بل أصبح المرء يصاب بإحباط شديد وخيبة مريرة لما يجده من ازدواجية عند صنف من الناس، وتزداد الغرابة

قال تبارك وتعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَى اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

السَّعْيُ لِلْإِنْسَانِ يَرْفَعُ قَدْرَهُ

شعر / عمر موسى موسى البرعى

يَأْكُلُ الْمَالَ الْحَرَامَ مَوْثِمًا * * هِيََا تَجْنِبُهُ بِكُلِّ صَرَامَةٍ
وَالْجَأَ إِلَى الْكَسْبِ الْحَلَالِ مَكْرَمًا * * تَسْعَى إِلَيْهِ بِهَدَاةٍ وَبِإِسْمَةٍ
وَأَخْرَجَ لِرِزْقِكَ فِي الصَّبَاحِ مَجَاهِدًا * * وَاسْتَقْبَلَ الرِّزْقَ الْحَلَالَ بِهَمَةٍ
مَالِ الْحَلَالِ مَبَارَكٌ مِنْ رَبِّنَا * * فَاصْعَدْ إِلَيْهِ تَلَقَّ أَجْمَلَ طَعْمَةٍ
وَبِهِ تَطْهَرُ مِنْ جَرَائِمٍ أَسْفَرَتْ * * أَخْطَارُهَا عَنْ غَمَةٍ وَسَاءَمَةٍ
وَأَرْحَ مِنَ الْحَرَمَاتِ نَفْسُكَ وَاجْتَنِبْ * * زَلَاتُهَا تَحْيَا بِغَيْرِ نَدَامَةٍ
وَكَسْبُ رِضَاءِ اللَّهِ وَابْتَغِ خَيْرَهُ * * وَاشْكُرْهُ إِنْ الشُّكْرُ سِرُّ النِّعَمَةِ
وَافْرَحْ بِهِ وَاسْلُكْ طَرِيقًا آمِنًا * * مِنْ أَجْلِهِ وَسِرُّ الْخَطَا بِعِزِّمَةٍ
وَاصْعَدْ بِمَا وَهَبَ الْكَرِيمُ تَفَضُّلاً * * وَارْضَ النِّصِيبَ تَفْزُ بِأَعْدَلِ قِسْمَةٍ
فَبِفَضْلِهِ نَالَ الشَّرِيفُ مَكَانَةً * * عَلِيَا بِهَا شَقَّ الْخَطَا لِلْقِمَةِ
وَالسَّعْيُ لِلْإِنْسَانِ يَرْفَعُ قَدْرَهُ * * لِرَجْوَةٍ وَشَهَامَةٍ وَكَرَامَةٍ
وَالْكَسْبُ فِي ظِلِّ الشَّرِيعَةِ مَجْزَى * * وَبِهِ يَنَالُ الْمَرْءُ أَعْظَمَ قِيَمَةٍ
فَاللَّهُ قَدْ كَفَلَ الْعِبَادَ جَمِيعَهُمْ * * وَأَفَاضَ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ فِي حِكْمَةٍ

فى واحۃ التصوف



• حکم و اشراقات صوفیت

حكم وإشراقات صوفية

أ.د. حسن الشافعي

١ - إن التصوف - دون دخول في التعريفات المحددة - عنوان للحياة الروحية الإسلامية، كما يراه بعض الباحثين^(١)، أو هو الجانب العاطفي من الإسلام، كما يراه غيرهم^(٢)، أو هو فقه تركية النفس واكتساب الكمال الأخلاقي كما يرى كثيرون^(٣).

وهو - على أية حال - ظاهرة ثقافية اجتماعية روحية، ولدت في عالمنا العربي والإسلامي في مطلع قيام الحضارة الإسلامية، ولا تزال تعيش في هذا العالم حتى الوقت الحاضر، وتؤدي وظائف متفاوتة تختلف في تقديرها كلمة الباحثين^(٤)، لكنهم يجمعون على أهميتها وسعة تأثيرها واستحقاقها للدراسة العلمية والبحث النزيه، وكيف يسمح لنفسه أي عالم أو باحث أو مثقف أو مسئول بتجاهل هذه الظاهرة ذات العراقة التاريخية، والتأثير الواضح في الفكر والعمل، والفن والثقافة، والوجدان والضمير، على امتداد العالم الإسلامي كله في مختلف العصور؟

إنسانيته^(٦).

ومن ثم فإن دوافع قوية متجددة ومتنوعة تدعونا إلى أن نعيد النظر، ونقلب الرأي، ونتابع البحث في قضايا التصوف؛ بعضها يرجع إلى طبيعة الموضوع، وبعضها يرجع إلى طبيعة نفوسنا ذاتها، وبعضها يرجع إلى ظروف العصر من حولنا، والبعض الآخر يرجع إلى اعتبارات دينية وثقافية وتاريخية تعنى المثقف المسلم بوجه خاص، ولكنها جميعا تمثل حاجة فكرية ومعنوية وروحية لا يسعنا إهمالها بحال.

٢ - وفطرة الإنسان - مهما تعلقت بالسراب أو خدعتها الآمال الكذاب - لا تموت ولا تتحول، إنما تحن دوماً إلى معدنها الأول، ومصدرها

لقد حظى التصوف بدراسات في المشرق والمغرب، تنوعت منهجا وأسلوبا، واختلط فيها المدح بالقدح، كما يقول أحد المختصين^(٥)، ولكن الاهتمام به لا يزال متجددا والبحث فيه لا يزال متصلا، ولم يعد ذلك مقصورا على «الدارسين المتخصصين من المسلمين والمستشرقين فقط، وإنما هو يجذب إليه القارئ العادي الذي أصبح يحس بوطأة المذاهب المادية والعنصرية المعاصرة على نفسه، وبحاجته إلى ما يرضى عقله ويشبع روحه ويعيد إليه ثقته بنفسه، وطمأنينته التي بدأ يفقدها في زحمة الحياة المادية، وما فيها من ألوان الصراع العقائدي المختلفة، وبهذا يحقق معنى

الأصيل: ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ النور: آية ٣٥، قال ابن تيمية: «النوران نور الفطرة في القلب، ونور الوحي المنزل على الأنبياء»^(٧)، وعنهما يقول ابن عطاء الله: «نور مستودع في القلوب، مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب»^(٨).

«استمع للنأي كيف يقص قصته: إنه يشكو آلام الفراق».

هكذا ينادينا جلال الدين الرومي، والنأي الذي يئن منذ قطع عن أمه الشجرة هو مثال الإنسان الذي يحن في غربته إلى أصل الفطرة:

«إنني منذ قطعت من منبت الغاب، والناس رجالا ونساء بيكون لبكائي، إنني أشد صدرا مزقه الفراق، حتى أشرح له ألم الاشتياق، فكل إنسان أقام بعيدا عن أصله يظل يبحث عن مكان وصله، لقد أصبحت في كل

الأوهام الصغيرة، ويولد الإنسان من جديد..

وما أصدق كلمات ابن القيم:

«فى القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله.

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله.

وفيه حزن لا يذهب إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه.

وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره، ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه.

وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له ولو أعطى الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا»^(١١).

قال أحد العشاق:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل فى الأرض يعشقه الفتى

وحنيه أبدا لأول منزل

وقال ابن الفارض الذى لقب بسلطان العشاقين:

وقال اسل عنها لائى، وهو مغرم

بلومى فيها، قلت فاسل ملامى

بمن أهتدى فى الحب لو رمت سلوة

وبى يقتدى فى السحب كل إمام

وفى كل عضو فى كل صباية

إليها وشوق جاذب بزمامى^(١٢)

فهذا سر خلود موضوع هذه الفصول، وأحد أسباب مشاركتنا فى حديثه الموصول.

٣ - على أن عالم اليوم، وقد جرب

مجتمع نائحا، وصرت قرينا للبائسين والسعداء، وظن كل إنسان أنه قد أصبح لى رفيقا، ولكن أحدا لم ينقب عما كمن فى باطنى من الأسرار وليس سرى ببعيد عن نواحى، ولكن أنى لعين ذلك النور أو لأذن ذلك السمع الذى به تدرك الأسرار؟ وليس الجسم بمستور عن الروح، ولا الروح بمستور عن الجسم، ولكن رؤية الروح لم يؤذن بها لإنسان، إن صوت الناي هذا نار لا هواء، فلاكان من لم تضطرم فى قلبه مثل هذه النار...».

إنها نار العشق، نار الحنين، نار الشوق.. الذى يغير بلمسته السحرية كل شىء، ويحقق الوصل المنشود، يحقق إنسانية الإنسان...».

يواصل جلال الدين نواحه:

«إن العشق جعل جسم الأرض يعلو على الأفلاك، فرقص الجبل وأضحى خفيف الحركة، العشق حل فى روح الطور أيها العاشق، فسكر الطور وخر موسى صعقا، آه لو كانت شفتاى تقترنان بشفتى حبيبى؛ إذن لكنت كالنأى أقول ما ينبغى قوله.. إن العشق يظهر فى أنين القلب، وليس هناك مرض مثل مرض القلب، وإن علة العاشق لمتييزة عن سائر العلل؛ فالعشق أسطرلاب^(٩) أسرار الله^(١٠).

الإنسان لا غنى له عن ربه، والإنسانية لا غنى لها عن الدين، والدين لا قوام له بدون الحب والخشية، ومن هنا كانت حاجتنا إلى هؤلاء العشاق العارفين، خزنة أسرار العشق، الذين يشعلون زيت الفطرة فى حنايا القلوب فيحرق لهيبه كل

ثقافة الشرق من الديانات والأداب والفلسفات هى المعين الذى يُستمد منه الأدب الحديث

الإنسان المعاصر ليس بحاجة إلى مزيد علم أو نظم إدارية بقدر ما هو بحاجة إلى أن ينفذ عن نفسه صداً القرون ليرى الفطرة بعين بكر

طغيان المادية وعدوانها على حقوق الإنسان؛ لجهلها بحقيقته. وبعد أن أخذ يتحرر من فتنة العلم المادى الذى حمله البعض فوق طاقته، فأبى إلا أن يعود إلى دائرة اختصاصه ومسئوليته، وبعد أن عاش ثورة التقنية فلم تأت - وهيهات، على مهارتها وبراعتها - براحة القلب وسكينته، هذا العالم الحائر المنهوك يتطلع، إلى شئ جديد، وقد أجهده الملل وداخله اليأس من الألحان المكرورة والحلول المسطورة، التى روج لها تجار الفكر وطواغيت السلطة، ثم أسفرت عن فشل ذريع وإحباط مرير؛ هذا العالم فى لحظة تاريخية كهذه يمكن أن يخطئ الاختيار، وأن يكرر دورة الآلام بحسن نية، يقول أحد المتصلين بثقافة الغرب:

«إن الثقافة الرائعة التى خلفها الشرق فى ماضيه المجيد، من الديانات والآداب والفلسفات والفنون، هى المعين الذى يستمد منه الأدب العالمى فى العصر الحديث، هذا الغذاء الروحى والفكرى، ليشبع فى النفس مظامحها العالية نحو الكمال، وليس من شك أن الغرب متجه إلى هذا الهدف بصورة لم يسبق لها مثيل، ودليل ذلك ما يشير إليه إحصاء المطبوعات فى أوروبا وأمريكا من ترجيح كفة المؤلفات التى تعالج الغيبيات والتصوف وروحانيات الشرق، وازديادها عاما بعد عام، وكذلك انتشار المحافل التى تعالج المسائل الروحية على نطاق واسع» (١٢).

ولكن هذه الملاحظة التى تؤكدتها الشواهد التالية أخرى أن تثير هموم المشغولين بمصير الإنسان المعاصر. فليس هو اليوم بحاجة إلى مزيد علم أو تقنية، أو نظم إدارية وترتيبات اجتماعية، بقدر ما هو فى حاجة إلى أن يعرف نفسه، وينفض عنها

صدأ القرون، ويرى الفطرة بعين بكر، دون ألوان مصطنعة وتخيلات كاذبة، وأخشى أن تكون الروحانية الحديثة وهما جديدا كألوان السراب (١٤).

لنستمع إلى نغمة جديدة من جلال الدين، يحكى «قصة الجدل بين الروم وأهل الصين حول علمى النقش والتصوير»:

قال الصينيون: «إننا أجمل نقشا، فقال الروم: بل نحن أصحاب الكر والفر فى هذا الميدان.. فقال الصينيون فلتخصصوا لنا حجرة ولتخصصوا أنتم بحجرة. وكان هناك حجرتان باباهما متقابلان، وأخذ الصينيون واحدة منهما، وأخذ الروم الأخرى، وطلب الصينيون من الملك مائة لون، ففتح لهم الملك خزانته..

أما الروم فقالوا: لا لون ولا صبغ يليق بعملنا فما هو إلا دفع الصدا، لقد أغلقوا الباب، وأخذوا يصقلون، فصاروا فى نقائهم وصفائهم مثل الفلك، وإن من تكاثر الألوان لسبيلا إلى انعدام اللون، إن اللون مثل السحاب وأما الألوان فمثل القمر.. وحينما فرغ الصينيون من عملهم قرعوا الطبول ابتهاجا.. فدخل الملك ورأى النقوش هناك فسلبت لبه حين وقع عليها بصره.

وبعد ذلك اتجه نحو الروم، فرفع الروم الأستار الفاصلة، فانعكس خيال ذلك التصوير وتلك الأعمال على تلك الحوائط الصافية المصقولة: فكل ما رآه هناك رآه هنا بصورة أبهى كادت أن تستلب العين من محجرها.

مهما تعلقت فطرة الإنسان بالسراب أو خدعتها الآمال الكبار فإنها لا تموت ولا تتحول ولكن تحن إلى معدنها الأصلى

ولكن كيف؟ إن العالم الإسلامى نفسه مازال يتململ فى قيود التخلف والاستبداد وتجاذبه الدوافع إلى تعلم حقائق العلم وأسرار التقنية، وإلى أن يخرج ليطلب العلم فى «الصين» قبل أن يحكم شخصيات أبنائه - الذين سببتهم إلى هناك - بهدى الصادق الأمين^(١٧).

إن جهد المتطلعين إلى المستقبل، المشغولين بالمصير، الداعين إلى الإسهام فى ثقافة العالم المعاصر بدلا من الاكتفاء باستهلاك أشياءه ومنتجاته، ينبغى أن يتجه إلى شبابنا الصاعد لتربيته أولا، وإلى صحتنا الحاضرة لترشيدها ثانيا، ثم إلى العالم من حولنا لنجاوره بالأخذ والعطاء بعد ذلك، وأحسب أن سيكون لدينا عندئذ ما نقدمه، وما يحق للعالم أن يستمع إليه فيتبع أحسنه.

إننى أدعو الله - سبحانه - أن يزود نهضتنا الحاضرة بشباب أطهار أقوياء، يهضم الواحد منهم فى شخصيته كلا من: الغزالي وابن رشد وابن تيمية، ويهتدى بالحسن البصرى وأبى حنيفة وابن حنبل وأبى الحسن والفاروق والصدىق، وما هؤلاء إلا تجليات للأنوار الفياضة من هدى محمد ﷺ صاحب الأسوة الحسنة والقودة الشاملة.

٤ - على أننا، ونحن نتوجه إلى الشباب، نقول إن التصوف الذى هو موضوعنا لا يفنى فى معرفته - معرفة حقيقية كاملة - مجرد القراءة عنه، أو الدراسة النظرية له؛ فالأمر كما يقول عنه الإمام الغزالي فى شرحه لتجربته الخاصة فى (المنقذ من الضلال).

«إن طريقته إنما تتم بعلم وعمل، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس، والتتزه

إن الروم - أيها الولد - هم الصوفية، وهم ليسوا بحاجة إلى التكرار ولا الكتاب ولا اللوذية.. وما صفاء المرأة إلا القلب الخالى من الشك؛ فإنه قابل لتساوير لا عداد لها.

إن صورة الغيب التى لا شكل لها ولا حد كانت فى جيب موسى بعد أن تلقاها بمرآة قلبه^(١٥).

يقول العالم الإنجليزى - وهو صوفى مسلم - مارتين لينجز: «إن التصوف الحقيقى لا يكون إلا امتدادا لوحى إلهى منزل، يفيض كموجة عارمة، من عالم الغيب اللانهائى إلى عالمنا المحدود، والموجة الحاضرة هى تلك التى تنزلت على قلب محمد ﷺ، والتصوف ليس إلا فن الاتصال والتأمل والاستغراق فى تلك الموجة، لتحملنا إلى مصدرها النهائى.. لكن التصوف الإسلامى، وإن اعتمد كلية على الوحي القرآنى، هو مستعد فى الوقت نفسه، عندما يتهيا المكان والزمان المناسبان، أن يقطف الزهور من حدائق غير حديقته الخاصة، فنبي الإسلام نفسه يقول: «اطلبوا العلم ولو فى الصين»^(١٦).

الصوفية المسلمون إذن هم القادرون على تلبية المطلب التاريخى المعاصر، هم وحدهم القادرون على استمداد كيمياء الصقل والتصفية من قلب محمد ﷺ وأسرار الكتاب المنزل عليه.. هم «الرومان» الجدد القادرون بنورى الوحي والفطرة أن يبطلوا سحر النقوش والألوان «الصينية».

علميا، ولا بحثا نظريا، إنه لا يتعلم بواسطة الكتب على الطريقة المدرسية، بل إن ما كتبه كبار مشايخ الصوفية أنفسهم لا يستخدم إلا كحافز مقو للتأمل، والإنسان لا يصير بمجرد قراءته متصوفا.. ولأجل أن يسير الإنسان في طريق التصوف لابد له من:

١ - استعداد فطري خاص لا يغنى عنه اجتهاد أو كسب.
٢ - الانتساب إلى «سلسلة» صحيحة إذ إن البركة التي تحصل من الانتساب إلى السلسلة الصحيحة شرط أساسي، ولا يصل الإنسان بدونه إلى أى درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها.

٣ - ثم يأخذ المتصوف الطيب الفطرة، الذى باركه شيخه فى الجهاد الأكبر، والتأمل الروحي، وفى الذكر: أى استحضار الله فى كل ما يأتى وما يدع، وفى تركيز الذهن فى الملأ الأعلى، فيصل - موفقا - من درجة إلى درجة، حتى يصل إلى أعلى الدرجات، وهى حالة تسمى على حدود الوجود المؤقت، فيصبح ربانيا، ذلك هو الصوفى الحقيقى»^(١٨).

لكننا على أى حال لا نطلب من وراء هذه الفصول إلا المعاونة على حسن الفهم والإدراك للظاهرة الصوفية كما بدت فى محيطنا الثقافى، ولسنا نقصد بالضرورة المشاركة فيها والدخول فى تجاربها، بأن نسلق طريقها العملى كما فعل الغزالي، أو نبحث عن شروطها ومدارجها، كما ألمح إليها شيخنا الأستاذ عبدالحليم محمود، وإن كنا نثق بأن المؤهلين بفطرتهم لهذا الأمر لن يسعهم أن يغالبوا نزوع أنفسهم، وحنين فطرتهم، وأشواق قلوبهم وأرواحهم إلى ممارسة هذا الجانب العملى، على هدى من سنة المصطفى ﷺ، وبعبدا عن كل مظاهر البدعة وأوشابها التى غدت ترنق صفو المشرب الصوفى، وتذود الواردين عنه، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

٤ - وقد يتساءل قارئ هذه الكلمات والفصول فيما بينه وبين نفسه: «من المؤهلون بحسب الفطرة لهذا الضرب من السلوك، ودين الله واحد، وخطابه يعم البشر المكلفين؟ ونترك الجواب لشيخنا - رحمه الله - عبدالحليم محمود فى بحثه الأول عن الحارث المحاسبى: حيث حاول أن يبين أن للناس فى فهم الدين والعمل به مذاهب مختلفة ومناهج متفاوتة، وأذواقا ومشارب

عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله. وكان العلم أيسر على من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل (قوت القلوب) لأبى طالب المكي - رحمه الله - وكتب الحارث المحاسبى، والمتفرقات الماثورة عن الجنيد والشبلى وأبى يزيد البسطامى، وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع، فظهر لى أن أخص خواصهم ما لا يمكن التوصل إليه بالتعليم، بل بالذوق والحال وتبدل الصفات، وكمن من الفرق بين أن يعلم المرء حد الصحة، وحد الشبع، وأسبابهما وشروطهما، وبين أن يكون صحيحا وشبعان، وبين أن يعرف حد السكر.. وبين أن يكون سكران؛ بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران، وما معه من علمه شئ، والصاحي يعرف حد السكر وأركانه، وما معه من السكر شئ، والطبيب فى حالة المرض يعرف حد الصحة وأسبابها وأدويتها، وهو فاقد الصحة، كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها وأسبابها، وبين أن يكون حالك الزهد وعزوف النفس عن الدنيا..».

ومن هذا الأفق ينظر الشيخ عبدالحليم محمود إلى المسألة نفسها فيقول: «إن التصوف ليس عملا

الهوامش:

- ١ - انظر حلمي: الحياة الروحية - المقدمة.
- ٢ - انظر الغزالي: الجانب العاطفي - المقدمة.
- ٣ - انظر عياد: التصوف ٩، المكي: موقف ٤٠، وسعيد حوى: جولات ٧٤.
- ٤ - انظر طعيمة: الصوفية، معتقدا ومسلكا، ط ٢، الرياض ١٩٨٥م، ص ٢١، ٥٣، هلال: التصوف ٢٦، جعفر: التصوف - المقدمة.
- ٥ - جعفر: التصوف: المقدمة ٢.
- ٦ - التفازاني: مدخل - الافتتاحية.
- ٧ - انظر ابن القيم: التفسير القيم - سورة النور.
- ٨ - الشرنوبى: حكم ابن عطاء الله ٨٣.
- ٩ - الأسطرلاب: آلة فلكية لتحديد مواقع الأجرام السماوية.
- ١٠ - الرومى: المشوى - ترجمة كفافى - ٧٣، ٨٣.
- ١١ - ابن القيم: مدارج السالكين، بتحقيق الشيخ حامد الفقى، ط دار الفكر العربى بالقاهرة، بدون تاريخ، المجلد الثالث، ص ١٦٤.
- ١٢ - عياد: التصوف ٩.
- ١٣ - انظر: محمد محمد حسين: ٤٥ وما بعدها.
- ١٤ - الديوان، ط مكتبة زهران، بالقاهرة، دون تاريخ، ص ٩٦ - ٩٧.
- ١٥ - الرومى: المشوى ١/ ٣٩٦ - ٣٩٧.
- ١٦ - Martin lings: What is Sufism? P P.6- 13.
- ١٧ - ruza arshad: rumi P P. 194.
- ١٨ - عبدالحليم محمود: المدرسة الشاذلية الحديثة ٣٢٨ - ٣٤٠.
- ١٩ - المرحوم الشيخ عبدالحليم محمود فى كتابه: أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبى ص ٥ - ٧.

متنوعة، كثيرا ما تصطرع وتتنافس، وفى تاريخ كل ملة حظ مقدور من ذلك، وقد يصور موقف المسلمين فى هذا الصدد قوله: «إنه الصراع الخالد بين النصيين والعقليين، إنه النزاع الأبدى بين الذين يقولون: إن الدين نص تفسره أسباب النزول واللغة والرواية، والذين يقولون: إن الدين نص يفسره العقل ويوضحه. ويظن بعض الناس - للوهلة الأولى - أنه لا يمكن أن يكون هناك طرف ثالث فى هذه الخصومة؛ فالإنسان إما نصى وإما عقلى ولا يحتمل الأمر حلا ثالثا.

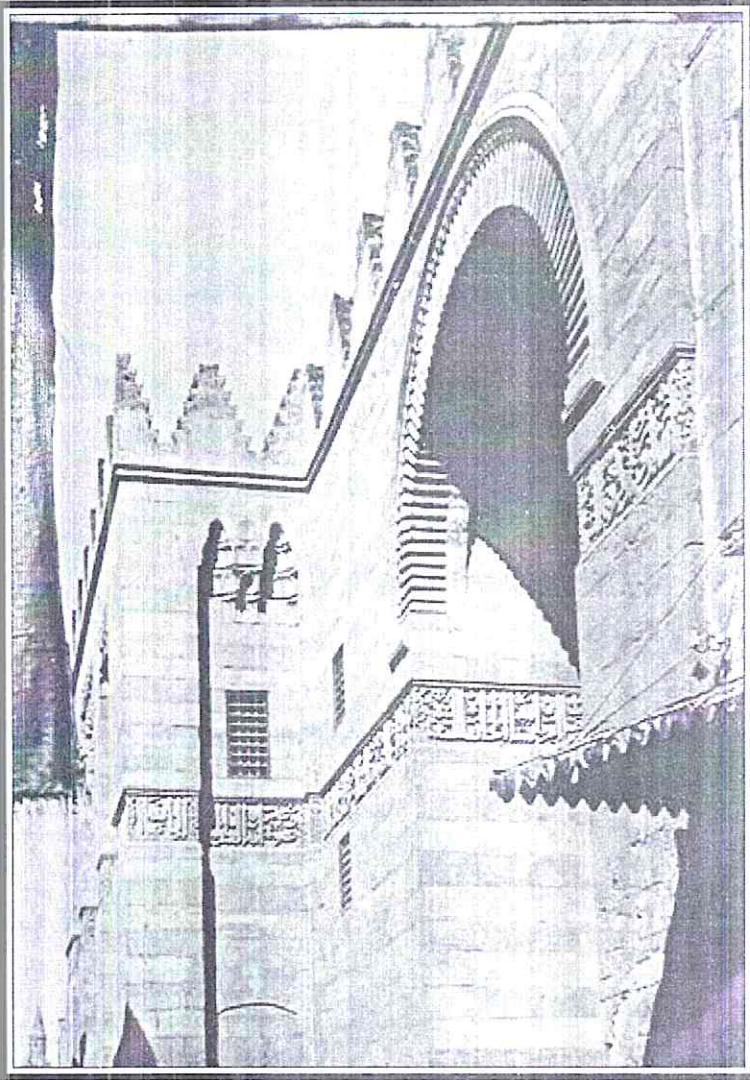
ونشأ المحاسبى ليعلن هذا الحل الثالث.. واحتدم النزاع، وكان لابد أن يحتدم، وثار الفقهاء على المحاسبى، وكان لابد أن يثوروا؛ فقد كان ينهج نهجا آخر غير الطريق العادى فى هيبة الله وجلاله وعظمته، وكان يتحدث فى محبة الله والأنس به والقرب منه..

واستمرت الخصومة بين النصيين ويمثلهم الإمام أحمد، والبصيريين ويمثلهم الإمام المحاسبى، والعقليين ويمثلهم المعتزلة.. ولا تزال تلك القوى تتصارع حتى عهدنا هذا، ونعتقد أنها ستستمر؛ ذلك أنها تمثل نزعات فطرية فى بنى الإنسان، فبعضهم واقى يتجه إلى النص، ولا يريد، أو لا يمكنه، أن يسير إلى أبعد منه، وبعضهم يحتفظ بشخصيته قوية جارفة لا تلين؛ فهو عقلى أو اعتزالى، وبعضهم رقيق الشعور، مرهف الحس، ملائكى النزعة، فهو بصيرى أو صوفى؛ نزعات ثلاث تقوم على فطر مختلفة، وهذه الفطر ستستمر فى بنى البشر مادام على وجه الأرض أفراد من النوع الإنسانى» (١٩).

يبدو أن ذلك وضع طبيعى يوافق الحكمة الإلهية التى تخفى علينا، ويحسن بنا أن نسلم بها عن طواعية ويقين ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ هود: آية ١١٨، وعسى أن يكون لدى كل فريق - عند اختلاف المشارب - تفهم مخلص، واحترام صادق، ووعى بصير بما عند الآخرين.

﴿ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الأرض ولا فى السماء﴾ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء* رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء* ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ إبراهيم: الآيات ٣٨ - ٤١.

مساجد لها تاريخ

مسجد
وخانقاه
السلطان
بيبرس
الجاشنكير
بالجمالية

مدخل الخانقاه من الخارج

محمد كامل شاهين

يعد العصر المملوكي واحداً من أزهى العصور الإسلامية حيث استطاع سلاطين المماليك وأمرؤهم تشييد العمائر الإسلامية من مساجد، وأسبلة، وخانقاوات وزخرفتها بآيات قرآنية من الخط العربي الجميل، وجلبوا من أجل ذلك أمهر العمال من شتى بقاع الدولة الإسلامية فأصبحت القاهرة في عهدهم حاضرة الخلافة الإسلامية حيث أولوها عناية فائقة قلما نجدها في عاصمة أخرى غيرها، ومن يسرف في شارع المعز يلحظ عظمة الفن المملوكي، وكأنه أمام متحف مفتوح من روعة ما خلفه سلاطين المماليك الذين لم يبخلوا بأموالهم من أجل رفعة شأن الإسلام والمسلمين.

وفي السنوات الأخيرة اهتمت الدولة ممثلة في وزارة الثقافة بالآثار الإسلامية وترميمها وإعادة ترميمها إلى سابق عهدها ومنها مسجد وخانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير، ولأهميته التاريخية حرصت مجلة «منبر الإسلام» أن تلقى الضوء عليه.

ممتلكات له بمصر والشام، وظلت الخانقاه عامرة بالصوفيين طوال عهد السلطان بيبرس الجاشنكير، الذى كان لا يألو جهداً فى رعايتهم والإنفاق عليهم بسخاء.

والجدير بالذكر أن الخانقاه وجدت فى العصر الأيوبي، أما اتخاذ تخطيط معمارى خاص بها فلم يظهر إلا فى العصر المملوكى، ولعل أقدم الأمثلة لها وأكملها خانقاه بيبرس الجاشنكير وكلمة خانقاه هى كلمة فارسية تعنى «البيت» وقيل أصلها «خونقاه» أى الموضع الذى يأكل فيه الملك.

التخطيط المعمارى

د. العربى
صبرى
عمارة

وعن التخطيط المعمارى للخانقاه يقول د. العربى صبرى عمارة - أستاذ الآثار الإسلامية بكلية الآثار، جامعة القاهرة - تتكون الخانقاه من صحن أوسط مكشوف مستطيل تلتف حوله أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة.

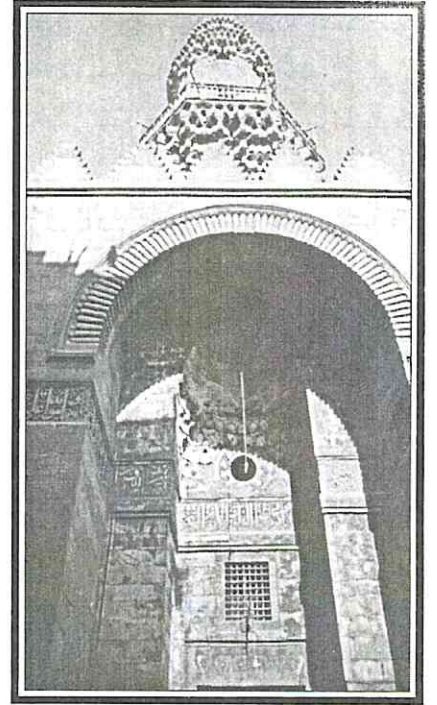
الواجهة الرئيسية

تعد الواجهة الشمالية الغربية هى الواجهة الرئيسية وتنقسم إلى قسمين: القسم الأول ويمثل واجهة القبلة، وتنقسم إلى ثلاث دخلات رأسية مطلة على شارع الجمالية بالإضافة لتجويفين جانبيين بالجهة الشمالية الشرقية

مسجد بيبرس
الجاشنكير
تحفة معمارية
رائعة تظهر روائع
الفن المملوكى
بطريقة لا مثيل
لها

والجنوبية الغربية، وبكل تجويف مستويان من النوافذ السفلى مغشى بمصبغات معدنية «أسيخ حديدية» والعلوى يقع أعلى شريط كتابى، وتتوج الواجهة كلها صفوف من الشرفات المستننة.

والقسم الثانى من الواجهة وتشغله كتلة المدخل، وعلى جانبيه المدخل حنيتان على هيئة محاريب، ويفلق على فتحة المدخل مصراعان من الخشب المصنف بالبرونز، ويعلو فتح الدخول نافذة مربعة عليها مصبغات «أسيخ» من البرونز، يلى ذلك دركاه



المدخل والمنذنة

يقع المسجد والخانقاه فى شارع الجمالية وكان يشغل موضعه قديماً جزءاً من دار الوزارة الكبرى التى أنشئت فى العصر الفاطمى على يد الوزير الأفضل ابن بدر الجمالى واستخدمت بعض أنقاض دار الوزارة الفاطمية فى بناء الخانقاه.

أنشأ هذا المسجد والخانقاه السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير حيث بدأ فى بنائه وهو لا يزال أميراً وأكمّله بعد أن تولى السلطنة سنة ٧٠٩هـ، وافتتح فى شهر رمضان من نفس العام، والحق بالخانقاه أربعمائة (٤٠٠) صوفى، وأنشأ إلى جانب الخانقاه رباطاً عسكرياً أسكن به مائة جندي، وألحق بالخانقاه مديناً لنفسه وأوقف على المسجد والخانقاه عدة

جو الإيوان الرئيسى، إلا أن أسقفها الخشبية مفقودة، وبصدر الإيوان المحراب الخالى من أية زخارف حاليا .

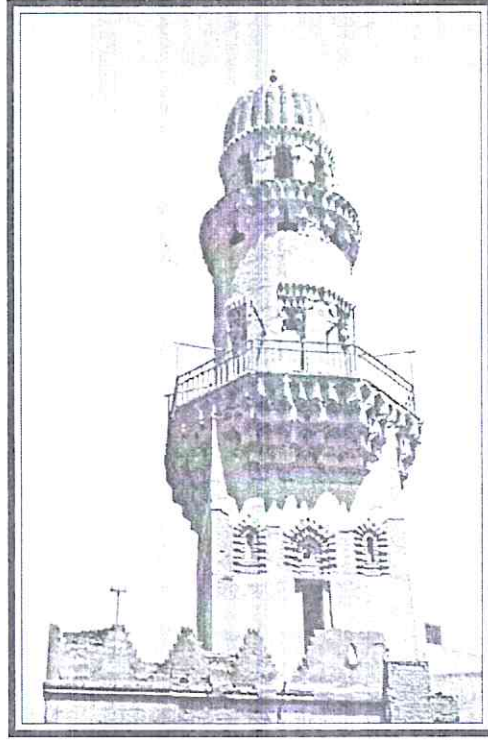
والإيوان الشمالى الغربى عبارة عن مساحة مستطيلة مغطاة بقبو مدبب من الآجر بصدرة دخلة يعلوها ملقف، وعلى اليمين واليسار دخلتان. أما الإيوانان الجانبيان فبكل واحد منهما حنية محراب خالية من الزخارف، وتحيط بالصحن مجموعة من خلاوى الصوفية.

القبة من الداخل

وتتكون من مساحة مربعة يتقدمها من الناحية الشمالية الغربية مساحة مستطيلة بها خمس نوافذ، وعلى الواجهة الداخلية للقبة سياج من خشب الخرط يتوسطه باب، وأرضية القبة مغطاة بالرخام كما يتوسط أرضية القبة قبر المنشئ.

ومن أهم أعمال الإصلاح ما قامت به لجنة حفظ الآثار منذ عام ١٨٩٢ - ١٩٠٩م، حيث كانت الخانقاه فى حالة سيئة، فتم إصلاح الأرضيات وإزالة المحلات التى كانت تحجب واجهة القبة، وإصلاح السقف أمام القبة وكذلك النوافذ.

هذا هو مسجد و خانقاه بيبرس الجاشنكير والذى يعد بحق تحفة معمارية من العصر المملوكى، فهو عصر ازدهار وتقدم للحضارة الإسلامية، كما أن الخانقاوات اكتملت تماما من حيث البناء والزخرفة فى ذلك العصر.



المئذنة وتظهر بها روائع الزخارف الإسلامية

«قاعة صغيرة» مربعة بها أربعة أبواب تؤدي لملاحق الخانقاه.

المئذنة

وتعلو المدخل مباشرة المئذنة وتتكون من قاعدة مربعة يعلوها طابق أول اسطوانى ثم جوسق، وتغطى قمة المئذنة عدة صفوف من البلاطات الخزفية ذات اللون الأخضر.

الخانقاه من الداخل

تتكون الخانقاه من الداخل من صحن أوسط مكشوف مستطيل يحيط به أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة وهو الإيوان الجنوبى الشرقى ويتكون من مساحة مستطيلة مغطاة بقبو مدبب، وقام المهندس المعماري آنذاك بتوسعته عن طريق دخلتين بالجهة الجنوبية الغربية، والشمالية الشرقية، وتشرف كل منهما على المساحة الوسطى بعقد مدبب.

وهذه الدخلات يعلوها «ملاقف» لتلطيف

تتمتاز
القبة
بجمال
زخارفها
حيث
أبداع
الفنان
المسلم
ببناءها
بطريقة
فريدة
حازت
استحسان
من رآها

المكتبة الإسلامية



● ظهر الإسلام

● سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين

عرض وتحليل لكتاب

ظهر الإسلام

والفصن والخرجة، وهى قيود تضاف إلى الوزن والقافية، وإذا خلص الشاعر من القافية فى مقطع، فإن ما فوق القافية من هذه القيود يزيده تقييدا، ويحده عن الانطلاق، أما القضية الثانية فهى حكمه بخلو أدب المشاركة من رثاء المدن حيث يقول^(٤): لقد رأينا مدنا فى الشرق تتساقط تساقط أوراق الشجر، تستوجب الرثاء والبكاء، كما سقطت بغداد فى أيدي التتار، وأزالوا كل ما فيها من مظاهر المدنية والحضارة، وفعل التتار بها ما لا يقل عما فعله الأسبانيون فى الأندلس، وغزا هولاءكو وتيمورلنك ونحوهما بلاد الشام، وأسقطوها بلدا بلدا، فما رأينا عاطفة قوية، ولا رثاء صارخا، ولا أدبا رقيقا، ولا تاريخا مسجلا، كالذى رأيناه فى الأندلس، فإن قلنا إن هذه الناحية فى التاريخ الأندلسى أقوى وأشد لم نبعد عن الصواب».

ولمعارضة هذا القول بالاستشهاد الشعرى نقلت نصوصا كثيرة تدل على فجعية المشاركة بسقوط بلادهم، وتبئ عن عاطفة صادقة، وتسجل أحداثا دامية، وهكذا قام المشاركة بالتعبير عن عواطفهم فى لوعة وارتياح.

وإذا كانت كثرة من النصوص التى رواها الأستاذ قد تواترت دون تعقيب

الأطباء لنا عن النظر فى الكتب، ولكننا قد اعتدنا أن نعتمد فى الحياة على القراءة والتأليف، وما قيمة الحياة من غير ذلك!! وللقارئ أن يقف عند العبارة الأخيرة طويلا فإنها بمضمونها الإنسانى، وطموحها العلمى تغنى عن كل تعقيب.

وجاء الجزء الثالث من الظهر خاصا بالأندلس حيث أفاض الباحثة فى الحديث عن العرب منذ فتحوا البلاد إلى خروجهم منها، وكان اهتمامه كعهده بالحركات الدينية واللغوية والنحوية والأدبية والفلسفية والتاريخية والفنية، وقد قال فى مقدمة الجزء الثالث من ضحى الإسلام، إنه أرجأ الحديث عن الأندلس فى أجزاء الضحى ليخصها بسفر مستقل وفقا لإشارة بعض المستشرقين، وليس فى هذا شئ، ولكن الدكتور زكى مبارك فى حملته الشهيرة بالرسالة عد ذلك مأخذا مهما، إذ رأى فيه استجابة لرغبة مستشرق وأحمد أمين تبعا لذلك لا يتقدم ولا يتأخر إلا باستشارة المستشرقين، وهذا هو الشطط بعينه، فإن المفكرين دائما يتناقشون فيما هم بسبيله من البحوث العلمية، ولم يقل أحد أن تنفيذ الاقتراح المفيد خضوع للمقترح، وقد كان زكى يطلب العلم فى السربون، ويخضع لتوجيهات أساتذته هناك فهل فى ذلك معابة؟ ومنهج الكتاب فى سيره التأليفى منهج المؤلف فى الأجزاء السابقة حيث رصد الحركات العلمية المختلفة رصد الباحث الفاحص، وقد اهتمت كثيرا بهذا الكتاب وأنا أعد بحثى عن (الأدب الأندلسى بين التأثير والتأثير) وأذكر أنى قلت فى مقدمة هذا الكتاب^(٢): «وقد يرى القارئ أنى أكثر من مناقشة آراء أستاذى الكبير أحمد أمين فى الأدب الأندلسى، وعذرى أن صلتى الأدبية به قد دفعتنى من قديم إلى قراءة جميع مؤلفاته، واستيعابها جهد الطاقة، وأطيل الكلام لو تتبع ما ذكرت عن هذا الكتاب فى هذه العجالة، ولكنى أشير إلى قضيتين هامتين، كان لى فيهما وجه غير ما ارتآه، فقد ذهب إلى أن الموشحات الأندلسية كانت مصدر حرية للفنان حيث تخلص من قيود الأوزان والقوافى، وقد نجحت الموشحات

والطريف كل الطرافة أن الدكتور الأهواني قد كتب للجزء الرابع مقدمة قال إنه كتبها بعد أن تشرب أسلوب أحمد أمين في كتابة المقدمات السابقة، وهذا ما كان فعلا، وقد كان الأوجب في رأيي أن ينسبها لنفسه، وأن يقول إن المؤلف الكبير لم يتح له أن يكتبها فكتبها هو، ولكنه صدر بها الجزء الرابع، وكأنها من صنيع أحمد أمين، وما عرفنا ذلك إلا من سطور جاء في التعريف العام بالكتاب للأهواني.

وفي هذه المقدمة يقول الأهواني على لسان أحمد أمين «وقد رأيت أن أنهج في الجزء الرابع هذا النهج فلا أقف عند القرن الرابع (حيث امتد الحديث إلى القرن الثامن) لأن العقائد والمذاهب ليست كالأدب والعلوم والفنون سريعة التطور، فتكلمت عن المذاهب الرئيسية من معتزلة وأشاعرة، وسنة ومتصوفة، وقد أفردت للمتصوفة بابا خاصا، مع أنهم ليسوا فرقة إسلامية لاشتهار أمورهم، وقوة أثرهم في العقيدة الإسلامية وبخاصة بعد القرن الرابع، وإذا كنت بدأت بالاعتزال في المقدمة فلأني أريد أن يكون هذا الجزء مترابلا لا يحتاج قارئه أن يرجع إلى ضحى الإسلام لمعرفة تفصيل المذهب ونشأته وبذلك يكون هذا الكتاب عرضا جديدا للعقيدة الدينية في شتى صورها منذ ظهور الإسلام حتى العصور المتأخرة».

ولعل بعد ذلك أكون قد تحدثت عن ظهر الإسلام بأجزائه الأربعة بما يسلط الضوء على اتجاهه ويدعو القارئ إلى استيعابه على نحو مفيد.

ولا يفوتني أن أذكر أن الأستاذ أحمد أمين كان في نيته لو تنفس به العمر أن يواصل التاريخ الفكري للعقلية الإسلامية حتى يبلغ العصر الحديث، ولكنه اكتفى عن ذلك بكتاب ألفه تحت عنوان «يوم الإسلام» ولم يكن خاصا بالناحية العقلية بل بالناحية السياسية، وقد أسهب إسهابا حميدا في توضيح مآسى الإسلام في عهود الاستعمار ورسم العلل وشرح أدواءها بما يحتاج إلى مقال خاص، وكان أسف الأستاذ على الحاضر داعيا له إلى الثورة على أمم تركت اللب وتعلقت بالقشرة فلاقت أسوأ الجزاء.

الهوامش:

- ١ - المقدمة: ظهر الإسلام ج١ ص(ب).
- ٢ - ظهر الإسلام (المقدمة) ج(٢) ص(ج، د).
- ٣ - الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير ٩، للدكتور محمد رجب البيومي.
- ٤ - الأدب الأندلسي بين التأثير والتأثير ص ٩٧.
- ٥ - ظهر الإسلام ج٢ ص ٢٨٧.

الفقيد أوراقه في أدراج مكتبه، وعهدت أسرته الحريصة على ذبوع فضله إلى تلميذه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني كي يعمل على نشر الأوراق المخطوطة وفق ما يراه في ترتيبها، وهي مهمة قام بها الدكتور الأهواني مشكورا دون تردد، وقد قال عن بعض ما فعل^(٥).

«إن الأصل لم يكن بخط أحمد أمين، فقد جرت عادته في أواخر حياته بعد أن أصيب ببصره، أن يملأ وكان قد دفع ما كتب إلى شخص يكتبه على الآلة الكاتبة، فبلغ عدد صفحات الكتاب ١٧٩ صفحة، ويظهر أن الوقت لم يتسع للنظر في هذه الأصول ومراجعتها وتعديل ما يريد أن يعدل فيها، وإضافة ما يراه لازما بعد القراءة الأخيرة، ولم يكن في الأصل عنوان للفقرات، إذ كان يترك محلها بياضا ليضع العنوان المناسب عند الطبع، أو عند المراجعة قبل دفع الأصول إلى المطبعة، وقد قمت بوضع العناوين التي تستخلص من روح الموضوع».

والحق أن الدكتور الأهواني، قد قام بالمهمة قياما حميدا، فأتاح لهذه الصفحات أن ترى النور على نحو كريم، وقد توسع في الفهرس بعض الشيء فذكر العناصر الجزئية للموضوع الكلى، وحدد أرقامها على غير المتبع من قبل، وتدور أبواب الجزء الرابع على الحديث عن المعتزلة، وأهل السنة والشيعة والصوفية ثم ختم بتذييل عن الحركات العلمية والدينية.

في المكتبة الإسلامية

سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين

للمستشرق الألماني جوستاف بفانمولر

عرض وتحليل: فتحى الإبيارى

ترجمة أ.د: محمود حمدي زقزوق

سيرة الرسول

ﷺ

في تصورات الغربيين

للمستشرق الألماني

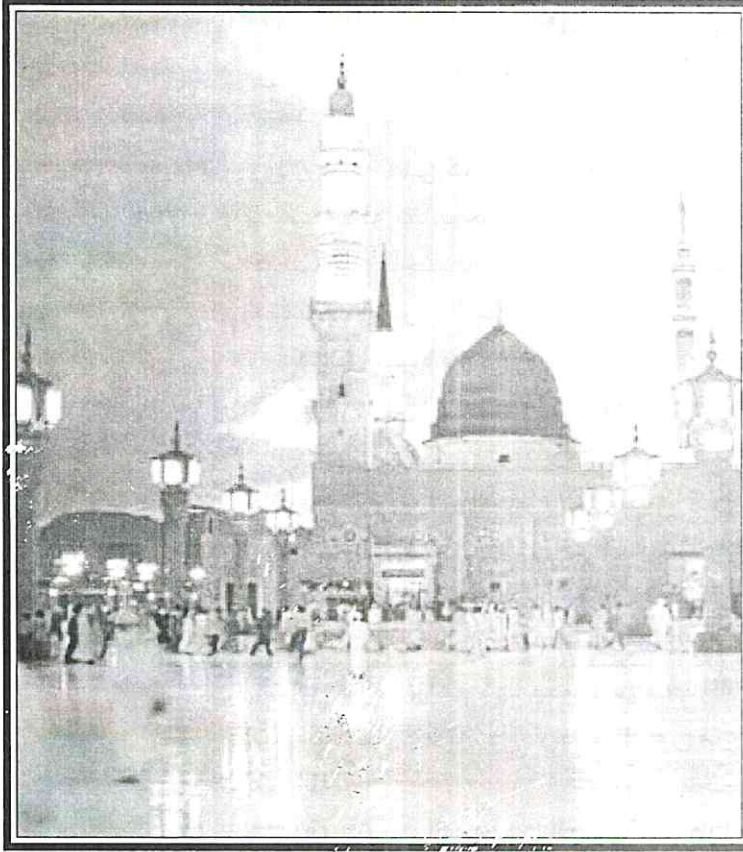
جوستاف بفانمولر

ترجمة الأستاذ الدكتور

محمود حمدي زقزوق

●● إذا كنا لم نحاول أن ندرس التراث الغربي ونحلله وننقده، كما فعل الغربيون بترائنا، فلا أقل من أن ندرس ما كتبوه عنا حتى نعرف الأسباب التي من أجلها كانت حملتهم الظالمة علينا وعلى ديننا ومقدساتنا. ومن هنا تتضح حاجتنا الضرورية إلى دراسة كل ما يكتب عنا وعن ديننا في السابق واللاحق دراسة عميقة واعية، لأن هذه الكتابات تمس أقدس ما لدينا، تمسنا في أخص خصائصنا.. وهو عقيدتنا التي نعتز بها، وتمس شخص نبينا الذي جعله الله لنا «أسوة حسنة»، وتمس قرآننا الذي جعله الله «تبياناً لكل شيء» وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين» النحل: آية ٨٩، وتمس سنة رسولنا التي هي مصدرنا الثاني للتشريع، وبصفة عامة تمس تاريخنا كله.

وإزاء هذا ترجم الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق كتاب المستشرق الألماني جوستاف بفانمولر Gustave Pfanmueller «موجز في أدب علوم الإسلام» hand bach der Islam Literature الذي أورد فيه المؤلف أهم المراجع في علم الإسلاميات في الغرب، وصنفها تصنيفاً موضوعياً وقام بتقديم عرض مختصر لمضمون كل مرجع، وقد صدر الكتاب في برلين عام ١٩٢٣م، وأعيد نشره عام ١٩٧٤م، ويقع في ٤٢٦ صفحة، وقد قام الدكتور زقزوق بنشر بعض فصوله في العدد الثاني من حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر. ونشر في



حوليات الخلافة، ومصادر الإسلام، ودولة المماليك في مصر. ومویر على الرغم من أرثوذكسيته الإنجليزية، فإنه قد اكتسب خلال دراسته تعاطفا لرجل (يقصد محمدا ﷺ) ظهر له أنه كان ضحية للشيطان. وعلى الرغم من أن مویر كانت تنقصه المادة الضرورية لسيرة حقيقية، فإن كتابه يتضمن مع ذلك سلسلة من الأبحاث النقدية التي لها قيمة باقية.

ويلق الدكتور زقزوق قائلا: «إن محمدا ﷺ ليس في حاجة إلى مثل هذا التعاطف المردود على صاحبه، وقد سبق لمشركي مكة أن زعموا أن محمدا ﷺ به مسّ من الجن فلا جديد في زعم مویر فهو ترديد لمزاعم قديمة في صورة أخرى.

شبرنجر Sprenger

أما كتاب شبرنجر (١٨١٣ - ١٨٩٣م) وهو مستشرق نمساوي الأصل، تجنس بالجنسية البريطانية عام ١٨٣٨م، وقد عمل في الهند ثم عمل أستاذا للغات الشرقية في جامعة برن بسويسرا، وله مؤلفات كثيرة منها «حياة محمد» في ثلاثة أجزاء. وقد صدر الجزء الأول في (الله آباد) عام ١٨٥١م بالإنجليزية، ثم

كتاب عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. وقد رأيت أن ألقى الأضواء على هذا الكتاب المهم في هذه الآونة التي تنتشر فيها حملة الموتورين على الرسول الكريم ﷺ، مدفوعين بقوى صهيونية معروف عداؤها للرسول وللإسلام، ومع ذلك فهذه الحملات تفشل ويزداد انتشار الإسلام في ربوع أوروبا والعالم لأن الهدف منها اثبات أن الإسلام دين إرهاب وتصوير المسلمين بالإرهابيين. ولذلك ينبغي أن نعرف ماهذه الحملات، وكيف نواجهها، بالعلم والتصدى لها بمناقشة كل من يحاولون تشويه لصورة الرسول ﷺ وصورة الإسلام، وصورة المسلمين. وقد قام الدكتور زقزوق بمناقشة هذه النقاط مناقشة علمية توضيحية ليعرف الإنسان الغربى حقيقة الرسالة المحمدية الرامية لإسعاد الإنسان في أى مكان، وإرشاده إلى عبادة الله الواحد الأحد، والرد على المزاعم والمفتريات على الإسلام ورسوله الكريم ﷺ.

«مویر Muir»

وهناك العديد من الكتاب الذين تناولوا حياة محمد ﷺ.. بالنقد والتشويه، والبعض الآخر بالدفاع عنه بالأسلوب الغربى. ومنهم السير وليم مویر (١٨٠٩ - ١٩٠٥م) مستشرق اسكتلدى، عمل في الهند ثم اختير رئيسا لجامعة أدنبرة. ومن مؤلفاته: حياة محمد في أربعة أجزاء. وقد صدر في لندن من ١٨٥٨م حتى ١٨٦١م، وله أيضا

رغم كل حملات التشويه التي أطلقها أعداء الإسلام في حق الرسول ﷺ إلا أن الإسلام يزداد انتشارا في ربوع العالم كله

صدرت الأجزاء الثلاثة بالألمانية في برلين من ١٨٦١م حتى ١٨٦٥م وأعيد طبعه عام ١٨٦٩م، ويعلق المستشرق الألماني المعاصر «رودي برت» على كتابات شبرنجر «حياة محمد» بأنه كتاب جاء مخيبا للآمال في أكثر من ناحية وأنه لم يراع شروط ومتطلبات التقرير العلمي.

وكتاب «حياة محمد وتعاليمه» يبرهن من عنوانه على أن المؤلف لم يفرق تفرقة كافية بين دين محمد وبين الإسلام، وقد خلص اشبرنجر إلى الاقتناع بأن محمدا كان إنسانا هستيريا. ونهج شبرنجر نفس مزاعم ورد بعض المستشرقين بأن ظاهرة الوحي للنبي لم تكن إلا نوبات من الصرع تعتريه، وأساس هذه المزاعم كلها يكمن في محاولة استبعاد القول بنبوته، وإنكار تلقيه الوحي من عند الله.

«وقد أثبتت الدراسات العملية في هذا القرن الواحد والعشرين أن الذين يصابون بالصرع، لا يفقهون شيئا بعد انتهاء النوبة الصرعية، أما من يزعمون بأن الرسول كان مصابا بالصرع، فإنه بعد مرور هذه الحالة الإلهية، يلقي بآيات القرآن الكريم التي أوحاها له الله سبحانه وتعالى»، وكانت تلك المقولات الباهتة من العوامل التي كانوا يهاجمون بها الرسول ﷺ والقرآن الكريم، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ الحجر: آية ٩.

وقد رد القرآن الكريم على كل هذه المزاعم المتوترة. ويخبرنا القرآن الكريم أن محمدا - عليه الصلاة والسلام - والمرسلين من قبله قد وجهت إليهم تهمة الجنون من أقوامهم. ومن ذلك قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ الحجر: آية ٦، وقوله تعالى:

﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ الذاريات: آية ٥٢، وقوله تعالى: ﴿ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ الدخان: آية ١٤، وقوله تعالى: ﴿كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر﴾ القمر: آية ٩.

وقد أساء المستشرقون عن جهل أو عن عمد فهم الظواهر التي كانت تصاحب الوحي عند نزوله على النبي ﷺ في أنه - كما يقول الرسول نفسه - كان يأتيه مثل صلصلة الجرس. وكما تقول عائشة - رأيتها ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا، كما روى ذلك البخاري في صحيحه في حديث مشهور.

تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠م)

وأما كتاب نولدكه «تاريخ القرآن» فإنه يفي بكل متطلبات العلم. ونولدكه مستشرق ألماني كان أستاذا للغات الشرقية في عدد من الجامعات الألمانية. وله إنتاج غزير في مجالات التحقيق والترجمة والأدب العربي واللغات السامية والدراسات الإسلامية. وقد صدر كتابه «حياة محمد» في هانوفر ١٨٦٣م، وكتاب «تاريخ القرآن» لنولدكه. كتاب عظيم القيمة لكل الذين يدرسون الإسلام. ولكنه لغير المستشرقين كتاب شاق الاستعمال، أما كتاب «محمد» لنفس المؤلف فإنه كتاب شعبي ومختصر، وهو يقينا أفضل كتاب من هذا النوع، ولكنه لا يستوفى سيرة النبي ﷺ.

أما في الفصل الثالث: الذي جاء بعنوان «التأثير الكبير لمحاربة الكاثوليكية للإسلام، فإنه يصف المحاربة والنقض المنظمين لمحمد من جانب كل من بسكال (الفيلسوف الفرنسي المعروف (١٦٢٣ - ١٦٦٢م). ويرى أن محمدا العدو اللدود للكنيسة. وهاجمه كثيرا.

أما رد الاعتبار لمحمد - كما يتناول ذلك الفصل الرابع الذي يحمل عنوان «رد الفعل البروتستانتى والفكر الحر». وقاد كل من ريلاند، وجانييه إلى نظرة أكثر موضوعية لشخص محمد وأعماله لدرجة أن «الكونت بولا نفلييه» رأى في محمد شخصية عبقرية ومشرعا وفاتحا عظيما.

وقد خصص المؤلف الفصل الخامس لموضوعه «محمد فى الأعمال المسرحية». وفى الفصل السادس، الذى جاء بعنوان «محمد والموسوعيون» يعرض مارتينو عمل فولتير «مقال عن العادات وأعمال الموسوعيين».

وكان الحكم على محمد فى القرنين السادس عشر والسابع عشر، حكما سيئا إلى أبعد الحدود.

رد الاعتبار لمحمد فى القرنين الثامن والتاسع عشر

أما رد الاعتبار لمحمد ﷺ فقد جاء أولا من جانب مؤلفين بروتستانت وبصفة خاصة من جانب كل من هوتجر، وريلاند، وسيل»، وقد كان عصر التنوير والفليان على وجه الخصوص يولى شخصية محمد ﷺ اهتماما كبيرا، وهنا يعرض (هاز) تصورات كل من فولتير، وبایل، وجيبوت، وليبنتز، ولسينج.. وغيرهم، ويسهب بصفة خاصة فى عرض تصورات (جوته) عن النبى العظيم ﷺ.

وأخيرا جاء القرن التاسع عشر بعرض تاريخى نقدى لحياة النبى ﷺ وأعماله، وقد وضع حجر الأساس فى هذا السبيل (فايل) بكتابه عن سيرة محمد، وقد تبع ذلك فى الستينيات فى القرن العشرين المؤلفات الكبيرة عن محمد لكل من (موير) وشبرنجر، ونولدكه، وقد سار على دربهم أمثال كريل، وأوجست مولر.

تور أندريه (مستشرق سويدي ١٨٨٥-١٩٤٧م)

والمستشرق السويدي تور أندريه عمل أستاذا للعلوم الدينية فى جامعتى استوكهولم وأوبسالة، وله مؤلفات كثيرة من أهمها: القصص فى الإسلام، والصوفية والنصرانية والإسلام. والإسلام عقيدة ووحى، ومن هو محمد؟

ومنذ أن مهد كل من موير وشبرنجر ونولدكه الطريق الصحيح لم يظهر كتاب واحد له قيمة إبداعية عن حياة محمد ﷺ. وهناك عدد كبير من المؤلفين الذين قاموا بنهب مؤلفات هؤلاء العلماء بدرجات متفاوتة فى الفهم، وعرضوها على الجمهور فى صورة دراسات لا تحصى، إما دون أى تغيير وإما بإضافة شئ من عندهم. وهذا أحيانا ما يكون أكثر سوءا.

بيير مارتينو

ويقدم لنا بيير مارتينو Pierre Martino نظرة تاريخية على بدايات محمد فى فرنسا، وذلك فى بحثه عن «محمد فى فرنسا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر»، وهذا البحث مأخوذ من كتاب كبير للمؤلف بعنوان: «الشرق فى الأدب الفرنسى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر» الصادر فى باريس عام ١٩٠٦م.

وتحدث فى الفصل الأول عن «ما قبل القرن السابع عشر»، وعن الحروب المريرة بين المسيحيين والمحمديين فى عصور الحروب الصليبية.

أما الفصل الثانى (من بحث مارتينو) الذى يحمل عنوان «الدراسات الإسلامية الأولى»، فإنه يتناول بالبحث أولا كتاب ميشيل بوديه.. «تاريخ ديانة الأتراك ومولد وحياة ووفاة نبيهم المزيّف محمد». الصادر فى باريس عام ١٦٢٥م. وقد كان بوديه أول من قام بتأليف سيرة لمحمد بالفرنسية.

أما كتابه عن سيرة الرسول (شخص محمد في تعاليم وعقيدة أتباعه) فقد كان رسالته للدكتوراه التي تقدم بها إلى جامعة استوكهولم عام ١٩١٧م، وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإيطالية، والإنجليزية والألمانية، وهو الكتاب الذي يتحدث عنه بفانمولر.

ويبحث (تور أندريه - على أساس من اطلاعه الواسع على المراجع الكثيرة والتصورات المتعلقة بشخص محمد في تعاليم طائفة المسلمين وعقيدتهم منذ البدايات الأولى حتى تكوين التقديس للنبي، وفي مقدمة دقيقة للغاية يتناول أندريه مسألة المكانة التي طالب بها محمد نفسه لشخصه في النسق الديني. فمن ناحية كان محمد يحس أنه ليس إلا مبلغاً للوحي الإلهي الثابت المكتوب، ومن أجل ذلك وضع شخصه في الخلفية على نحو يتسم بالخضوع.

ويعلق الدكتور زقزوق على بحث أندريه، قائلاً: لقد بدأ وعى محمد ﷺ باصطفائه مع بداية بعثته وإلا لما استطاع أن يصمد هذا الصمود العجيب مدة ثلاثة عشر عاماً في مكة يدعو فيها إلى دين الله. ومن منطلق وعيه التام باصطفائه، وبأن ما جاء به هو الحق، وكانت قولته الشهيرة لعمه أبي طالب «والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

وهكذا نرى أن هذا الوعي بالاصطفاء لم يكن - أو لم يزد - نتيجة ظروف خارجية «غير متوقعة»، فقد كان جلياً واضحاً منذ اللحظة التي أمره الله فيها أن يصدع بدعوته ويعلن على الناس رسالته، فخرج إليهم قبل انتصار بدر باثني عشر عاماً يقول لهم: «أنا رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة».

وعلى الرغم من هذا الوعي القوي بالاصطفاء، فإنه ظل حتى آخر لحظة يشعر بأنه ليس إلا مبلغاً رسالة ربه، وقد ورد تأكيد هذا المعنى في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً على الأقل نصفها مدني والنصف الآخر مكّي.

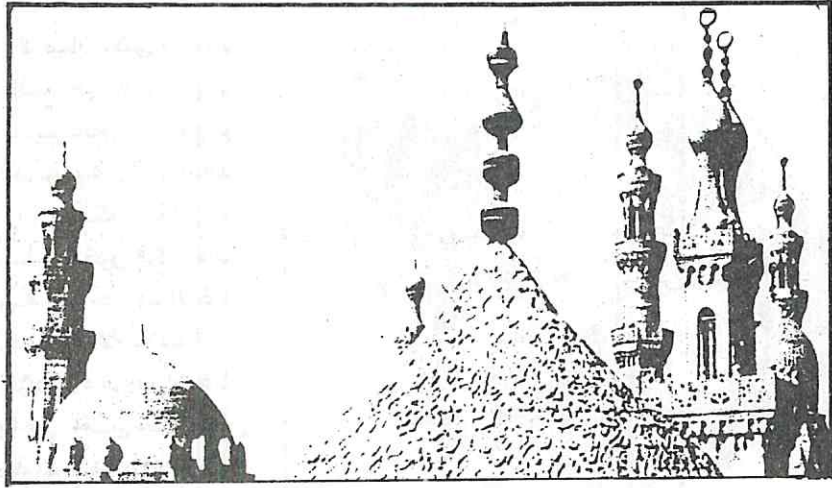
أما أن محمداً كان يتحدث عن الله ورسوله حديثاً يكاد يجعلهما في مكانة واحدة فلعل (أندريه) يعني هنا ما ورد في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ النساء: آية ٨٠، وقوله تعالى: ﴿أطيعوا الله ورسوله﴾ الأنفال: آية ٢٠، وقوله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ آل عمران: آية ٣١، وأمثال هذه الآيات كثيرة. ولكن المتكلم هنا هو الله سبحانه وتعالى لا محمد، والله أيضاً

هو الذي كان يعاتب نبيه عندما كان يتخذ قراراً لا يكون هو القرار الأولي، كما عاتبه في عبدالله بن أم مكتوم وفي فداء الأسرى.

والقرآن الكريم يؤكد في العديد من آياته على بشرية الرسول، من ذلك قوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد﴾ الكهف: آية ١١٠، وفصلت: ٦٠، وقوله: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ الإسراء: آية ٩٣.

وهكذا يستمر الدكتور محمود حمدي زقزوق في التعليق والتوضيح لكل ما جاء في كتاب المستشرق الألماني جوستاف بفانمولر «سيرة الرسول ﷺ.. في تصورات الغربيين» وهو من الكتب المهمة التي ينبغي على الدعاة والكتاب والمسلمين أن يطالعوه، ليعرفوا أن تلك الحملات الموتورة التي تظهر بين الحين والحين لأهداف سياسية دنيئة، تحاول اثبات أن المسلمين.. هم رعاة الإرهاب. ولكن باءت محاولات الصهيونية الدنيئة بالفشل في كل مرة. وانكشفت أهدافها وعلينا أن نهتم بإنقاذ الإنسان الغربي من هذه المحاولات المضللة، وأن نضع أمامه حقيقة الرسول ﷺ ورسالة الإسلام الحقيقية التي تهدف إلى إسعاد الإنسان، وأن يجعله يعيش في سلام مع الآخرين. وقد أثبتت الأيام أن الآلاف من الغربيين قد دخلوا الإسلام، عن اقتناع وفهم، بعد أن انكشفت لهم الحقيقة.. وسوف نستكمل فصول الكتاب.

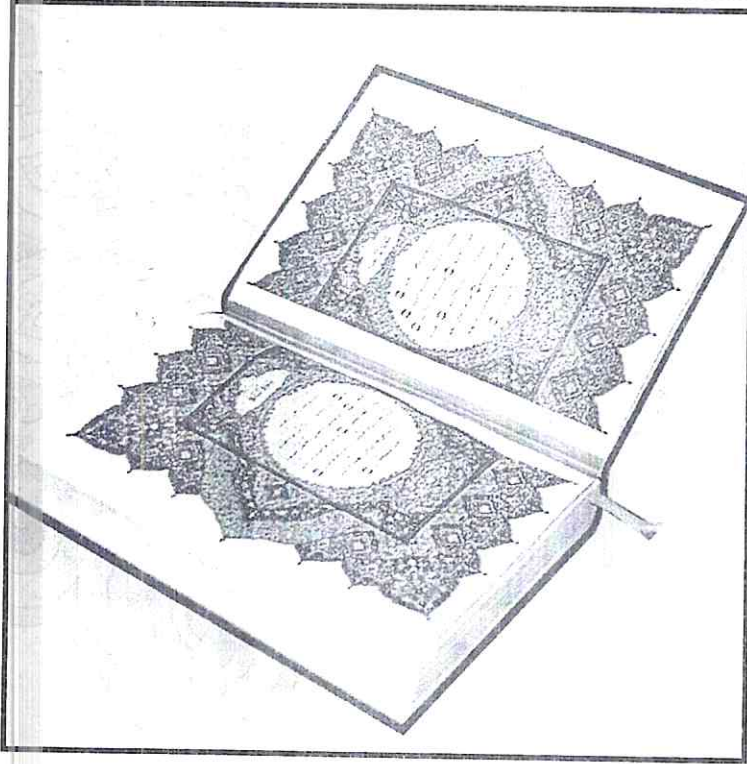
الدعوة والخطاب الدينى



- حرية التعبير فى الإسلام
- روح الإسلام العمل
- واجب الدعوة نحو القرآن
- لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة

حرية التعبير في الإسلام

أ. د. محمد الشحات الجندي



الحرية في الإسلام هي منحة إلهية وفطرة إنسانية، وحق من حقوق الحياة، تتمتع بسياسات من الحماية القانونية، وهي في جانب التعبير عن الرأي والفكر تمكين كل شخص من إظهار مكنون فكره وما يعتل في نفسه في حدود النظام العام والآداب والمصلحة الإسلامية. ولقد أعلی الإسلام من شأن هذه الحرية، وجعلها من أخص خصائص الشخصية المسلمة، وألزمه بممارستها من خلال سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لمحاربة كل مظاهر الانحراف والفساد والتسيب.

وقد بلغ من حرص الإسلام على ذلك أن قررها الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه كمعلم من معالم حكمه بقوله: «إني وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الضعيف فيكم قوى عندي حتى أخذ الحق له، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه، الصديق أمانة، والكذب خيانة»، وتعد هذه المقولة بمثابة دستور للحكم في الإسلام أكدده عمر وحكومة الخلافة الراشدة.

والحرية في الإسلام هي حرية منضبطة مسئولة، يستوى في ذلك أن تكون للفرد أو للجماعة، على المستوى الخاص أو المستوى العام، ويستوجب ذلك أن تلتزم الحرية في الإسلام بالصدق والموضوعية والعدالة والانصاف.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ التوبة: آية ١١٩، وقول الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار».

ومن هنا تركز الحرية على الإقناع السديد والحكمة والموعظة الحسنة والإسلام بمقتضى عقيدته ونظامه هو رسالة دعوية للإنسان تدعوه إلى التوحيد وتحرره من عبودية الإنسان، وتنشله من وهدة التبعية والإذعان للآخر، وتربيته على استقلال الشخصية ويأمر المسلم أن يحسن للأغيار وأن يتواصل معهم بقوله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾، وعلى ضوء إثبات الحقائق

الجزء الأكبر من الحرية المنفلتة عبر وسائل الإعلام موجه إلى العالم العربي والدين الإسلامي

كما أنه على المستوى الشخصي وجود صاحب العقيدة بمهجة روحه وهو راض ومقتنع بمسلكه هذا، معتبرا تصرفه هذا من موجبات حماية عقيدته.

ومع هذه النفاسة والقدااسة لحق العقيدة، لم يتوان الإسلام عن الانحياز للحرية، وأرسى بمقتضى نصوص قاطعة فى ثبوتها ودلالاتها، فى مبناها ومعناها حق اختيار العقيدة، وأجاز لكل فرد أن يمارس حقه فى اختيار الدين الذى يريده.

برهانه: نص ﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ البقرة: آية ٢٥٦، وهى آية مدنية نزلت تنهى بعض الصحابة عن إكراه بعض أولادهم عن اعتناق الإسلام، وعن ابن عباس أنها نزلت فى مسلم من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، فقال للنبي ﷺ: ألا أستكرهما على الإسلام، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله الآية. فهذا من ضمان حماية حق الصغير فى التعبير، وعدم فرض اعتناق الدين الإسلامى عليه، ويستتبع ذلك حماية حق المخالف فى ممارسة شعائر دينه، وتمكينه من أدائها.

حرية التعبير فى الإعلام المعاصر

يعيش الإنسان المعاصر ثورة إعلامية ومعلوماتية هائلة، فهو بنهاية الألفية الثانية ومستهل الألفية الثالثة تسوده حالة من الترقب الدائم والدهشة المربكة، بسبب ما تبثه وسائل الإعلام من تقنية مبهرة فى الخبر والمعلومة ومتابعة الأحداث وإثارة الفرائز باسم حرية التعبير.

وينتج عن ذلك اغتيال قيم الأديان، وطمس معالم الثقافات وبرمجة التفكير وغسل الأدمغة، فتختلط المفاهيم، ويروج

الإيمانية والركائز الإسلامية يكون للشخص أن يختار الإسلام أو يختار غيره، ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ الكهف: آية ٢٩.

وبذلك يكون كل شخص مسئولا عن اختياره، فلا يزدري فكره، ولا تغل حرите، ولا يصادر رأيه، ومن ثم يكون قراره مبنيا عن قناعة واختيار وتمحيص.

حرية التعبير

وحرية التعبير هى حرية منضبطة فى الإسلام، وهى لذلك تتضمن التعبير بالمعنى الإيجابى والإصلاحى للفرد والجماعة، اختيار فى شئون العقيدة والفكر والرأى وهى حق جوهرى فى الإسلام، ومقررة للإنسان فى جميع مراحل عمره صغيرا أم كبيرا، طفلا أم كهلا، ولم يتسامح الإسلام فى اغتيال هذا الحق أو النيل منه، بل جعله حقا إنسانيا لصيقا بالشخصية الإنسانية أينما وجدت وحيث وجدت.

لا يتسامح الإسلام مطلقا فى مصادرة حق الحرية فى التعبير عن الرأى فلا يجوز اغتياله أو النيل منه، وأقوى البراهين عليه حرية العقيدة، كونها محور الحريات وأقدسها، والتى هى الأساس فى مشروعية كل الحريات، فالعقيدة والإيمان من أئمن ما يحرص عليه الفرد والجماعة، لذلك تكفلت بحمايتها كل النظم وكانت من النظام العام الذى لا يجوز بمقتضاه التنازل عنها أو المساومة بشأنها أو الخروج عليها أو المساس بها.

وحقوق الإنسان وثقافة الديمقراطية. والغريب أن هذه الحرية المنفلتة توصف بأنها مفخرة المدنية الحديثة، ومظهر إبداع للحضارة الغربية، وآية على العبقورية الأوروبية فى المجالات السياسية والاجتماعية والتقنية والتكنولوجية، وبرهان على التفوق والريادة الغربية على كل الهويات والنظم المعاصرة.

وخطورة هذه الحرية المنفلتة، عبر السماوات المفتوحة أن الجزء الأكبر منها موجه إلى الدين الإسلامى وإلى العالم العربى والإسلامى بغية فرض النموذج الغربى، وإعادة تشكيل هذا العالم، مستهدفًا من وراء ذلك تقويض الهوية وخلخلة ذاتية الأمة وتحطيم المصدات التى تمثل الدرع الواقى لها من الحملات المنظمة ضد ثوابت الأمة وصالحها العليا.

ومن يتأمل وسائل الإعلام الغربية وإصرارها على هذه الممارسات المتكررة بالتشكيك فى مقدسات الأمة، واقتلاع الأصول الدينية حتى تجعل الأرضية ممهدة، والمناخ مواتيا لإخضاع شعوبها وهزيمة فكرها وأيديولوجيتها، ومن ثم يضحى هذا العالم الذى يربو على المليار وثلاث المليار لقمة سائغة، ويصبح أفرادها شيوخا هامدة لا تقوى على المقاومة والحراك الاجتماعى.

ووجه المفارقة فى ذلك السلوك المتفطرس، أنه يرفع لواء العالم الواحد، والمصير المشترك، وتحرير الأمم والشعوب وإعلاء قيم الحرية وحقوق الإنسان إلى غير ذلك من

لأفكار وفلسفات زائفة ومفلوطة باسم إعلاء مكانة العقل، وتقديس الحرية، وهذا هو ما يقصده القائلون على أمر هذه الشبكات الإعلامية العنكبوتية، فهم قد حددوا أهدافهم سلفًا، وخططوا بدقة لبلوغها، وهيئوا المناخ المواتى لبثها توطئة لإحداث أثرها. وبذلك الصنيع يظن أصحاب هذه الأدوات الجهنمية أنهم اخترقوا الحصون المقدسة للعالم الأخرى، وأنهم قادرون على زعزعة الهوية الإسلامية واجتياح حصونها، والتشكيك فى القيم الروحية والدينية، وهيئات لهم ذلك.

ومع ذلك فقد بات بعض المسلمين المعاصرين فى حيرة من أمرهم، ما بين مبهور بها، ومفتون بأفانيتها، أو رافض لها وساخط عليها، مما جعل بعض المستغربين من بنى جلدتنا مشوهى التفكير، مسلوبى الإرادة، منسحقين تحت وطأة هذه التقنية الجبارة، وأصبح المسلم منشطرا بين خصوصيته الثقافية، وبين عولمة العصر الذى يعيشه، لا يدري كيف يكون التوفيق بين الثقافتين، تتجاذبه الأطروحات المتبانية شديدة التباين تلك التى تعتصم بدينها وتتخندق حول هويتها، أو الأخرى المنضوية تحت لواء العولمة ومواكبة العصر والانضمام الحضارى.

فيجد البعض أن هناك انكفاء على الذات وجمودا على الموروث عند المؤسسة الدينية فى الأساس أو على مستوى النخبة أو لدى صناع القرار أو عند العامة والدهماء، الأمر الذى ينشأ عنه ضعف المواجهة، بالقياس إلى خطاب هذه الأبواق بما تملكه من عناصر بشرية، وقدرات تقنية، وقوة ضاربة، وقدرة على تزييف الحقائق فى عالم اليوم بدعوى الحريات،

فى ظل
الثورة
المعلوماتية
اختلطت
المفاهيم
وتم الترويج
لفلسفات
زائفة
مفلوطة
باسم إعلاء
مكانة
العقل
وتقديس
الحريات

والناسخ، ومعظم القرآن ملغى ومنسوخ ولا توجد إلا ٤٣ آية فقط من أصل ١١٤، والباقي ملغى أو منسوخ، وأنه لهذا السبب فإن المعاصرين لمحمد كانوا أيضا مدهوشين بهذه الهندسة المتغيرة.

وتعلل الصحيفة سبب ذلك بوجود التناقض بين السور والآيات، وتاريخ النزول فالسابق ملغى باللاحق، وأن النصوص المتسامحة في القرآن ترتبط بوقت كان فيه الإسلام أقلية، وكان محمد مهددا بالقتل، وأن التسامح قدم على أنه أمر من الله لضرورة ذلك لأن الإسلام لا يزال في نشأته، لكن عندما قوى الإسلام وأصبح قادرا اختلفت اللهجة، وأن هناك آيات أكثر عنفا، مثل الآية المعروفة بآية السيف سورة التوبة: آية ٢٩: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾.

ومن أهم المصادر في الشريعة الإجماع بمعنى الاتفاق، استنادا لحديث: «لا تجتمع أمتي على خطأ أو على ضلالة»، وأن الواقع أن العنف المسلح لنشر الإسلام يحظى بالإجماع بين الشرعيين والفقهاء المسلمين.

إن الادعاء بأن الإسلام دين معتدل هو عملية احتيال من ثلاثة جوانب:

- ١ - آيات العنف غير المتسامحة.
- ٢ - أن محمدا نشر الإسلام بحد السيف، واعتمد القتل لكل الذين رفضوا اعتناق الدين أو كانوا يعارضون أفكاره.
- ٣ - أن من مصادر الإيمان في الإسلام الدكتاتورية والتعصب والإكراه، ودليله أن محمدا كان قائد جيش، ورئيس شرطة وزعيم ديني في آن واحد، وكان يستخدم كل ذلك لحمل الآخرين على دينه.

وقد توالى الإساءات وازدراء الدين الإسلامي، في تصريحات البابا بيندكت، ونشر الرسوم الكاريكاتورية وإعادة نشرها في ١٧ صحيفة دانماركية، وبث النائب الهولندي المتطرف جيرت فيلدرز فيلم «فتنة»، الذي حشد فيه مشاهد الإرهاب والتعصب، والتخلف ومعاداة الحضارة، والكرهية للمدنية بنماذج من القرآن الكريم، وهو ما ينبغي إزاءه دحض تلك الافتراءات، وبيان الوجه الصحيح للإسلام.

الأغاليط التي تستهدف هيمنة المدنية الغربية، وطمس الهوية الإسلامية بحسبانها خطرا على الحضارة المعاصرة.

ثم إن هذا المسلك المعيب، متهم أبغ اتهام بالمعايير المزدوجة، ومجافاة الموضوعية، إذ يمارس حرية الفحش ضد الإسلام، ويجرم في ذات الوقت من يمارس حرية التعبير بالنسبة للسامية ويعتبر إظهار جرائمها ضد الإنسانية خطأ أحمر يستحق كل من يتجرأ عليه العقوبة الرادعة، فأين العدالة والإنصاف في الموقفين؟!.

نماذج من إنكار حرية العقيدة في الإعلام الغربي

لم تثر حرية من الجدل ما أثارته حرية التعبير، فكم حملت من التجاوزات، فقد تعددت وتنوعت صور الإساءة والتطاول على الإسلام ورموزه ومقدساته، من خلال أجهزة الإعلام المعاصر. الصحافة والتلفاز وشبكة المعلومات الدولية، نموذج ذلك ما نشرته صحيفة الفيجارو الفرنسية عام ١٩٩٩م بقولها: إن المدافعين عن الإسلام يشيرون دائما إلى آية: ﴿لا إكراه في الدين﴾ إلا أن أغلب الغربيين ممن لا يقرءون القرآن لا يستطيعون فهم مدى المغالطة والاحتيال الذي يتضمنه ذلك الادعاء.

فإننا نحن الغربيين نعتقد أن القرآن كتاب مقدس يمكن فهمه من نفس مفاهيم الإنجيل، وهذا غير صحيح، فإن القرآن فيه المنسوخ

روح الإسلام العمل

فخيلة الشيخ / محمد عبد المجيد زيدان

الإسلام دين القوة والعمل والكرامة يكره المؤمن الضعيف وبشيد بالمؤمن القوى.

ما خلق الإنسان إلا ليعمل ولا حياة له إلا بالعمل للدين والدنيا معا، فقد خلق الله له اليدين والرجلين والعقل المميز وقوة التفكير وخلق له مافى الأرض جميعا وأمره بالسعى وتحصيل القوت فقال: ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك: ١٥، حتى عقب العبادة يأمره بالعمل لئلا يتطرق لنفسه الكسل فيقول: ﴿إذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ الجمعة: آية ١٠، وإذا كان القرآن الكريم قد تحامل على الدنيا فى بعض آياته ووصفها بمتاع الغرور فما ذلك إلا ليحافظ على التوازن بين المادة والروح حتى لا يطغى المسلم فى دنياه وينسى ربه وواجباته ويتعدى على حدود الله. ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ العلق: الآيتان ٧، ٦، ﴿لهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ التكاثر: الآيتان ٢، ١.

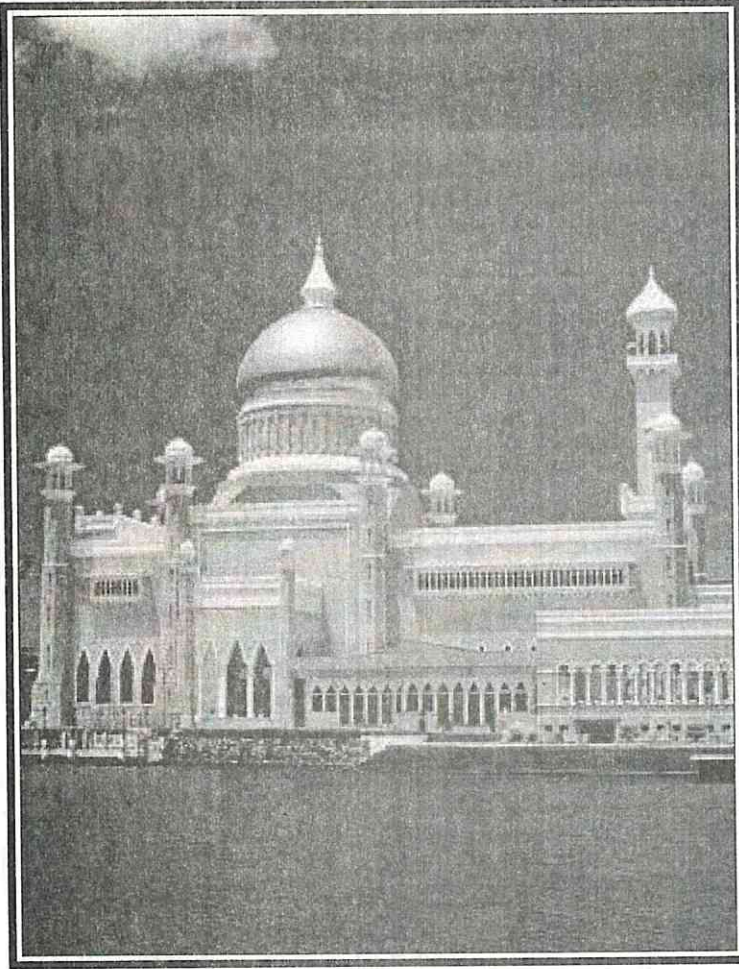
والمسلمون الأولون لم يتأخروا عن العمل من أجل الدنيا مع الاحتفاظ بالإيمان الرادع عن الانسياق مع الهوى والغرور حتى كان من بين الصحابة أصحاب الثراء والأموال ولم يعب عليهم النبى ذلك، بل إنهم بأموالهم استطاعوا أن يناصروا الإسلام ويجهزوا جيوشه فى أيامه الأولى يوم أن كانوا قلة بين أعدائهم.

إن شيوع فكرة الإعراض عن الدنيا يؤدى فى الغالب إلى شل طاقات المؤمن وإعاقة عن القيام بمتطلبات وجوده من عمل وسعى وكد واجتهاد ومن طلب حثيث للأسباب، وجهل المسلمين بكتاب ربهم هو الذى أوقعهم فى شرك أعدائهم، والجاهل يفعل بنفسه مالا يفعل العدو بعدوه، فالعبادة التى خلق الله لأجلها المخلوقات لا يكون سبيلها

**الإعراض
عن الدنيا
يعوق
المؤمن عن
القيام
بمتطلبات
وجوده من
عمل وسعى
واجتهاد**

فى الحياة الانقطاع عن الدنيا فلا رهبانية فى الإسلام والقناعة فى الإسلام قناعة الغنى المقدر لا قناعة العاجز المفتقر (والقناعة ما كانت عن ظهر غنى)، فسبيل العبادة فى الإسلام تحقيق رسالة الاستخلاف فى الأرض التى استأمن الله عليها آدم وذريته من بعده بدليل قوله عز وجل: ﴿ثم جعلناكم خلائف فى الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ يونس: آية ١٤، فليس العمل فى الإسلام قاصرا على التعبد وإقامة الشعائر وليس مكان العمل خاصا بمساجد الله فقط.

وفهم الدين بهذا اللون تضيق له وحصر لتعاليمه وسلخ له عن الحياة وقطع لحباله المتينة التى تربط بين أفراده لأن الخلافة فى مدلولها الصحيح تعنى توكيل أمر التصرف إلى الإنسان بما يصلح شأنه ويعلى قدره ويبنى أمجاده على الأرض فإذا قال الله لنا ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ التوبة: آية ١٠٥، فليس القصد أن نكتفى بصلاة وتسبيح، وإنما أمرنا بالعمل لربنا نعبده ولديننا ننصره ولأهلنا نصلهم ولوطننا نخدمه ونفديه بالنفس والمال، وأن نعمل لبلادنا



الله ﷺ أنه دخل يوما المسجد فوجد فيه شابا يطيل المقام فيه أكثر يومه فسأل من يعوله قالوا أخوه، فقال أخوه أعبد منه، وفي حديث النفر الذين أثنوا على صاحبهم بصيام النهار وقيام الليل حين سألهم النبي ﷺ من يعوله؟ قالوا كلنا فقال كلكم خير منه، وعندما رأى سيدنا عمر قوما أعرضوا عن العمل وركنوا إلى الراحة والكسل فقال: ما أنتم قالوا متوكلون فقال كذبتكم، بل أنتم متوكلون، إنما المتوكل رجل ألقى الحبة في الأرض ثم توكل على الله» لأن صلاح الدين مؤسس على صلاح المعاش وتوفير الضرورات والحاجات للإنسان.

لقد ابتليت أمة الإسلام بطائفة تنتسب للدين وتتخذ من آيات الزهد وسيلة لتحقير الحياة وما فيها والظعن في الدنيا وأهلها والسخرية بالأرض ومن عليها ويضربون على نغمة الاعتزال عن الناس ويتجرون بالوعظ المميت والإرشاد القاتل

نستخرج خيراتها ونضرب في مناكبها باحثين مصلحين، وأن نعمل للأخوة الشاملة لا في المسجد وحده بل في المسجد والمعمل والمصنع والمزرعة والديوان والورشة، وهذه مهمة عظيمة ومسئولية جسيمة تستدعى توظيف طاقات الإنسان الذهنية والنفسية والجسدية عن طريق العمل لإعمار الكون وإظهار نواميسه واكتشاف قوانينه بموجب ما صرح به القرآن في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ لقمان: ٢٠ وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ إبراهيم: ٢٢، فالالتفات إلى العمل بحسن القصد فيه مع است فراغ الجهد إحسانا وإجادة واتقاناً هو من العبادة في الإسلام وكل مسلم يستطيع أن يعبد ربه وهو في وظيفته أو صناعته متى راقب ربه قبل أن يراقب رؤساءه وأدى واجبه كاملاً مخلصاً، والعامل الذي يخشى ربه في حرفته فلا يهمل فيها لا يقل أجراً عن عابد متبتل إن لم يزد عليه ثواباً، فقد مر عيسى عليه السلام برجل يتعبد في صومعة فقال له ماذا تصنع؟ قال أعبد. قال ومن يعولك؟ قال أخي: قال: وأين أخوك؟ قال يعمل في المزرعة، قال أخوك أعبد منك، ومن الآثار الصحيحة المنقولة عن سيدنا رسول

ابتليت الأمّة بطائفة تتسبب للدين وتتخذ من آيات الزهد وسيلة لتحقير الحياة والطعن فى الدنيا

للنفوس فترى الواحد منهم يتغنى دائما بأن الدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة، وأن الدنيا جيفة ومن عليها كلاب (مع أنه ممن عليها)، وأن السعى للعيش ينافى التوكل على الله، وأن العمل لتحصيل القوت نقص فى الاعتماد على الله والثقة به، وأن الرزق مضمون ولو قعد المرء عن طلبه.. إلخ. ذلك الكلام المسموم المناقض لآيات القرآن وللواقع المشاهد المحسوس. إن هذا الفريق اتخذ من كلمات الزهد وسيلة لأطماعه. نعم إن فى الإسلام زهدا وقناعة لكنه زهد يقلل طمع الإنسان وحرصه الزائد، لا زهد يقطع عن الناس ويفصله عن الوجود، وتدين يتدرج بالمسلم فى مدارج الرقى الخلقى والجهاد النفسى لا تدين مثبط للهمم وقاتل للعزائم. فصفة التدين فى الإسلام لا تعنى بأى حال من الأحوال أن ينسحب الإنسان من واجبات الحياة، بل إن توجيهات الإسلام تدعو فى مجملها إلى الالتحام بحركة الزمان والمكان وإلى الانخراط فى الواقع بالعمل الذى من شأنه أن يشيع الخير والرفاهية والسعادة لكل الناس، وهناك فريق ثان ابتليت به هذه الأمّة يهون على الناس أمر الآخرة والعمل لها ويجعل الدنيا غاية ويرى أن الحياة فرصة يجب انتهازها وأن الدنيا متع لا يمكن تعويضها وأن ساعة الحظ لن تعوض، فعلى الإنسان اغتنامها، هؤلاء عباد الشهوات وخدام ملذاتهم لا يقتصرون على الإثم يفعلونه، وإنما ينافسون ويزاحمون إبليس فى وظيفته فيزينون الفحش ويحسنون للناس الإثم ويحببون إليهم المنكر ويزينونه بضروب من المدنية الحديثة والتمدن الكاذب والفريقان اللذان أحدهما يزهد الناس زهدا يقطعهم عن الحياة،

والآخر يدفعهم إلى الشهوات دفعا، إنما يدعوان إلى شئ واحد هو صرف الناس عن العمل والواجب، فكلاهما يبعد الناس عن الطريق الذى رسمه الله لعباده فيصد عن أداء الواجب وعمارة الأرض، وكلا الطرفين خطر على الأمّة وعلى شبابها الذى يمثل نصف الحاضر وكل المستقبل ولا نجد ما نرد به عليهما أبلغ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فالله تعالى يقول: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ القصص: آية ٧٧، فجعل لنا فى الدنيا نصيبا يجب أخذه وأن نجعل غايتنا من كل خير تناله ومقصودنا الآخرة ولن نفوز فى الآخرة إلا إذا قمنا بما فرضه الله علينا من خدمة الفرد والمجموع والدين والوطن، ويقول - سبحانه -: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ الأنعام: آية ١٣، فهذه تبرز قيمة العامل وعند التأمل فى كلمة «درجات» نرى أنها توحى بتفاوت المنزلة - تبعا لعلم المرء وعمله وإخلاصه فيه وإجادته - وأنها بلفظها مستعملة مع كل من العلم والعمل والعقيدة ومادام العمل عبادة كما وضحنا فإن العامل يحرسه ضميره المؤمن، إن عليه رقيبا من داخله يذكره دائما بربه، إنه فى غنى عن كل أجهزة المتابعة الحديثة لأنه يؤمن بجهاز أدق وهو الذى تبرزه لنا هذه الآية الكريمة ﴿وقل اعملوا﴾ فسيرى الله عملكم ورسوله المؤمنون

التدين لايعنى انسحاب الإنسان من واجبات الحياة وإنما يدعو إلى الاتحام بحركة الزمان والمكان والانخراط في الواقع العملي

المسألة وسعياً على عياله وتمطفاً على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»، هذا قانون نبوي يقضى على التسول والبطالة وزهادة العجز ويحض على العمل المنتج وحفظ الكرامة والعزة حتى لا يبقى عاطل عالة على غيره ويعتذر عن ضعفه بالزهد الكاذب والقناعة المزيفة قال ﷺ: «إن الله يحب العبد يتخذ المهنة ليستغنى بها عن الناس»، وقال أيضاً ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»، فإذا كان العمل في الإسلام هو شعار المجتمع، فقد تحول المجتمع كله إلى عمال وأصبحت الطبقة العمالية تعنى المجتمع كله.

ولقد بارك رسولنا العظيم ﷺ كل عمل مخلص وفاخر باليد العاملة قائلاً: «تلك يد يحبها الله ورسوله»، فمتى شرف العمل ولو كان بسيطاً ونبلت الغاية كان العمل عبادة عظيمة، بل إن العناء في العمل والمغامرة في سبيل الواجب تظهر خلق المرء ونفسيته فمجال الاحتكاك والتعامل هو الميزان الحق للرجال، ففي الحديث الشريف: «إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا الهم في طلب المعاش»، ولقد سمع رسول الله ﷺ وهو في بيته المجاور لمسجده ثلاثة من الصحابة يقول أحدهم سأصلي الليل أبداً لا أنام، وقال الثاني سأصوم دائماً ولا أفطر، وقال الثالث وأنا لا أجامع النساء يظنون أنهم بهذا العمل يرضون ربهم، فخرج عليهم النبي ﷺ غاضباً وقال أرغبة عن سنتي قالوا إنما نبغى سنتك يا رسول الله فقال: «إن من سنتي أن أصوم وأفطر وأصلي وأنام وآتى النساء فمن رغب عن سنتي

وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» التوبة: آية ١٠٥، هكذا يؤكد القرآن أن العمل في الإسلام قيمته عليا وشعار المجتمع المسلم «وقل اعملوا» والصيغة أمرة فالعمل بأمر رباني هو تكليف وعبادة وقد كان العمل ولا يزال شعار كل مجتمع كريم يطور بالعمل حياته ويبني نفسه وفي قوله سبحانه: «فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»، إشارة إلى كرامة العمل وتقديسه، بل أكثر من ذلك إشارة واضحة إلى جهاز مراقبة مشكل في الآية الكريمة يتابع أعمالنا لا تخفى عليه شاردة ولا واردة من سلوكنا، وإذا علم العامل بهذا فإنه يتفانى في أمانة العمل وإتقانه لأن هذا الجهاز يثير في العمال الخوف من الله الذي هو معهم أينما كانوا.

لقد وضع رسولنا ﷺ نظاماً للعمل يتفق مع العقل ومطالب الحياة لا يجحف بحقوق الله ولا بحقوق العباد فقال: «ليس خيركم من ترك دنياه لأخرفته ولا من ترك أخرفته لدنياه وإنما خيركم من أخذ من دنياه لأخرفته»، فأمرنا أن نأخذ من الدنيا أفضل ما فيها لنكون في الآخرة خير من فيها، فالدنيا ليست مقصودة لذاتها وإنما هي مزرعة الآخرة وسبيلها فمتى طلبها الإنسان من طريق حلال لغرض شريف كان من العاملين العابدين مصداقاً لقوله ﷺ: «من طلب الدنيا حلالاً وتعافى عن

ضمير العامل رقيب داخلي يحرسه ويذكره ويجعله في غنى عن كل أجهزة المتابعة الحديثة

فليس مني»، ولقد كان من دعائه ﷺ: «اللهم إنني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، ويقول أبو سليمان الداراني أحد المتصوفة الصادقين: «ليست العبادة عندنا أن تصف قدميك وتخبرك يقوت لك وإنما العبادة أن تبدأ برغيفيك تحوزهما ثم تتعب». لقد ذكر لنا رسول الله ﷺ مجموعة ضخمة من الأعمال العادية التي يمارسها الناس في حياتهم ثم أكد أنها بالإخلاص تصير عبادة خالصة كالسعي على النفس والولد والزوج والخادم وممارسة العمل الوظيفي وحفر بئر وغرس شجرة أو شق طريق أو كتابة مصحف كل ذلك عبادة، ومن الوجهة العملية لم يوجد متبطل في مجتمع الإسلام فقد جمعهم العمل جميعا في ساحته الرحبة عابدين لله وعاملين للحياة ما يستثني من ذلك رسول الله وآل بيته الكرام فقد وسع الحياة بالعمل المخلص البناء سلما وحربا ومارس أعمالا كثيرة قبل الرسالة وبعدها، وطبق كل كلمة وردت في القرآن عن العمل وبدأ بنفسه يعمل بيديه ليكون قدوة لأصحابه حتى أصبحت حياته العملية أدلة محسوسة على فضل العمل وجزائه، فقد رعى الغنم في شبابه واشتغل بالتجارة وسافر وتنقل وحارب مع أعمامه وهو دون العشرين. كان في بيته يخدم أهله ويعينهم ويمارس من أعمال البيت ما يناسبه.

وبهذا السلوك الإنساني أعطى القدوة لكل زوج بأن يعين زوجه ما استطاع في أعمال البيت. وفي الحرب ينظم الصفوف ويستبق إلى ميدان القتال محاربا شجاعا

يتقى به أصحابه وقت الخطر فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، وكان إذا أظلمت سكينه سلام مضى بين أصحابه باحثا عن عمل إنساني ويقول: «أليس فيكم صاحب حاجة فأقضيها له فلأن أقضى حاجة أخ لي في الله خير من أن أعتكف في مسجدى هذا شهرا».

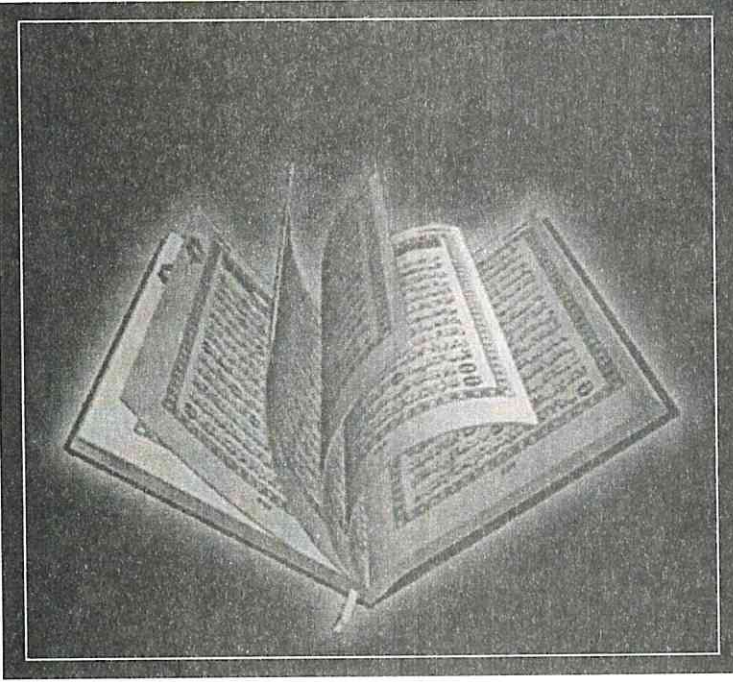
وبهذا أعطى القدوة من نفسه للعمال في السلم والحرب ولجند الأمة كلها للعمل المثمر البناء، ولطالما صاح في آل بيته ليعملوا فيقول: «يا قاطمة بنت محمد اعملی لا أغنى عنك من الله شيئا يا آل هاشم يا آل عبد المطلب يا بني عبد مناف اعملوا لا أغنى عنكم من الله شيئا لا يجيئني الناس بأعمالهم وتجيئونني بأنسابكم...» ولقد كان أزواجه يعملن بفزل الصوف وديغ الجلود ويخدمن من في المكارم وكان أصحابه أصحاب مهن ولم تكن هناك مهنة يترفع القوم عليها وحتى القراء كان عمر بن الخطاب يصيح فيهم قائلا: «يامعشر القراء التمسوا الرزق من العمل ولا تكونوا عالة على الناس».

ولقى يوما أبا هريرة رضى الله عنه فقال له ألا تعمل؟ قال لا أريد العمل فقال له: قد طلب العمل من هو خير منك يوسف رضى الله عنه قال: «اجملنى على خزائن الأرض إننى حفيظ عليم» يوسف: آية ٥٥، وحتى أئمة الفقه الإسلامى كانوا يعملون ويأكلون من كدهم وعمل أيديهم، فما أجل هذا الدين وما أقبح الجهلة المتطعين.. وللحديث بقية إن شاء الله.

واجب الدعاة نحو القرآن (٣)

زاد الدعاة

أ.د. بكرزكى عوض



أخي الداعية؛ ذكرت في اللقاءين السابقين بعض خصائص النص القرآني التي لا يشاركه فيها غيره مما نسب إلى الله، ومن هذه الخصائص: نسبه إلى الله كما في الآيات، الحفاظ الإلهي له، العلم بلغته. اتفاق المسلمين على حرمة ترجمته، تميزه بالإسناد المتصل حتى الرسول ﷺ، وحدة المضمون وسلامته من التعارض، التعبد بالنص القرآني تلاوة وسماعاً وعبادة. وفي هذا اللقاء نتناول خاصية الإعجاز القرآني والذي بدا في جوانب شتى منها:

١ - إعجاز المبني.

٢ - إعجاز المعنى.

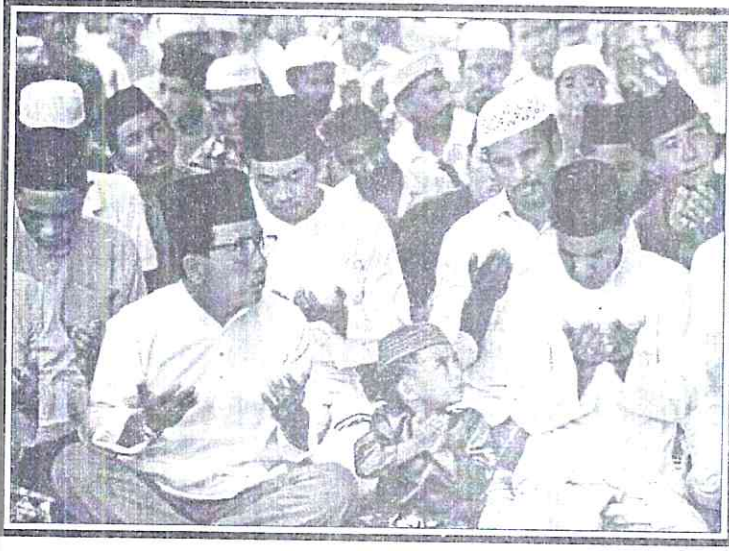
٣ - خصائص إعجازه كمعجزة

عقلية لا معجزة حسية.

وعن الجانب الأول تحدث كثير من العلماء وتناولوا إعجاز المبني بالبيان، بل إن القرآن نفسه قد نص على كثير من المواقف التي انبهر بها كثير من خلق الله، مسلمين وغير مسلمين بهذا البنيان المحكم للنص القرآني.

لقد ذهب الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ يعرض عليه كل المفريات من أجل الرجوع عن دعوته، ومما عرضه عليه: الملك، المال، النسب والمصاهرة، الطب. فلما انتهى من عرضه قال له الرسول ﷺ: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال: فاسمع مني ثم تلا عليه الرسول ﷺ صدر سورة فصلت حتى وصل إلى قول الله سبحانه: ﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

فلما انتهى الرسول من تلاوته رجع الوليد إلى أهل مكة، بوجه غير الذي ذهب به، وبعد حوار قال قولته الشهيرة: والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه، فقالت قريش: صبأ، وأدرك الرجل قيمة الكلمة وقدرها وخطرها على من يعدل عن



الوثنية إلى الإسلام في هذا الزمان
فأنكر عليهم قوله، فلما قالوا له:
فماذا تقول في محمد ودعوته، أقر
من حيث لا يشعر أنها فوق مقدور
العقل، وأنها خارقة للعادة، وأن فعلها
فعل السحر، وقد وصف القرآن هذه
الحادثة في قول الحق - سبحانه -
﴿إنه فكر وقدر* فقتل كيف قدر* ثم
قتل كيف قدر* ثم نظر* ثم عبس
وبسر* ثم أدبر واستكبر* فقال إن
هذا إلا سحر يؤثر* إن هذا إلا قول
البشر﴾ المذثر: الآيات ١٨ - ٢٥.

وتذكر الروايات أن قريشا تخوفت
أن يأتي الحجيج إلى مكة، وأن
يسمعوا القرآن من محمد ﷺ
فيستجيبيوا له، وقد نصحهم الوليد
ابن المغيرة بأن يجتمعوا ويتفقوا على
كلمة واحدة يقولونها بشأن محمد
في موسم الحج حتى لا يختلفوا
فيؤدي الاختلاف إلى تصديقه من
ناحية وتكذيبهم من ناحية ثانية،
قالوا فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا
أسمع، قالوا: نقول: كاهن. قال
الوليد: لا والله ما هو بكاهن، لقد
رأينا الكهان، فما هو بزمرة الكاهن
ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون.
قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون
وعرفناه، ما هو بخنقه، ولا تخالجه ولا
وسوسته، قالوا: نقول شاعر. قال:
ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كله
رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه
ومبسوطه. فما هو بالشعر، قالوا:
نقول: ساحر، قال: ما هو بساحر،
لقد رأينا السحار وسحرمهم، فما هو
بنفثهم ولا عقدهم قالوا: فما نقول؟

آيات التحدى في القرآن الكريم غير قاصرة على زمن النزول بل هي قائمة إلى قيام الساعة

قال: إن أقرب القول فيه أن نقول ساحر،
جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه
وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين
المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك، (الرحيق
المختوم ص ٧٩، ٨٠)، بتصرف أن هذه
الواقعة وغيرها لتؤكد أن قرارا جماعيا قد
صدر من خصوم القرآن بأنه فوق مقدور
البشر، مع تسليمهم بقدرته النص على
التأثير العقلي والانبهار بالتركيب اللغوي.

كما أن سبب إسلام عمر بن الخطاب
بعد توفيق الله له هو النص القرآني وسواء
أكان السبب في قراءة زوج أخته القرآن وهو
يستمع، أم في تسمعه خلف ستائر الكعبة
ليستمع من الرسول ﷺ مباشرة أم غير
ذلك إلا أن المتفق عليه أن النص القرآني،
كان السبب الرئيسي لحمل عمر بن
الخطاب على الإسلام.

ومن العرب من كان يسجد لفصاحة
النص، مع بقاءه على شركه، لأنه سمع
كلاما خارجا عن مألوف العرب في مبناء،
وكتاب السير يذكرون أن أحد العرب كان
يستتر ليسمع القرآن من الرسول ﷺ وهو
يتلو سورة الطور، فلما سمع صدرها خر

يكون فى حديث القرآن عن مشركين مكة والمكذبيين من أهل الكتاب فى المدينة، وذلك مفضل فى الجوانب التالية:

أولاً: محاولة نسبة القرآن إلى مصادر مختلفة بعد عجزهم عن الإتيان بمثله والعجب كل العجب أن هذه المصادر لم تكن بمنأى عنهم، فلماذا لم يذهبوا إليها ويستقوا منها ويخرجوا من عار الخذلان أمام التحدى الباهر، وفى الماضى كان الزعم بأنه يطلب الزمن من أناس يختلف إليهم محمد ﷺ فنزل القرآن ليعلنها صريحة ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين﴾ النحل: آية ١٠٢، ومنهم من زعم أنه قرأ فى كتب السابقين وطلب العلم بها فأدركه، قال تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهم تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾ قل أنزله الذى يعلم السر فى السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ الفرقان: الآيتان ٥، ٦.

وفى العصر الحاضر، يذهب المستشرقون إلى الادعاء بأن محمداً ﷺ كان يتلقى قرآنه من أهل الكتاب، وقد نصوا على ثلاثة بأسمائهم وهم: ورقة بن نوفل، بحيرا الراهب، والراهب الذى لاقاه فى الشام مع ميسرة خادم خديجة فى تجارة لها.

إذا كان القرآن قد كفى رسول الله ﷺ دعوى الاقتباس عن غيره فإن العلماء المعاصرين قد فندوا دعوى الأخذ عن رهبان النصارى لأسباب

ساجدا، فقليل له: أصبأت! قال: لا، إننى سجدت لبلاغتها.

لقد ركز القرآن الكريم على عنصر المبنى للنص القرآنى، وتحدى بذلك متدرجا من الأعلى إلى الأدنى فى درجات التحدى، أو من الصعب إلى السهل وإن لم يكن فى التحدى شىء من السهولة، لقد وردت الآيات فى مكى القرآنى ومدنيه تتحدى الإنس والجن والآلهة المزعومة، ومن هذه الآيات قول الحق - سبحانه - ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ الإسراء: آية ٨٨، ثم تسامح معهم قليلا، وذلك فى قول الحق - سبحانه - ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ هود: آية ١٣، ثم تسامح معهم أكثر فتحدى بسورة واحدة، مع استفزازهم واحتقاره لألهتهم، وذلك فى قول الحق سبحانه: ﴿وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ البقرة: آية ٢٣.

وآيات التحدى هذه وإن وقعت فى مكى القرآن ومدنيه إلا أنها غير قاصرة على زمن النزول، بل هى قائمة إلى قيام الساعة، والتحدى بها لا ينقطع ما بقى القرآن يتلى، فهل عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن! وهل اتحد الحال بالنسبة لهم أجمع؟

إن التاريخ يؤكد أن للعرب موقفين فى صدر الإسلام:

- موقف جماعى.

- مواقف فردية.

أما الموقف الجماعى فهو أوضح ما

من
المشركين
من سجد
لفصاحة
النص
القرآنى
لأنه سمع
كلاما
خارجا
عن مألوف
العرب فى
مبناه

تبلغ حداً في الكثرة منها :

١ - أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - بعث وهم على قيد الحياة فلماذا لم يكذبه هؤلاء دعواه النبوة والرسالة .
٢ - أن آيات التحدى بالقرآن مما نزل في صدر الدعوة فلماذا لم يقع التحدى منهم له .

٣ - أن النصارى كانوا في مكة وقت البعثة - وإن كانوا قلة - واليهود كانوا يذهبون ويرجعون في الأسواق التجارية الثلاثة : عكاظ والمجنة وذى المجاز وكانوا يسمعون ولا ينكرون .

٤ - أن نصوص القرآن كانت تتلى على الملأ فلماذا لم يقتل اليهود أو النصارى هذا النص عندنا وهذا النص مأخوذ عنا ، ليكذبوه في دعواه .

٥ - إذا سلمنا جدلاً بأن النص مأخوذ عن النصارى أو اليهود ، فمن أين جاء الحديث في القرآن عن هود عليه السلام ، وكذلك صالح عليه السلام ، وهذان النبيان لا ذكر لهما في الكتاب المقدس ألبتة ، مع كثرة الحديث عنهما في القرآن .

٦ - استقل الحديث عن مريم وابنها بما لا ذكر له في العهد الجديد ، وبخاصة نطق عيسى في المهدي ببراءة أمه وحواره مع قومه وعيشه معهم ، كما نص على أن دلالة الصلب ظنية وليست يقينية والعقائد لا تثبت بالظنيات بل باليقينيات .

٧ - لم يحدث انفراد بين رسول الله ﷺ وبين من لا قسامهم من أهل الكتاب ، فجلوسه مع ورقة كان بصحبة السيدة خديجة ، وجلوسه مع يحيى كان بصحبة عمه أبى طالب

وقافلة التجارة التي معه ، ونظروا الذى أخبر ميسرة قائلاً : ما جلس تحت هذه الشجرة إلا نبي ، يقصد القطع بأن الأمارات التي لاقاها منه تدل على كونه النبي المنتظر ، فهل مثل هذه الإخبارات الثلاثة يعول عليها في دعوى الاستقواء من أهل الكتاب وهل الجلوس لنصف ساعة على أطول مدة أو لساعة يمكن من تحصيل هذا الكم من النص القرآني .

٨ - لو كان التلقى من البشر مصدر العلم ، فهل استمر أو انقطع ؟ إن قلنا استمر فقد افترينا على الله كذباً ، ولم يقل أحد من السابقين أو اللاحقين بأن محمداً كان يبحث عن أهل الكتاب ويطلب منهم العلم الديني ليلفغه تحت مسمى القرآن .

وإن قلنا إن اللقاءات كانت عابرة ، وقد تمت كلها قبل النبوة فمن الذى أنبأه على مدار ثلاث وعشرين سنة بلا انقطاع ، ولم يكن في التلقى أو التبليغ مختاراً ، ولو كان الأمر بيده أو يطلبه من البشر فما الذى جعله ينسى الإجابة عن الأسئلة التي وجهت إليه ، بإيعاز من اليهود من قبل أهل مكة والخاصة بأناس مضوا في القرن الأول ، ورجل طاف المشرق والمغرب ، والروح ، فقال للسانئين : غدا أتاكم بالإجابة ، ولم يقل : إن شاء الله . وقد انقطع الوحي فترة من الزمن وفرح المشركون غاية الفرح . قالوا : شيطان محمد قد تخلى عن محمد ، وعز ذلك على الرسول ﷺ فلو كان له من الأمر شيء ما تأخر لدقائق عن الإجابة ولكن الأمر كله لله .

جاء الوحي بالفرج ، وأخبر الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالخبر ، وذكر له قصة أهل الكهف وقصة ذى القرنين ، وأمر الروح ، ثم قال له ولأمتي في شخصه : ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ﴾ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ الكهف : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

وضع القرآن
الكريم
قاعدة
أساسية
عمل بها
المسلمون
الأوائل
فجنوا ثمارها
وأغفلها
مسلمو
الحاضر
فحصدوا
ما تفيض
به الدموع
دماء

سؤال وقد يكون تخليدا لواقعة حربية. وقد يكون اخبارا بمؤامرة عقدت أو مكيدة رتبت، كما فى خبر أهل مكة ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ الأنفال: آية ٣٠، وقد تكون الخلافات ذات الصور المتعددة كالخلافات الزوجية فى بيت النبى ﷺ ونزول صدر سورة التحريم وقد تكون الخلافات لأسباب اقتصادية كما فى سورة الأحزاب، وقد تكون الخلافات خارج الأسرة النبوية كما فى قصة المجادلة، وقد تكون الخلافات قبلية أو عصبية كما حدث فى دار الأوس والخزرج، والتنادى بالجاهلية: ياللاؤس، وقال آخر: يا للخزرج ونزل الوحي يعتب عليهم هذا الصنيع، وهنا نجد الفرق بين كلام النبى ﷺ وكلام الحق سبحانه.

لقد قال لهم الرسول ﷺ دعوها فإنها منته، وفى رواية أخرى أبدعوى بالجاهلية وأنا بين ظهرانيكم. إلى غير ذلك من الروايات، وأن القرآن قد وضع قاعدة أساسية عمل بها المسلمون فى صدر الإسلام وأغفلها وأغفل عنها المسلمون فى العصر الحاضر، فجنى أولئك من جراء الالتزام ما قرت به أعين وحصدنا من جراء الإعراض ما تفيض به العين دما على حال المسلمين، إنه قول الحق - سبحانه -: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾، والذى أصبح شعارا يرفع لا منهجا يتبع هذا وللحديث بقية.

٩ - لو كان التلقى عن أهل الكتاب كما يدعون. فهل الذى نقض وفقد عقيدة النصارى فى القرآن هم المملون عليه أم أنه كان يأخذ عنهم ويضحك عليهم. أم أنهم بهتوا جميعا حين أخبرهم بجوهر عقائدهم، وطرح عليهم كثيرا من شعائر التى حرفوها، وكان يوجه إليهم هذا السؤال قائلًا: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾.

وعندما أرادوا استبدال الحكم الشرعى بشأن الزنا، وأتوا رسول الله ﷺ يسألونه عن حكم الزانى والزانية، نزل الوحي مخبرا الرسول بأن الرجم موجود عندهم فى التوراة، قال تعالى: ﴿وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله﴾، واستدعى الرسول - عليه الصلاة والسلام - أئمة الدين عندهم، وسألهم هذا السؤال: أنشدكم الله الذى فلق البحر لموسى، وأنجاكم من فرعون هل تجدون الرجم عندكم على من زنى وأحصن؟ قالوا: نعم.

١٠ - لقد ذكر القرآن أكثر أنبياء بنى إسرائيل وتحدث عن رسالتهم بدءا بيعقوب أول من دعى بإسرائيل وانتهاء بعيسى ﷺ باعتباره آخر أنبياء بنى إسرائيل، وصرح القرآن بالصراع الدائر بين اليهود والنصارى وذلك فى قول الحق سبحانه: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب﴾ البقرة: آية ١١٣، وبين الحق للرسول ﷺ أن كثيرا مما يختلف فيه اليهود والنصارى الحسم فيه للقرآن. قال تعالى: ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون﴾ النمل: آية ٧٦.

وعندما وقع خلاف فى أمر الأطعمة والأشربة بشأن شريعة بنى إسرائيل نزل القرآن بقول الحق: ﴿كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ آل عمران: آية ٩٣.

١١ - إن نصوص الوحي استمرت فى التنزيل قرابة ثلاثة وعشرين عاما، بأحوال فقد تنزل السورة مرة واحدة، كما ورد فى أسباب النزول بشأن سورة الإخلاص عندما سئل - عليه الصلاة والسلام - عن الذات الإلهية، فكان خبر الوحي بسورة الإخلاص مرة واحدة، وعندما افترى قرشى هذه الفرية «دعوا محمدا فإنه أبتر» أى لا ولد من صلبه يحمل أمر النبوة والرسالة من بعده. نزلت سورة الكوثر، ومن ذلك سورة المسد إلى غير ذلك من السور التى نزلت مرة واحدة، وأحيانا تنزل الآيات من السور، وقد يكون النزول على سبيل الابتداء، وقد يكون على إثر

لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة

الشيخ / أحمد عبد اللطيف الكلى

الأمل، وتدفعنا حرارة الرجاء، فالأمل هو البذرة الأولى لسعادة الإنسان وشاطئ النجاة فى أمواج الحياة المتلاطمة والفجر الصادق لليل البهيم فلنملاً به قلوبنا ولن داعب به عقولنا، ولنجدد به نشاطنا، ولنسعد به ولو فى عالم الخيال.

منى إن تكن حقا أعذب المنى

والأ فقد عشنا بها زمنا رغدا

أما اليأس فهو سم زعاف يميت

القلوب، ويقتل النفوس ويضيق

الصدور ويظلم وجه الحياة، ويقبح

محاسنها ويضاعف أعباءها

ويجعلها طريقا صحراويا مخيفا

يترقب صاحبه الموت فى كل خطوة

ويتوقع القتل فى كل لحظة ويتوهم

السلب فى كل حين، حتى ولو لم

يكن معه درهم ولا دينار ولذلك

ترى اليأس فى الحياة قلعا فزعا،

ولا تثبت له قدم فى عمل، ولا

يستقر له قول على رأى، ولا يتم له

نجاح فى مشروع؟ ينتهى كلما ابتداء

وفتر كلما هم، ويقعد كلما قام،

فهو متبرم ضجر، وسئم ملول،

يعرف عن الهزيمة أكثر مما يعرف

عن النصر، ويعرف عن الخيبة

أكثر مما يعرف عن الفوز، ويعرف

عن الخسارة أكثر مما يعرف عن

الربح؛ ويعرف عن السقوط أكثر

مما يعرف عن النهوض.. العسل

قال تعالى: ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾. إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾ آل عمران: ١٣٩، ١٤٠.

إن هذا التوجيه القرآنى يدل على أمر الله - تبارك وتعالى - بزرع الأمل فى قلوب المؤمنين ويحارب اليأس والقنوط فهو القائل: ﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ يوسف: ٨٧، وبذلك يبين القرآن بأن الأيام دول؟ إن رفعت لا بد أن تخفض، وإن أعطت القليل لا بد أن تأخذ الكثير، وإن أضحكت مرة لا بد أن تبكى مرات! وهذا شأنها وديدها، كدرها أضعاف صفوها، وحزنها أضعاف سرورها، هكذا أريد لها أن تكون، ومن أراد صفوا لا يمازجها كدر، وسرورا لا يخالطه حزن وهناء لا يشوبه تنغيص، فليختر له دارا غير هذه الدار وحياة غير هذه الحياة لأن الذى يريده يتعذر وجوده على الدنيا وطبعها كما يتعذر وجود النار فى الماء

طبعت على كدر وأنت تريدها

صفوا من الأقدار والأكدار

ومكلف الأيام ضد طباعها

متطلب فى الماء جذوة نار

هذا هو الخلق الذى جبلت عليه الدنيا وهذا ما كانت تقصده الآيات عندما أصيب المسلمون فى أحد. إلا أننا لو رجعنا بعجلة الزمان قليلا إلى الوراء لرأينا المسلمين قد أنزلوا بالمشركين فى بدر أضعاف ما أنزل بهم المشركون فى غزوة أحد.

وهذا المعنى هو الذى ذكرهم الله به، ولفت أنظارهم إليه، وجعل لهم فيه عزاء وسلوانا عن ذلك المصاب الأليم: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ سورة آل عمران: ١٤٠، ولابد للدنيا من أن تكون دولا مادامت مركبة من عنصرين متضادين هما الخير والشر، أو هما السرور والحزن، أو هما السعادة والشقاء، غير أنه يجب علينا أن نعاملها كما يقتضى طبيعتها اقبالا وإدبارا وعطاء وحرمانا، ولنعلم أنها وإن أدبرت عنا اليوم فلا بد من أن تقبل علينا غدا وإنها وإن حرمتنا حيناً فلا بد من أن تعطينا حيناً آخر! فلننتظر حظنا منها ولنترقب دورنا فيها، ولنمض قدما إلى تحقيق أحلامنا وأطماعنا تجذبنا حلوة

ومن رام وصل الشمس حاك خيوطها

سببا إلى آماله وتعلقا

ومن هنا نستطيع أن نحكم على الإنسان بأعماله وآماله فتري صاحب الأمل الكبير عالى الهمة، دءوب العمل، كثير البذل، سريع التضحية، لا تهزمه الأيام فى ميدان إلا حاول النصرة عليها فى ميادين، أما صاحب الأمل الصغير فهو خنوع قنوع، وعاجز وضعيف، وجبان رعديد،، ويريد أن يقطع حياته على سفينة فى بحر راكد لا لجج فيه ولا موج، ولا تيار فيه ولا ريح، حتى لا يضطر إلى مقاومة التيار إن كان أمله فى الجنوب، وحتى لا يضطر إلى مواجهة الرياح إن كان أمله فى الشمال، وهذه صفات لا توجد فى بحر ما من البحار، اللهم إلا فى البرك والمستنقعات. حيث تسبح الضفادع والقواقع! وبقدر تفاوت الناس فى آمالهم وأعمالهم تتفاوت عزائم الرجال والأبطال.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغيرها

وتصغر فى عين العظيم العظائم

فأصحاب الهمم العالية لا يعرفون اليأس ولا القنوط ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ الحجر: ٥٦، واليأس بعد ذلك كله دليل على سوء الظن بالله، لأن الإنسان لو كان واثقا بربه لاعتقد أن الضيق يعقبه فرج، وأن الفقر لابد أن يأتى بعده غنى، وأن المرض لابد أن يتبعه شفاء، وأن الفشل والسقوط لابد أن يكون بعدهما نجاح وفلاح، ولاسيما وقد أخبرنا الله بذلك وبين لنا أن الدنيا متقلبة ولا تثبت على حال واحد فشأنها التحول والانتقال، والإعزاز، والإذلال، والإقبال، والإدبار فهى كالشمس لا تطلع على قوم إلا لتغيب عن آخرين ولكن مهما طال الليل فلا بد من نهار، ومهما طال غروب الشمس فلا بد من الشروق ﴿إن مع العسر يسرا﴾ الشرح: آية ٦.

ولرب نازلة يضيق بها الفتى

ذرا وعند الله منها المخرج

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها

فرجت وكنت أظنها لا تفرج

وهذا هو السر فى أن الله أوجب الصبر، وأمر به ودعا إليه، ورغب فيه وجعله من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، بل هذا هو السر فى أن الله أوجد الدين للدنيا، فالدين هو الذى لطف حرارتها وهو الذى ألان قسوتها، وهو الذى جعلها على من فيها بردا وسلاما، وحيث أخبر أنها لهو ولعب ومتاع وزينة، وأنها مهما

فى فمه أمر من الصبر، والحرير فى يده أخشن من الشوك، والدنيا فى عينه أضيق من سمّ الخياط. ومثل هذا يقضى حياته ظمآن وإن كان فى البحر، وجوعان وإن نزل عليه ألف مائدة من السماء، وبائسا شقيا وإن كان فى جنات ونعيم.

أعلل النفس بالآمال أراقبها

ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

ولا أكون متجنيا على الحق إذا قلت لكم إن الإنسان سعيد فى هذه الحياة بقدر ماله فيها من آمال وأحلام، فالأمل الذى ترضع ولدها من دمائها، وتغذيه من حشاشة قلبها، وتسهر بجانبه ليل نهار، وتعمل على راحته ما استطاعت إلى ذلك سبيلا، إنما تفعل ذلك بدافع الأمل، والزارع الذى يشق الأرض شقا، ويحرثها حرثا، ويجلب لها أجود البذور، وأطيب الأسمدة، ويتعهد بها بالنظافة والنقاوة ويحارب فيها العاهات والآفات، إنما يفعل ذلك بدافع الأمل، والتاجر الذى يضحى من أجل تجارته بكل شىء فيخاطر بماله فى البر والبحر، ويسافر فى الحر والبرد، ويتحمل قسوة الغربة وعناء السفر، ويقضى كل عمره ما بين حل وترحال، وفراق ولقاء، وتغريب. إنما يفعل ذلك بدافع الأمل. فالأمل هو العامل الخفى الذى يدفعنا إلى السعادة دفعا، ويسوقنا إليها سوقا، ويجندنا إليها تجنيدا.

إلا أن الأمل الكبير يحتاج إلى شخصية قوية، وإرادة فتية، وعزيمة صادقة، وقلب صلب، وعقل ذكى، وعين ساهرة، ومرونة ناضجة، وخبرة واسعة، وصبر جلد، ومال كثير، وزمن طويل.

صادق الرافعي انتحر يوم أن أصيب بالصمم في مقتبل عمره، ما مات كاتباً أديباً ولكن هؤلاء علموا أن السعادة لا بد لها من سلم، وأن المعالي لا بد لها من معراج فشقوا ليسعدوا وجدوا ليكافأوا، ولا أقول إن الناس كلهم محمد عبده ولا كلهم سعد زغلول، ولكني أقول كل من سار على الدرب وصل، ومن حاول ظفر، ومن طرح شبابه صاد.

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالرجال فلاح

ولم تعرف في تاريخ الإنسانية سعادة حقيقية بدون تعب، ولا مجد بدون نصب، ولا نجاح موفق بدون كد ولا عناء اللهم إلا سعادة باردة عن طريق الإرث، أو صدقة سانحة عن طريق الحظ، أو نفحة سماوية عن طريق القضاء وكل هذه أمور لا تصلح أن تكون موازين للحياة، لأن الطريق إليها غامض والسبل إليها معقدة ومثاله لغز غامض، ولكن السعادة الحارة هي التي يفرسها الإنسان بيده وقوته ويغذيها بماله ويسقيها بعرقه ودمه ويتعهدا بعلمه وعمله، ويفديها بكل عزيز وغال، حتى تؤتي ثمارها يانعة ناضجة حلوة فكهة، وشهية، وهذه السعادة هي التي يعمل لها الرجال الأقوياء، ويسعى إليها الأبطال الأعزاء ويستخلصونها ولو من بين فكي الأسد، ويستخرجونها ولو من تحت أنياب الثعبان.

شمر وكافح في الحياة فهذه

دنياك دار تتاحر وكفاح

وإذا ألح عليك خطب لا تهن

واضرب على الإلحاح بالإلحاح

وخض الحياة وإن تلاطم موجها

خوض البحار رياضة السباح

كانت ثابتة، فلا بد من زوالها، ومهما كانت طويلة فلا بد من انتهائها، ومهما كانت باقية فلا بد من فنائها، ونعيم شأنه الزوال والفاء، والنفاد والانتها، أقل من أن يبكي الإنسان عليه، وأحق من أن يقتل الإنسان نفسه فيه ولو لم يكن في الدين، إلا أنه شبه الدنيا بنبت قصير العمر يصير بعد جماله ونضرتة إلى هشيم تذروه الرياح، لكفى ذلك أولى الألباب عظة واذكاراً ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾ الكهف: آية ٤٥، ولو أننا تأملنا قليلاً لعلمنا أن الدنيا ثمرة قبل أن تكون حطاً! ومعنى ذلك أن الثمرة لا بد لها من شجرة، وأن النتيجة لا بد لها من مقدمة، فإذا أراد الإنسان أن يكون سعيداً في هذه الحياة فلا بد أن يدفع ثمن سعادته من عمره وحياته! من جده ونشاطه، من جسمه وقلبه، لا بد من أن يسهر ليله، ولا بد من أن يدأب نهاره، لا بد من أن يجهد عقله، ولا بد من أن يبذل ماله، لا بد من أن يفرض على الأيام شخصيته، ولا بد من أن يكلفها سعادته، فإن حطمت الأيام سلم أمله تسلق إليه، وإن أغلقت في وجهه باباً فتح في ظهرها أبواباً! وإن زالت في يده سبباً أحيأ في قلبها أسباباً، فالشخصية القوية لا تعرف عجزاً ولا كللاً، ولا ضعفاً ولا فشلاً، ولا عسيراً ولا مستحيلاً، فهي تؤثر في الزمن ولا يؤثر فيها، وتخضع الحظ ولا يخضعها، وهذا هو الفرق ما بين السعداء والأشقياء، والضعفاء والأقوياء، والعاجزين والقادرين.

همامة نفس أصغرت كل مأرب

فكلفت الأيام ما ليس يوهب

نفى النوم عن عيني نفس أبية

لها بين أطراف الأسنة مطلب

ومن تكن العليا همة نفسه

فكل الذي يلقاه فيها محبب

فصاحب الشخصية القوية، كلما أفضلته الأيام، حاول النجاح، وكلما أسقطته حاول النهوض، وكلما أكبته على وجهه قام على رجليه، ويلطمها إذا لطمته، ويتجدها إذا تحدته، ويجذبها إليه إذا بعدت عنه، ويلج عليها إذا أبت عليه شأنه في ذلك شأن الرجال الأقوياء فما ولد محمد عبده إماماً ولا ولد سعد زغلول زعيماً! ولا ولد حافظ إبراهيم شاعراً! ولا ولد الرافعي أديباً! إلا أن هؤلاء جدوا فوجدوا، وزرعوا فحصدوا، ولو أن محمد عبده انتحر يوم أن فشل في المعهد الأحمدي ما مات إماماً، ولو أن سعد زغلول انتحر يوم أن نفى إلى سيشل ما مات زعيماً، ولو أن حافظ إبراهيم انتحر يوم أن طرده خاله صغيراً فقيراً ما مات شاعر النيل! ولو أن

آمالكم أحلامكم، واربطوا بالجوزاء أطماعكم، وأقبلوا على الدنيا ففجروا ينابيعها واكتشفوا كنوزها واعلموا أن النصر مع الصبر حتى يعود للأمة سابق عهدا وغائب مجدها وعزها المسلوب.

لأستسهل الصعب أو أدرك المني

فما انقادت الآمال إلا لصابر

اعلموا أن الحياة لا تخلو من الشدائد والابتلاءات، فمن أراد أن يستمر في رحلة الحياة فلا بد أن يركب مركب الأمل ودائما أن يضع نصب عينيه أن مع العسر يكون اليسر، ومع الشدة يكون الفرج، ولا بد أن يعلم أن اليأس لا يرد غائبا، ولا يشفى مريضا، ولا يحيى ميتا، ولا بد أن يعلم أن المرض يزول والمصاب يحول، والذنب يغفر، والدين يقضى، والغائب يعود، والمحبوس يفك، والعاصي يتوب وذلك بإذن الله فلا داعي لليأس ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف: آية ٨٧.

أما ترى السحاب الأسود كيف ينقشع، والليل البهيم كيف ينتهي، والريح الصرصر كيف تسكن، والعاصفة كيف تهدأ، فكن جميلا ترى الوجود جميلا، فقليل للسعادة أين تسكنين؟ قالت في قلوب أهل الرضا، فقليل لها وما هو غذاؤك؟ قالت من قوة إيمانهم، وقليل لها وكيف تستمرين؟ قالت بحسن تدبيرهم، وقليل لها متى ترحلين؟ قالت بالحرص والهم وعدم اليقين.

وهذا عبدالله بن عباس - رضى الله عنهما - عندما أصيب في عينيه وعلم أنه سيقضى ما بقى له من عمره وهو كفيف قال وهو يعلن الرضا ويجدد الأمل في الله:

أن يأخذ الله من عيني نورهما

ففى لسانى وقلبي منهما نور

قلبي ذكى وعقلي غير ذى دخل

وفى فمى صارم كالسيف ماثور

فهيا بنا إلى بستان الرضا نقتطف من ثماره اليانعة مثل قوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ البينة: آية ٨، ومنها ﴿وبشر الصابرين﴾ البقرة: آية ١٥٥، وفى الختام نردد مع القائل:

كن عن همومك معرضا

وكل الأمور إلى القضا

وانعم بطول سلامة

تسليك عما قد مضى

فلربما اتسع المضيق

وربما ضاق القضا

ولربما أمر مسخط لك

يكون فى عواقبه الرضا

الله يفعل ما يشاء

فلا تكن متعرضا

أما أولئك الذين يفرون من وجه الحياة كلما نزل بهم خطب أو بلاء، أو تأخر لهم أمل أو رجاء، فهؤلاء قوم قد خسروا دينهم قبل أن يخسروا إنسانيتهم وخسروا آخرتهم قبل أن يخسروا دنياهم وخسروا رضوان ربهم قبل أن يخسروا نجاح مستقبلهم ومن العجيب أنهم يفعلون ذلك ليصفهم الناس بالشجاعة النادرة، والعاطفة المتوقدة والوجدان الرقيق، وهذا فعل لعمر الله أقل من أن يلحقهم بالجناء فضلا عن الشجعان الأقوياء مع أنك لو دعوتهم إلى جهاد ديني، أو إلى كفاح وطني، أو إلى دفاع عن عرض أو شرف لجبنت نفوسهم وخارت عزائمهم وتعللوا بالتافه من الأمور وليتهم يجنون من وراء ذلك ثمرة أو نتيجة أو يكسبون من وراء ذلك عزا أو فخارا ولكتهم بفعلهم هذا إنما يفسلون العار بالعار! ويطفئون النار بالنار، ويعالجون السم بالسم! مما يدل على أنهم بفطرتهم من الجهلاء الأغبياء.

فيأليها المسلمون - وأخص الشباب منكم - حاربوا اليأس فى قلوبكم واقتلوا القنوط فى صدوركم واعلموا أن للنجاح فى الحياة ألف مفتاح ومفتاح، فإن أعوزكم فى الوصول إلى أغراضكم مفتاح فلن يعوزكم الآخر فلا تحسروا آمالكم، ولا تضيقوا آفاقكم، ولا تربطوا مستقبلكم بهدف واحد ولا بغاية معينة، إن فاتكم إدراكها فاتكم النجاح والفلاح - ولكن اربطوا مستقبلكم بآلاف الآمال واعلموا أنه لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة.

بقدر الكد تكتسب المعالى

ومن طلب العلا سهر الليالى

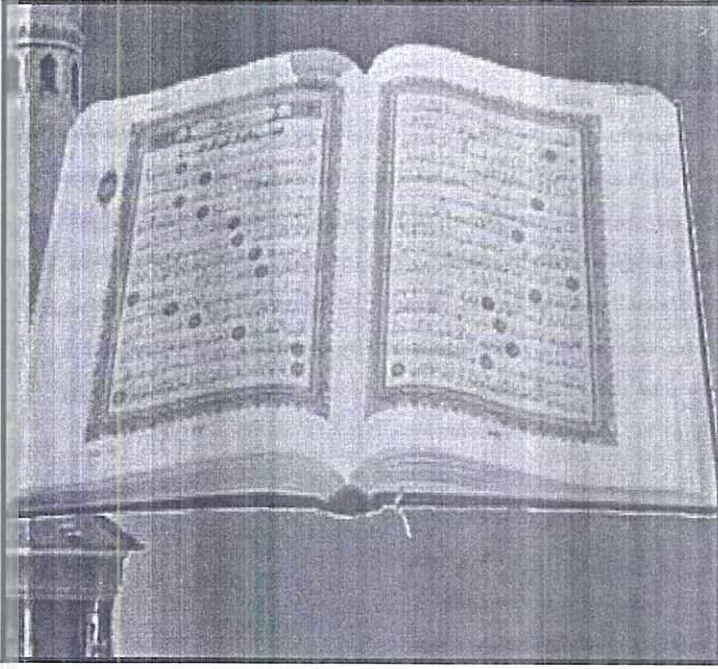
ومن طلب العلا من غير كد

أضاع الوقت فى طلب المحال

فيأليها الشباب علقوا بالثريا

فرائض الإيمان

أ.د. عبدالرحيم الكردي



فى كتاب (الإيمان) أورد البخارى فى صحيحه خبرا يقول فيه: «كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدى بن عدى إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسايبينها لكم حتى تعلموا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص».

فى هذا الخبر عدة أمور تستحق التأمل منها:

أولاً: أن الذى أرسل له عمر بن عبدالعزيز هذه الرسالة هو عدى بن عدى بن عمير الكندى، وهو - كما يقول ابن حجر فى فتح البارى - تابعى من أولاد الصحابة، ولا يعقل أن يكون عدى ومن معه لا علم لهم بالإيمان والإسلام حتى يرسل لهم عمر بن عبدالعزيز هذه الرسالة التى يقول فيها: «حتى تعلموا بها».

ثانياً: أن عمر بن الخطاب حين أرسل هذه الرسالة كان خليفة وأن عدى بن عدى كان عاملاً لعمر بن عبدالعزيز على الجزيرة، مما يبين أن عمر بن الخطاب يسبق رسالته مساق المواعظ أو النصائح، بل كانت رسالة تكليف واجبة التنفيذ من خليفة إلى عامله، وأن هناك تضييلاً فى أمور الإيمان أراد عمر أن ينبه عامله عليها.

ثالثاً: أن الرسالة كتبت فى خلافة عمر بن عبدالعزيز أى بعد مرور أكثر من مائة عام على ظهور الإسلام، فى الفترة من عام ٩٩ حتى عام ١٠١هـ وأن أسلوب الرسالة ينم عن أن هذه الفرائض والشرائع والحدود والسنن كانت غير معلومة، وأن عمر أراد أن يبينها للناس ويعلمهم بها، فهل كانت فعلاً غير معلومة؟ ألم يكن الصحابة - رضوان الله عليهم - أحق بمعرفتها من التابعين أمثال عمر بن عبدالعزيز؟ أم أن الأمر صيغ بأسلوب المجاز؟

رابعاً: أن عمر بن عبدالعزيز حدد ما أراد أن يبينه فى كتابه (الإيمان) وليس الإسلام، والإيمان أكثره من أعمال القلب، ومع ذلك أخبر بأنه يعلم أن له فرائض وسننا وشرائع مثله فى ذلك مثل الأعمال المحسوسة الظاهرة، كما أن عمر بن عبدالعزيز كان يخاطب الجماعة المسلمة فى شخص عدى بن عدى.

بعد ما فتحت البلاد وكثرت الأموال، وتحولت الخلافة إلى ملك، وطفى على الناس حب الدنيا، فلم يضع العلماء للإيمان فقها كما وضعوا للجوانب الحسية الظاهرة من أمور الدين، مثل الزكاة والصلاة والحج والمعاملات.

وقد أدرك الصحابة الذين امتد بهم العمر خطورة نقصان الإيمان في المجتمع الإسلامي ونبهوا إليه، فمما يروى عن الزهري أنه قال: «دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئا مما أدركت»، وفي رواية لا أعرف شيئا مما كنا عليه في عهد رسول الله ﷺ إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت. يقول ابن حجر: «كان قدوم أنس دمشقي في إمارة الحجاج على العراق، قدمها شاكيا من الحجاج للخليفة، وهو إذ ذاك الوليد بن عبد الملك»، لأنه وجد الإيمان مضيعا في العراق فلما قدم إلى دمشق ليشكو إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك وجد الأمور فيها لا تختلف عنها في العراق.

ولذلك فإننا لا نجد للإيمان بابا في كتب الفقه، بل اهتم به المتكلمون وأصحاب الفرق الدينية المختلفة، فافسدوا مباحثه، **أولا:** لأنهم استخدموا في البحث فيه أدوات المنطق الإغريقي، كالقياس والاستنباط والاستدلال، وهي أدوات لا تصلح له، لأن الإيمان ليس قضية منطقية، بل هو رؤية قلبية، هو اكتشاف يتبين المؤمن من خلاله حقائق الأشياء، فكما أن العين لا ترى الأشياء المادية التي في الظلام إلا إذا سطع عليها الضوء، فكذلك القلب لا يرى الحقائق المعنوية إلا إذا سطع عليها النور، نور الله، والرؤية العينية المباشرة أقوى من البراهين العقلية، لذلك فإن الله سمى الشريعة نورا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ سورة المائدة آية ١٥، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ سورة التوبة آية ٣٢، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سورة النور آية ٣٥، وأطلق على القرآن اسم (برهان) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ سورة النساء آية ١٧٤، فالقلب إذا كان سليما خاليا من الأمراض رأى مالا تراه العيون، أما من كان قلبه أعمى فإنه لا يرى مهما كانت قوة النور.

ثانيا: لأن مباحث المتكلمين لم يكن هدفها البحث في فرائض الإيمان وسننه، بل كان هدفها الرد على الطاعنين في الإسلام أو هدفها الدفاع عن المذهب الذي تنتمي إليه كل طائفة، ولذلك

لم يمهل الأجل عمر بن عبد العزيز حتى يبين لنا فرائض الإيمان وسننه وشرائعه، لكننا إذا أردنا فهم الدروس المستفادة من هذه الرسالة لا بد أن نلاحظ أن العصر الذي عاش فيه عمر بن عبد العزيز شهد تحولا كبيرا في مجال التقعيد والتقنين، فاللغة العربية مثلا كان يتعلمها الناس عن طريق الممارسة حتى تصبح سليقة، فلما فسدت الألسنة باللحن على ألسنة المولدين وألسنة المستعربين الداخلين في الإسلام من الشعوب غير العربية وضع العلماء علم النحو وعلم الصرف، وفي مجال العبادات والمعاملات كان الصحابة - رضوان الله عليهم - متبعين للرسول ﷺ اتباعا فطريا عن طريق حفظ الوقائع المفردة، كان الرسول ﷺ إذا سئل عن الصلاة قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وكان الصحابي إذا سئل عن الوضوء قام فتوضأ ثم قال: «هكذا كان وضوء النبي ﷺ»، فلما انتهى هذا الجيل الأول ثم جددت أمور وأحوال قنن العلماء الفقه ووضعوا له عللا ومقاييس يعرفون بها الأحكام.

لكن المجال الذي أشار إليه عمر ابن عبد العزيز إلى ضرورة تقنينه أو تقنين فروعه وهو (الإيمان) كان من أسرع الجوانب الإسلامية تضييعا، ومع ذلك لم يحظ بالتقنين العلمي، فقد كان النفاق معروفا على عهد النبي ﷺ، ثم أصبح ظاهرة عامة

فإن الإيمان أصبح على أيديهم مجرد قضية جدلية فلسفية، تتناقض مع طبيعة الأعمال القلبية.

بقيت مباحث الإيمان إذن عند المرحلة الأولى من الإسلام، لم تنلها يد التقنين والتبويب الفقهي، بقيت عند مرحلة الأخبار المتفرقة المروية عن النبي ﷺ والمبثوثة في كتب السنة أو في خطب القصاص والمذكرين، والأعمال المأثورة عنه وعن صحابته - رضوان الله عليهم - بقيت ثابتة متوقفة كالحالة التي كانت عليها الأحكام الشرعية قبل أن تنشأ العلل الفقهية القائمة على دراستها.

فإذا نظرنا في هذه الأخبار المأثورة عن النبي ﷺ وصحابته فإننا نجد أن النبي ﷺ ذكر من أمور الإيمان الكثير مما أطلق عليه عمر بن عبد العزيز مصطلح (فرائض الإيمان) أو (سنن الإيمان وشرائعه)، فعلى سبيل المثال:

من الإيمان اليقين القلبي الذي يصدقه القول والعمل كالإيمان بأنه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فاليقين هو الأصل في الإيمان، قال ابن مسعود: «اليقين الإيمان كله»، ولذلك فإن سفيان الثوري كان يقول: «لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقا إلى الجنة وهربا من النار» وقال النبي ﷺ: «بنى الإسلام على خمس»، وأورد أولها «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»، ومن الإيمان الحب في الله والبغض في الله، ففي الحديث الذي يرويه أبو أمامة وأثبتته البخاري: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان».

ومن الإيمان الصبر، فقد روى عن ابن مسعود أنه قال: «الصبر نصف الإيمان».

ومنه التقوى، قال رسول الله ﷺ: «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا لما به بأس»، ومنه الحياء، ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان»، وأورد البخاري أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء «أى يعاتبه ويلومه على كثرة حيائه لأنه يمنعه من استيفاء حقوقه» فقال له رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان».

ومنه أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، عن أنس رضي الله عنه

أن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

ومنه حب النبي ﷺ من الإيمان، عن أنس عن النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده ومن ولده والناس أجمعين».

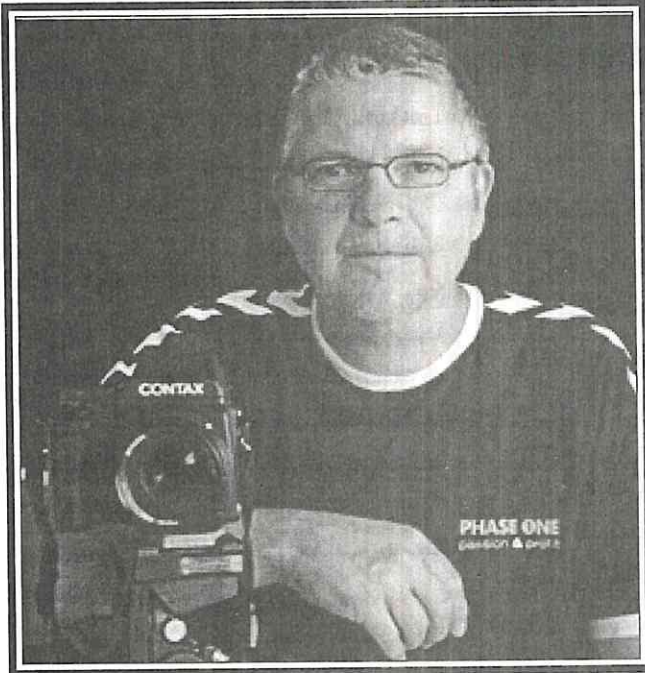
ومنه إفشاء السلام والإنصاف من النفس والإخلاص في العمل والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفنى والفقر، والإحسان لمن أساء ومن لم يسيء، وصلة الرحم والإحسان للجار، والتواضع والبعد عن الرياء والوفاء بالوعد والصدق في القول والأمانة.

كل هذه الخصال وغيرها كثير من أصول الإيمان التي أراد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن يجعل لها فقها مثل فقه الصلاة والزكاة والفىء والحراج هي جوهر التدين والتعبد، لكن العلماء بعد عمر بن عبد العزيز لم يكملوا ما بدأه، بل اهتموا بالفقه الذي أشار الإمام الغزالي إلى أنه فقه يخدم السلاطين، وتركوا فقه الإيمان للمتكلمين أو للقصاص والمذكرين فبدت أركانه كأنها من حلى الإسلام ونوافله التي تتبع مرة وتترك مرات، فأهملها الناس واكتفوا بالعبادات الظاهرة بينما هي جوهر الإسلام ولبابه، وبضياع العمل بها أصبحنا كما قال الشيخ محمد عبده مسلمين بلا إسلام، وبالتزام بهذه الخصال نفسها أو بقريب منها أصبح عند غيرنا إسلام ولكن بلا مسلمين.

خاص في جوهر الإسلام باحثاً ومنقبا

أحمد كراوسين.. على هامش معرضه؛

« لكوني مسلماً في أوروبا »



أحمد نوران كراوسين عبر بالكاميرا عما عجزت عنه الكلمات

لم تستهوه الحضارة الغربية ببريقها الزائف وقلبها الأجوف وعاش صراعاً مريباً مع النفس بعد أن ضاقت به الأرض بما رحبت؛ فتقلب في البلاد بحثاً عن ضالته حتى هداه الله لنور الحقيقة؛ فسكنت نفسه الهائمة وأصغى السمع لصوت الحق واستجاب لنداء العقل، فأسلم وجهه لله تعالى.

إنه الدانماركي المسلم أحمد نوراني كراوسين الذي استهوته الشخصية المسلمة واجتذبت به حضارة الإسلام فعبّر عنها بلقطات مصورة ليقول بها ما تعجز عنه الكلمات، جاء للقاهرة ليعرض لقطات رائعة لحياة المسلمين في أوروبا من خلال معرضه « لكوني مسلماً في أوروبا » الذي أقيم بساقية الصاوي بالقاهرة خلال الفترة من ٢١-٣٠ أبريل الماضي.

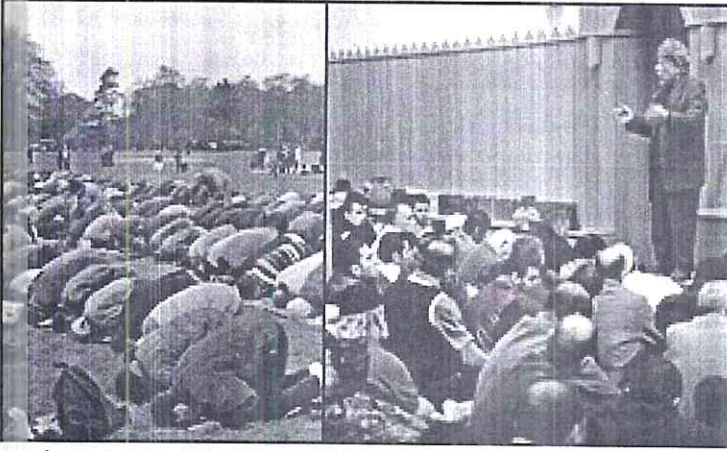
وُلد في ألمانيا عام ١٩٥٥ ونشأ في عائلة بروتستانتية متعصبة وسط غالبية تدين « الكاثوليكية » تأثر بصورة إيجابية بالأحداث السياسية التي وقعت في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي.

استهوته دراسة العلوم الاجتماعية والدينية والجغرافية في مستهل حياته التعليمية.

وفي عام ١٩٧٨ هاجر من ألمانيا إلى الدانمارك حيث استقر به المقام في كوبنهاجن العاصمة، وخلال الفترة من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٥ سافر لفترات طويلة إلى العديد من الأقطار

المسلمون الأوائل كانوا أكثر انفتاحاً على الدنيا من مسلمي اليوم

حوار: مصطفى إبراهيم خيان



الملايين من أبناء الغرب اعتنقوا الإسلام عن قناعة فحرصوا على أداء الصلاة في مواقيتها

المعرض رسالة مصورة للرد على الإساءات الموجهة للإسلام ورسوله الكريم

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عاداتهم وتقاليدهم خلال زيارتي لعدد من الدول الإسلامية ومن خلال المسلمين المقيمين بأوروبا. وكانت البداية في مصر؛ حيث تعلقت بشخصية المصريين الجذابة وبطبيعتهم المضيافة، ووجدت شيئاً ما يجذبني لهذا الدين، ونداء داخلي يوقظني من سبات عميق، لكنني ظللت متردداً بفعل قوة أخرى مضادة، ومع ذلك نما بداخلي تصميم على البحث عن هذا الدين العظيم حتى هداني الله للإسلام بعد اثني عشر عاماً من جهاد النفس عشت خلالها أياماً عصيبة تفوق الوصف؛ كانت نقطة التحول عندما كنت في زيارة لأسوان أثناء أعياد الكريسماس، وفوجئت بصديق مسلم يسألني ألن تذهب لتشارك المسيحيين في احتفالاتهم، وقد كان لذلك وقع طيب بالغ الأثر في نفسي، أن مسلماً يلفت نظري لأمر تتعلق بدين غير دينه، بعدها مباشرة أشهرت إسلامي وصرت مسلماً والحمد لله.

وأذكر هنا أن بعض أصحاب المذاهب الضيقة أراد كل منهم أن يجذبني لمذهبه، لكنني وجدت الإسلام أبسط وأعظم وأيسر من ذلك بكثير، كما أنه إلى أن بساطة شعب مصر وحسن ضيافتهم كانت سبباً في إسلام الكثير من مواطني الغرب.

المختلفة في آسيا وإفريقيا ونيوزيلاندا بحثاً عن أسئلة حيرته كثيراً تتعلق بالحياة والموت.

خلال هذه الرحلات اكتسب الخبرة وتعلم الكثير خاصة من أبناء مصر والسودان الأمر الذي غير حياته إلى الأفضل وهياه للدخول في الإسلام. في عام ١٩٨٩ نال شهادة الهندسة الميكانيكية، لكن هذه الدراسة لم تشبع نهمه كالتصوير الفوتوغرافي الذي كان يستهويه كثيراً.

في عام ١٩٩٠ سافر إلى إيطاليا للعمل ومكث بها عامين اكتسب خلالها اللغة والخبرات الحياتية. في عام ١٩٩٢ كانت اللحظة الفارقة التي أشهر فيها إسلامه وتزوج في عام ١٩٩٥ من مسلمة وله منها ثلاثة من الأطفال، وله أخت أشهرت إسلامها وتسمت باسم حليلة كاظم، هداها الله لتعمل بالدعوة إلى دينه في بلاد الغرب.

يقول إن الكاميرا كانت أهم وسيلة قادته إلى الإسلام على هامش المعرض التقيناه لنرصد بالكلمة والصورة أحاسيسه ورؤيته للإسلام..

« لحظة فارقة في حياتي »

في البداية كان لابد لنا أن نصحبه سريعاً في رحلة البحث عن ذاته حتى شرح الله صدره للإسلام...

● يقول أحمد نوراني كراوسين: نشأت في أسرة مسيحية بألمانيا، ورغم كل مظاهر الحضارة والتقدم حولي، إلا أنني كنت أشعر بزيغ هذه الحضارة التي لم تستطع أن تملأ الفراغ الروحي الذي أشعر به، وكانت البداية في عام ١٩٨١ عندما تعرفت على بعض المسلمين وعاشت عن قرب

بصورة أشد ضراوة. والحقيقة أن مثل هذه الإساءات لا تقتصر على الإسلام فحسب وإنما تعرض لها المسيحيون أيضاً من قبل بعض وسائل الإعلام الغربى، حيث عرضت رسوماً مسيئة للمسيح الأمر الذى أثار حفيظة المسيحيين فى ذلك الوقت. ومن وجهة نظرى فإن مقابلة هذه الإساءات بمظاهر العنف لن تجدى شيئاً وإنما ستظهر المسلمين بصورة منفرة ولن تزيد مواطنى الغرب إلا تعاطفاً مع أصحاب هذه الرسوم، لكن التصدى لهذه الإساءات كما أرى لا يكون إلا بتجاهلها تماماً؛ حتى يشعر فاعلوها أن رسومهم لا صدى لها وأن صياحهم مجرد عواء لا أثر له ولا طائل من ورائه، مع ضرورة أن يقدم المسلم القدوة الحسنة والصورة الإيجابية التى يرى من خلالها الغرب الإسلام.

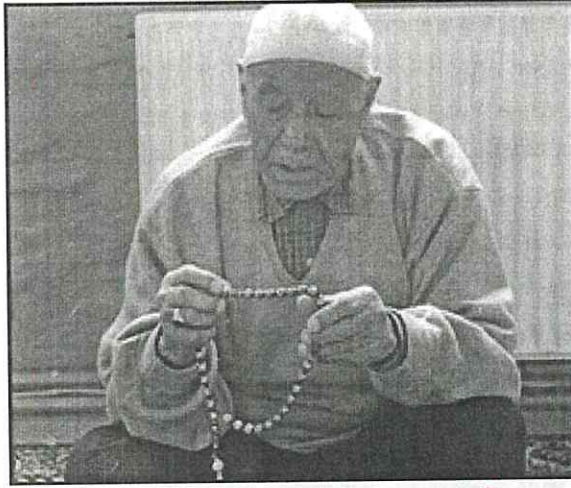
«المذهبية الضيقة»

- لا شك أن هناك العديد من القضايا والمشكلات التى تواجه المسلمين فى بلاد الغرب... فما هى أخطر هذه المشكلات من وجهة نظرك؟

• أخطر ما يواجهه المسلمون اليوم أنهم حملوا معهم أفكارهم المذهبية الضيقة وعاداتهم وتقاليدهم وحاولوا أن يفرضوا واقعهم الذى عاشوه فى البلدان التى نزحوا منها على المجتمع الغربى، وسعوا لإقامة جدار عازل بين بيئتين، فحدث التصادم بين واقعين مختلفين، ونشأت بذلك العديد من المشكلات التى يعانى منها المسلمون هناك.

«مراعاة التناسق الحضارى»

- ماذا تقصد بذلك؟



أحد
المسلمين
جلس
يسبح
الله بعد
انقضاء
الصلاة

«إشعاع روحى»

• معرضك يشتمل على العديد من اللوحات الفوتوغرافية التى تصور حياة المسلمين فى أوروبا.. فما الدوافع وراء إقامة هذا المعرض؟

• هذا المعرض تنقلت به بين العديد من دول العالم فى الشرق وفى الغرب وأردت أن أبرز جمال الإسلام الذى يجعل كل ما حوله جميلاً يشع بالروحانيات ويسمو بالجمال فى مختلف دول أوروبا، وهو بذلك يحمل رسالة للرد على الإساءات التى توجه للإسلام ورسوله الكريم، تقول إن الإسلام جميل يتعايش مع الجميع فى سلام وأمن، فهذه الصور لمن يتأملها لن تبدو صماء ولكنها تنطق بما فى داخلها من دفء وروحانيات لا يلمسها إلا من يدقق النظر فيها. وأنا شخصياً أتأمل الإسلام من خلال الكاميرا.

«تجاهل المسيئين»

على ذكر الإساءات الموجهة للإسلام ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.. كيف يمكن للمسلمين التصدى لمثل هذه الإساءات من وجهة نظرك، خاصة وأنت تقيم بالدانمارك؟

هذه الحملات ليست وليدة اليوم وإنما تعود لأكثر من ثلاثين عاماً منذ سبعينيات القرن الماضى، ولكنها عادت هذه الأيام

زيارتى

لمصر

كانت

نقطة

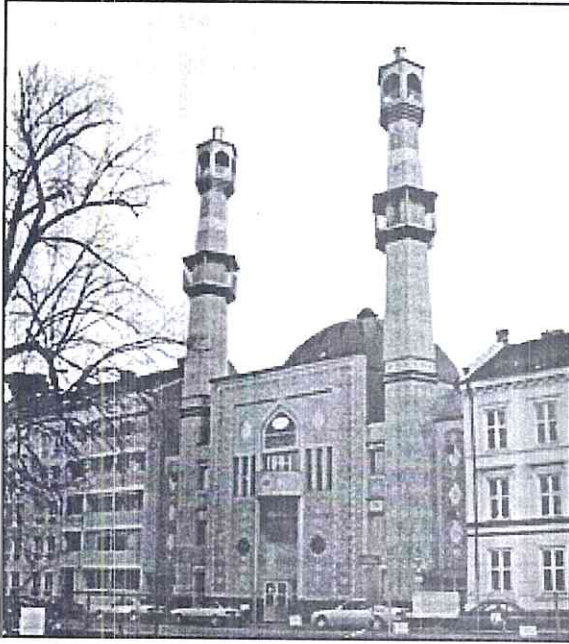
تحول

فارقة

نحو

اعتناقى

للإسلام



كما أن هذه الممارسات العنصرية من بعض ضيق الأفق لا توجه للمسلمين وحدهم وإنما توجه لأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى؛ فمثلاً

الكاثوليك في الدانمارك وهم أقلية يعانون من سوء معاملة البروتستانت الذين يشكلون الأغلبية هناك. ولذلك فليس من اليسير على المسلم في أوروبا أن يحيا بعقلية من يعيش في المجتمعات الإسلامية.

«مخالفة القواعد»

● إذن كيف يمكن للمسلمين أن يواجهوا تلك التحديات التي فرضت عليهم؟

● أعتقد جازماً أن المسلم لو طبق الإسلام قولاً وفعلاً، لفرض احترامه على الآخرين ولكان خير داعية للإسلام في بلاد الغرب، لكن مما يؤسف له أن بعض المسلمين لا يلتزمون بالسلوك الإسلامى القويم الذى يحض عليه ديننا الكريم فتراهم يخالفون قواعد المرور، ويتهربون من دفع الضرائب، وترى البعض يعامل الحيوانات المعدة للذبح معاملة قاسية، فلو كان ينقلها مثلاً من دولة إلى دولة أخرى بعيدة فقد يتركها دون طعام أو قد يقدم لها الفتات، فضلاً عن تعرضها للكثير من الآلام خلال رحلتها الطويلة، رغم أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أمرنا بالرفق في معاملة الحيوانات حتى عند ذبحها. كما يعاب على البعض الآخر الكسل الشديد، يأتى العمل متأخراً ولا يتقن ما يوكل إليه من أعمال.

أما عن أولئك الذين يأتون إلى أوروبا للسياحة أو التسوق، فحدث ولا حرج. فمنهم من يبدو ملتزماً يؤدي شعائر دينه في بلاده حتى إذا خرج وهبط ببلاد الغرب صار إنساناً آخر لا علاقة له بما كان عليه من قبل؛ بما يترك انطباعاً سيئاً في نفوس الغربيين ويشوه صورة الإسلام في أذهانهم.

● أقصد أن يراعى المسلمون طبيعة هؤلاء الغربيين فلا يفرضوا عليهم سلوكاً معيناً، وأن يراعوا طبيعة النظام السائد والقوانين المعمول بها بما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية، فمثلاً بناء المساجد ينبغي أن يكون بالشكل الذى يتسق مع منظومة البناء المعمول بها في المنطقة بحيث يبدو كجزء منها، وقد رأيت البعض في روسيا يبنى المساجد بالخرسانة المسلحة رغم وقوعها في مناطق الغابات التي تتميز أبنيته بأنها مقامة بالأخشاب لتناسب الذوق العام للمكان.

«بين مدرستين»

- وماذا عن شباب المسلمين هناك؟
● هؤلاء يخضعون لإحدى المدرستين؛ القديمة أو الجديدة فالمدرسة القديمة هي التي تربي عليها الآباء الذين نشأوا في أوطانهم المسلمة، وهي تمثل الانفلاق والانكفاء على الذات وهؤلاء الشباب الذين تربوا على المدرسة القديمة وقعوا في مشكلات عديدة، وآخرون تعلموا في المدرسة الحديثة التي تدعو للاندماج والانفتاح على المجتمع الأوروبي، استجابة لدعوة الإسلام إلى التعارف والتعاون والتعايش مع الآخرين، وقد كان المسلمون الأوائل أكثر انفتاحاً على الدنيا من بعض مسلمي اليوم.

«ممارسات عنصرية»

هناك العديد من المسلمين الذين يتعرضون للمضايقات في دول الغرب ألا ترى أن ذلك يعد نوعاً من العنصرية البغيضة؟

● أصدقك القول أن هناك نوعاً من العنصرية في تعامل بعض الغربيين ولكن ذلك لا ينطبق على كل الغربيين.

بالتعاون بين وزارتي الأوقاف في مصر وتونس ندوة بعنوان:

الخطاب الديني وتحديات الحداثة في المجتمعات الإسلامية

تنظمها وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

احتفالية بمناسبة اختيار الإسكندرية عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ٢٠٠٨م

تنظم وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية احتفالية كبرى بمناسبة اختيار الإسكندرية عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ٢٠٠٨م. وكانت لجنة برئاسة الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف قد عقدت اجتماعاً لوضع برنامج للمشاركة في الاحتفالية العالمية يشمل برنامج ديني وحلقات نقاشية.

ومن المنتظر أن تتناول الحلقات النقاشية الجانب الحضاري للإسكندرية ويتحدث فيه الأستاذ الدكتور عبدالفتاح مصطفى غنيمه والجانب الديني ويتحدث فيه كل من الدكتور محمد عمارة والشيخ عبدالله شلبى والدكتور عبدالشافى محمد عبداللطيف، ويتحدث في الجانب الأثرى الدكتور زاهى حواس والدكتور نور فرحات أستاذ التاريخ الرومانى بحقوق الزقازيق ومن المنتظر أن يلقي الحدث اهتماماً إعلامياً واسع النطاق تحت إشراف الأستاذ الدكتور محيى الدين عبدالحليم حيث تشارك وسائل الإعلام المحلية والعربية والإعلام الدولى ومن المنتظر أن يعقد الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤتمراً صحفياً يعلن خلاله تفاصيل برنامج الاحتفالية.

ومن ناحية أخرى قررت اللجنة المنظمة للاحتفالية عقد عدد من الأمسيات الدينية بالمساجد الكبرى بواقع أمسيتين شهرياً في مسجد من مساجد الأعلام بالإسكندرية بالتنسيق بين مديرية أوقاف الإسكندرية والمحافظه تتضمن الأمسيات قراءة للقرآن الكريم ثم محاضرة عن صاحب المسجد وسيرته الذاتية وجهوده في خدمة الإسلام والوطن وتختتم بالتواشيح الدينية.

وعلى جانب آخر تقام ندوات في الجامعات والمعاهد العليا خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر بالإضافة إلى خطة صيفية للاحتفال بالإسكندرية عاصمة الثقافة الإسلامية بمراكز الشباب والنوادي والتجمعات العمالية والأماكن العامة خلال أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر هذا العام حيث تتضمن الخطة تناول القضايا الدعوية والمعاصرة.

وعلى جانب الاحتفالية يقام معرض لإصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية.

أبناء وأخبار

منير بيومي

في إطار تفعيل بروتوكول التعاون بين وزارتي الأوقاف والشئون الإسلامية بمصر وتونس

تتعد ندوة بعنوان الخطاب الديني وتحديات الحداثة في المجتمعات الإسلامية في الأسبوع الأخير من يونيو القادم بالقاعة الكبرى بمسجد النور بالعباسية

تتناول الندوة عدة محاور الأول حول تحديد المفاهيم ويشمل الخطاب الديني، والحداثة، والمجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية

أما المحور الثانى يتناول معوقات التجديد فى الخطاب الدينى من الأمية الدينية والجمود الفكرى والتعصب أما المحور الثالث يتناول آليات الخطاب الدينى ويشمل الفهم الصحيح للنص الدينى، ومكانة العقل فى الخطاب الدينى، والاجتهاد، واستخدام التقنيات الإعلامية الحديثة فى مجال الدعوة.

أما المحور الرابع يتناول الإسلام والحداثة ويشمل الحداثة فى الميزان الشرعى والدينى، والعلاقة بين الاجتهاد والتجديد، والفتاوى الشرعية على ضوء متغيرات العصر.

٢٩ مايو آخر موعد لقبول الدفعة الجديدة بالمراكز الثقافية الإسلامية

فى القرآن حيث يشترط الحفظ الجيد لخمسة أجزاء على الأقل وأن يجتاز اختباراً فى فقه العبادات والسيرة النبوية والمعلومات العامة، وأن يكون حسن المنظر والهندام.

وتبدأ اختبارات القبول يوم السبت الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٨ ولمدة عشرة أيام وعلى المتقدم متابعة نتيجة القبول مع بداية شهر أكتوبر ٢٠٠٨م.

جدير بالذكر أن المراكز الإسلامية التابعة لوزارة الأوقاف قد بلغ عددها ٢٠ مركزاً وهى:

أعلنت الإدارة العامة للمراكز الثقافية بوزارة الأوقاف عن قبول دفعة جديدة من الجنسين فى جميع مراكزها بالمحافظات من خلال المديريات والإدارات التابعة لها ويستمر قبول الطلبات حتى يوم الخميس الموافق ٢٩ مايو ٢٠٠٨.

ويشترط حصول المتقدم على مؤهل جامعى (ليسانس - بكالوريوس) عدا جامعة الأزهر ودار العلوم المسبوقة بالثانوية الأزهرية. ولا يزيد سن المتقدم عن ٥٠ عاماً فى أول أكتوبر ٢٠٠٨. وأن يتقدم الطالب بطلب باسم مدير المركز مرفقاً به ملف يشمل صورتين حديثتين (٤ × ٦) وصورة البطاقة (الرقم القومى) مع الاطلاع على الأصل، وأن يتابع المتقدم موعد الاختبار وبداية العام الدراسى بنفسه فى حالة قبوله والدراسة مجانية بجميع المراكز. كما يشترط أن يجتاز المتقدم اختبار القبول الذى يجريه المركز

بيان بأسماء المراكز الثقافية الإسلامية وعنوانها

م	مركز الثقافى الإسلامى بـ	العنوان
١	القاهرة	مسجد النور بالعباسية
٢	القليوبية	مدينة بنها - حى القللى شارع كورنيش النيل بمسجد ناصر
٣	المنوفية	ش جمال عبد الناصر بجوار مسجد الأنصار - شبين الكوم
٤	الشرقية	الزقازيق - مسجد الفتح أمام المبرة بجوار نادى الشرقية
٥	الغربية	طنطا - ميدان المحطة - ش السكة الجديدة مسجد أحمد البدوى
٦	البحيرة	دمنهو - ميدان الساحة مسجد سيدى عمر
٧	كفر الشيخ	كفر الشيخ - أعلى مسجد الفلاحين - خلف محطة السكة الحديد
٨	الدقهلية	المنصورة شارع فخر الدين خالد - مسجد الكعكى عزبة عقل
٩	بورسعيد	ميدان العديّة ببور فؤاد - أسفل مسجد المجمع الإسلامى
١٠	الإسكندرية	مسجد محمد عبده ش قناة السويس الإسكندرية
١١	الجيزة	أمام مطافى الجيزة بين السرايات
١٢	بنى سويف	مسجد هدى الإسلام بجوار قصر الثقافة بنى سويف الدور الثانى
١٣	الفيوم	الفيوم مسجد فاطمة الياس أمام مجمع المصالح الحكومية بجوار مديرية الأمن
١٤	المنيا	بدار المناسبات بجوار مسجد الفولى شارع الكورنيش الدور الثانى
١٥	أسيوط	أسيوط شركة قلتة مسجد الجمعية الشرعية
١٦	سوهاج	سوهاج شارع القطب أعلى مسجد القطب أمام محطة السكة الحديد بسوهاج
١٧	قنا	قنا ش الجمهورية مسجد ناصر
١٨	أسوان	أسوان منطقة السيل الجديد خلف كيما بمسجد الإمام الحسن
١٩	رابطة العدوية	بمسجد رابعة العدوية بمدينة نصر
٢٠	الشيخ الحصرى	بمدينة ٦ أكتوبر

مسابقة حفظ القرآن الكريم

بدأت مديريات الأوقاف بجميع المحافظات تسجيل أسماء الشباب الراغبين في الاشتراك بالمسابقتين المحلية والدولية لحفظ وفهم القرآن الكريم واللتين تنظمهما وزارة الأوقاف بين شباب مصر والعالم الإسلامى.

قال الدكتور محمود حمدي زقزوق رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إن الوزارة تنظم هاتين المسابقتين سنوياً لتشجيع الشباب على حفظ القرآن الكريم وتدبر معانيه ويحرص الرئيس مبارك سنوياً على تكريم المتميزين فيها وتسليم جوائزهم المالية بنفسه في الاحتفال بليلة القدر الذي تنظمه الوزارة في الأسبوع الأخير من شهر رمضان المبارك تقديراً من مصر لحفظة القرآن الكريم وإيماناً منها بأهمية تربية الأجيال الجديدة على ثقافة القرآن الكريم باعتباره المنهج القويم الذي يرسم لهم معالم الطريق الصحيح نحو تقدمهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة، وأوضح د. زقزوق أن الاختبارات ستبدأ بمقار المديريات اعتباراً من ١١ مايو ولمدة ١٥ يوماً ويشترط في المتقدم للمسابقة المحلية ألا يزيد سنه على ٢١ عاماً في أول سبتمبر و ٢٥ عاماً للمسابقة الدولية وألا يكون قد سبق له الاشتراك في أى فرع من فروع المسابقة ولم يمثل مصر دولياً في أية مسابقة أخرى في السنوات الخمس الماضية.

الندوة الإقليمية الثانية حول أطفال الشوارع والحد من عمل الأطفال

في إطار التعاون بين المجلس القومى للطفولة والأمومة ومنظمة الإقليم الكشفى العربى تم عقد الندوة الثانية للحد من عمل الأطفال وأطفال الشوارع وذلك مساهمة من الحركة الكشفية في تحسين الأحوال المعيشية لهؤلاء الأطفال وأسرههم، وتم ذلك بالتعاون مع الجمعيات الكشفية العربية ومنظمة اليونيسيف ومنظمة العمل الدولية ووحدة مكافحة عمل الأطفال بوزارة القوى العاملة.

وصرحت السفيرة مشيرة خطاب - الأمين العام للمجلس - إنه تم خلال اللقاء عرض تجربة المجلس في الحد من مشكلة عمل الأطفال، وتحويلهم من عمالة خطرة إلى آمنة، وكذلك التعرف على استراتيجية المجلس للقضاء على ظاهرة أطفال الشوارع. وقد أوصى الحاضرون بتعميم تجربة مصر في «خط نجدة الطفل» والاستفادة من خبرات المجلس في التعامل مع كل من ظاهرتي عمل الأطفال وأطفال الشوارع.

بتكلفة ٣٠ مليون جنيه

الأوقاف تقيم مؤسسة للأيتام بمدينة السادس من أكتوبر

أعلن الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن الوزارة بصدد الانتهاء من إنشاء مؤسسة نموذجية للأيتام بمدينة السادس من أكتوبر لافتتاحها مع نهاية هذا العام على مساحة ٧ آلاف متر مربع بتكلفة حوالى ٣٠ مليون جنيه لتكون نقلة حضارية تعكس اهتمام الوزارة برعاية الأيتام كجزء رئيسى من رسالتها في التواصل مع المجتمع.

وقال إن المؤسسة الجديدة تستوعب ٦٠٠ يتيم ٣٠٠ من البنين ومثلهم من البنات بنظام الإعاشة الكاملة، وقد تم تصميمها على أحدث الطرز المعمارية من حيث سبل المعيشة والورش التدريبية التى يتم من خلالها تعليم الدارسين من البنين والبنات إحدى الحرف وتمنحهم شهادة تأهيل مهني للاندماج في سوق العمل وضمان حياة كريمة لهم بعد التخرج بما يحميهم من الضياع والتشرد.

المطالبة بسرعة تعيين الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة حول العنف ضد الأطفال

تنفيذ دراسة الأمين العام للأمم المتحدة حول العنف ضد الأطفال والذي يضم ١٨ منظمة دولية وإقليمية ووطنية - من بينها المجلس العربي للطفولة والتنمية - قد قاد حملة دولية أسفرت عن تأييد ١٠٠٠ منظمة غير حكومية من ١٢٤ دولة على تخصيص هذا المنصب الدولي الهام، وتوجت بمرافقة الجمعية العامة بإجماع ١٧٦ دولة مقابل رفض دولة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية.

يناشد المجلس العربي للطفولة والتنمية مع مجموعة من المنظمات الدولية والإقليمية المعنية بحقوق الطفل الأمم المتحدة بسرعة تعيين الممثل الخاص للأمين العام بشأن العنف ضد الأطفال. والذي وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على تعيينه بتاريخ ٢٧ نوفمبر من العام الماضي. وأشارت د. نائبة شعلان - مديرة إدارة البرامج بالمجلس العربي للطفولة والتنمية - إلى أنه رغم الجهد الذي قام به المجلس الاستشاري بمعاونة ودعم منظمات المجتمع المدني لتخصيص هذا المنصب والموافقة عليه بالجمعية العامة للأمم المتحدة، إلا أن المنصب لازال شاغراً، وتناشد الأمم المتحدة بالتعجيل بشغل هذا المنصب الدولي الهام لبدء في ممارسة مهامه تجاه العمل على إنهاء العنف ضد الأطفال في جميع أنحاء العالم. وكان المجلس الاستشاري للمنظمات غير الحكومية لمتابعة

ختم فعاليات الدورة التدريبية الراقية للدعاة

الجامعات المصرية الذين نقلوا إليهم خبراتهم وتجاربهم في جميع المجالات بما يصقل قدراتهم ويمكّنهم من أداء مهمتهم كدعاة تعدهم الوزارة ليكونوا في مقدمة الصفوف وكنماذج مشرفة للدعاة المستنيرين القادرين على مواكبة قضايا العصر. وصرح الدكتور محمود حمدي زقزوق - وزير الأوقاف - أن هذه الدورة أثبتت نجاحاً ملحوظاً في اكتشاف العديد من المواهب الدعوية المتميزة التي استطاعت ملء الساحة بفكر جديد حيث توليهم الوزارة اهتماماً علمياً وتمنحهم الأولوية في الابتعاث للخارج كسفراء للإسلام الصحيح ونشر دعوته السليمة وتصحيح صورته في الإعلام الغربي.

اختتمت فعاليات الدورة التدريبية الراقية السابعة للأئمة الحاصلين على الماجستير والدكتوراه التي عقدت على مدى شهرين بمعسكر أبي بكر الصديق بالإسكندرية حضرها ٥٨ داعية وداعية لمدة شهرين تلقوا خلالها برنامجاً تدريبياً مكثفاً أعدّه القطاع الديني بوزارة الأوقاف التقوا خلالها بالعديد من صفوة ورموز الثقافة الإسلامية وكبار أساتذة

في الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

العلاقة بين الإسلام والغرب

د. محمود حمدي زقزوق:

الإسلام دين سلام يهد
يده لمن ينشد السلام غير
أن البعض من أهل الغرب
لا يقابل ذلك بالمثل

في إطار الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وضمن أنشطته الثقافية التي يستضيف خلالها خيرة علماء الإسلام للحديث في شئون الدنيا والدين عقدت مؤخرًا ندوة بمسجد التور حاضرها أ. د. أحمد عمر هاشم - رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب - وكانت تحت عنوان: «الإسلام والغرب» بحضور أ. د. محمود حمدي زقزوق - وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وجمع غفير من المهتمين بموضوع الندوة من رواد الموسم الثقافي.

في البداية رحب د. الوزير بالضيف الحاضر أ. د. أحمد عمر هاشم مذكراً أن له العديد من المؤلفات في مجال السنة النبوية وأن فضيلته من كبار علماء علم الحديث في مصر والعالم الإسلامي.

وأضاف د. زقزوق أن موضوع الندوة التي نحن بصدددها هو موضوع الساعة حيث أن العلاقة بين الإسلام والغرب بها آراء متضاربة وتحتوي على العديد من النقاط الشائكة. من هنا نحن في حاجة إلى مناقشتها لتصل إلى حكم صائب.

محسن عبد الفتاح

والرغبة في التعاون المشترك ماذا يده للجميع لأن الله - سبحانه وتعالى - بين أننا جميعاً من أصل إنساني واحد.. أب واحد وأم واحدة.. لذا علينا أن نتعايش سلمياً ونتعاون مع الآخر لأن الإسلام كدين غير منكفئ على ذاته إنما هو دعوة عالمية.. من هنا لم يعد هناك مناص من الحوار مع الغرب، بل أصبح الحوار فريضة.. وقد يتساءل البعض كيف يكون ذلك وهناك من يحاول إجهاض فرص الحوار ويدعو إلى مقاطعة الغرب..؟ لكننا نقول لهم إن الحكماء مازالوا يميلون إلى التعايش السلمي والرغبة في التعاون ومد جسور الاتصال والحوار. وهذا ما يدعوا إليه قرآننا الكريم في محكم آياته عندما يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ادع إلى

وأشار الدكتور الوزير إلى أن علاقة الإسلام بالغرب علاقة قديمة بدأت مع نزول القرآن وإقبال الأفراد الأوائل على اعتناق هذا الدين الجديد ومن ثم انتشاره في شتى أرجاء الجزيرة العربية. وأكد أن الإسلام دين سلام يهد يده لمن ينشد السلام غير أن البعض من أهل الغرب لا يقابل ذلك بالمثل.

الإسلام والغرب.. علاقة أزلية:

استهل المحاضر حديثه بسؤال طرحه على الحضور وعلى نفسه: كيف كان هذا الدين الحنيف نورا وهداية للعالم بأسرها؟ وأجاب أ. د. أحمد عمر هاشم عن سؤاله المهم هذا فقال: «..الحديث عن الإسلام والغرب يطول ويصعب ويجول لمن شاء لأنه ضارب بعمق في التاريخ البعيد. الممعن في البعد.. الإسلام خاطب الناس كافة من خلال القرآن الكريم عندما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ الحجرات: آية ١٣.

هذا التاريخ الطويل بين الإسلام والغرب شابه فترات احتلال الغرب للبلاد العربية والإسلامية أو ما عرف بالحقبة الاستعمارية دارت خلالها معارك الجهاد والكفاح ضد المحتل إلى أن نلنا الاستقلال ومع ذلك لم يتوقف الإسلام عن الدعوة إلى الحوار

د. أحمد عمر هاشم:

لم يتوقف الإسلام عن الدعوة إلى الحوار والرغبة في التعاون المشترك ما دأيد به للجميع

سبيل ريك
بالحكمة
والموعظة
الحسنة
وجادلهم
بالتى هى
أحسن
النحل: آية
١٢٥
وأضاف
د. أحمد

عمر هاشم: «أن

جذور العلاقة بين الإسلام والغرب قديمة وأن ما وقع من صدامات وحروب لا بد من تجاوزها حتى نستطيع بناء جدار من الثقة المتبادلة ونعرف الآخرين أن ديننا الذى ارتضاه الله ديناً للبشرية جمعاء يستوجب علينا ويجعل من الحوار فريضة حتى نحمل رسالة الإسلام إلى العالم.. واجبنا إذاً أن ننشر هذا الدين فى ربوع العالم ليعرف من يجهل منزلة نبينا ﷺ الذى جاء رحمة للعالمين كافة وحتى لا تقع إساءات من البعض فى حقه».

وواصل الدكتور المحاضر حديثه عن الإسلام فقال: «إن الإسلام دين التسامح ويحض اتباعه من المسلمين على توثيق الروابط مع اتباع الديانات الأخرى حتى يعرف العالم ديننا الحق الذى يساوى بين البشر.. وهذا التعريف واجب الأفراد والمؤسسات الدينية والجامعات العلمية لكى يعملوا جميعاً على نشر هذه الحقائق عن ديننا فيؤمن به ويقبل عليه كل ذى بصر وبصيرة.. علينا الاقتداء برسولنا الكريم الداعية الأول. عندما أخذ على عاتقه نشر الدعوة بدين الإسلام فأمن الأحاد ثم العشرات فالمئات فالآلاف فالملايين».

وأضاف د. أحمد عمر هاشم - رئيس اللجنة الدينية بمجلس الشعب -: «ولكن لماذا هذه التحديات التى تواجهنا، والإساءات التى توجه إلى رسولنا؟.. وهل هى جديدة لم تقع من قبل؟.. لاشك أن مثل هذه الإساءات لاقى رسولنا الكريم الكثير منها فى مطلع الدعوة.. فقد أساء إليه أهل مكة حتى أنه شكا إلى ربه ضعفه وقلة حيلته وهوانه على الناس ﷺ.. إذن يجب علينا كمسلمين أن نتصبر لدينا بتوضيح حقائقه لمن يجهله، وعلينا التعريف بمنزلة رسولنا ومكانته.. فنحن قصرنا فى حق ديننا وقدر نبينا.. نحن نتحمل قدراً كبيراً من وزر هذه الإساءات لأننا لم نعرف بحقيقة تعاليم ديننا وحضارتنا الإسلامية.. إن الإسلام شريعة ثرية حافلة بالمبادئ السامية التى يجب أن يستند إليها المسلمون فى خطابهم مع الآخر والقادرة على الوصول فكرياً وثقافياً إلى عقول وقلوب البشر وإقناعهم بعظمة الإسلام.. علينا العمل على تقديم الفهم الصحيح

للإسلام واستغلال كافة الإمكانيات الهائلة المتاحة اليوم للعالم الإسلامى لنصرة الدين الإسلامى ورسوله الكريم.
بين الماضى والحاضر:

عقب أ. د. وزير الأوقاف رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بكلمة طاف فى بدايتها بالحضور بين صفحات التاريخ الإسلامى المضى رابطاً ماضيه بحاضره.. فقال بالخصوص: «إن الغرب استفاد من حضارة الإسلام وعلومه فى الأندلس وجزيرة صقلية.. فترجم علماء الغرب عن تلك المنارتان الإسلاميتان كافة العلوم وألوان المعرفة.. حتى أن حكام مقاطعات غربية وقعوا فى هوى الثقافة الإسلامية.. لكن التاريخ يحدثنا عن الحروب الصليبية ضد المسلمين والتى استمرت قروناً والتى استتكرها المؤمنون من اتباع المسيح وسموها بحروب الفرنجة؛ والتى بلغت ذروتها باحتلال القدس بعد قتل من فيها من المسلمين. وبعد قرابة القرن من الزمان استطاع القائد العربى المسلم صلاح الدين الأيوبي استرداد القدس ولكنه لم يقتل أتباع الديانات الأخرى من سكانها مقتدياً بذلك بنبي الرحمة ﷺ عندما فتح مكة.. وهكذا عفا صلاح الدين عن الصليبيين وأعطى فقراءهم ما يحتاجونه.. هذا هو الإسلام دين الرحمة والتسامح والعفو عند المقدرة.. هذا هو ديننا فى كل زمان ومكان.. قديماً وحديثاً.. علينا اليوم أن نعرف بحقائق ديننا الإسلامى عن طريق الفضائيات وبصنع أفلام تخاطب عقل الغرب وتعرف بسماحة الدين.. علينا مد جسور التواصل الثقافى بالحوار المباشر وغير وسائل الاتصالات الحديثة من تكنولوجيا عصرية وقنوات فضائية.

ريتم مؤتة

واحة المنبر

إعداد:

محمد سيد أحمد

حدث في مثل هذا الشهر - جمادى الأولى - من سنة ثمان هجرية

«فلسبت أدرى كيف لى بالصدر
بعد الورود؟» فقال المسلمون:
«صحبكم الله ودفع عنكم وردكم
إلينا صالحين» فقال عبدالله
بن رواحة:

لكننى أسأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات فرغ تقذف الزيدا^(٣)

أو طعنة بيدي حران مجهزة^(٤)

بحرية تنفذ الأحشاء والكبد

حتى يقال إذا مروا على جدنى^(٥)

يأرشد الله من غاز وقد رشا

الهوامش:

١ - سبل الهدى والرشاد فى
سيرة خير العباد، تحقيق إبراهيم
الترزى وعبدالكريم الغرباوى ج٦،
طبعة المجلس الأعلى للشئون
الإسلامية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
ص ٢٢٨ وما بعدها.

٢ - أى أن الشيطان قد
استوطن رؤوسهم فجعلها مفاخص
وهو من الاستعارات اللطيفة تعنى
شدة الغى.

٣ - ذات فرغ أى واسعة يسيل
دمها والزبد رغوة الدم.

٤ - مجهزة: أى سريعة القتل.

٥ - الجدت: القبر.

بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان
واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبى
طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس،
فإن قتل فليترض المسلمون منهم رجلا فليجعلوه عليهم».

وروى محمد بن عمر (١) عن خالد بن يزيد قال: خرج رسول الله
ﷺ مشيعا لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله
فقال: «اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون
رجالا فى الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا لهم وستجدون آخرين
للسيطان فى رؤوسهم مفاخص (٢) فافلقوها بالسيوف، لا تقتلن امرأة
ولا صغيرا ضرعا ولا كبيرا فانيا ولا تقربن دخلا ولا تقطعن شجرا
ولا تهدن بيتا».

فاستعينوا بالله عليهم وقاتلوهم
وإن حاصرتم أهل حصن أو مدينة
فأرادوكم أن تجعلوا لهم ذمة الله
وذمة رسوله فلا تجعلوا لهم ذمة
الله ولا ذمة رسوله ولكن اجعلوا
لهم ذمتكم وذمة آبائكم فإنكم إن
تخضروا ذممكم وذمم أصحابكم
أهون من أن تخضروا ذمة الله وذمة
رسوله».

قال عروة بن الزبير: «فتجهز
الناس ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة
آلاف، فلما حضر خروجهم ودع
الناس أمراء رسول الله ﷺ وسلموا
عليهم، فلما ودع عبدالله بن رواحة
مع من ودع من أمراء رسول الله
ﷺ بكى، فقالوا: «مايكيك يا ابن
رواحه؟» فقال: أما والله ما بى حُب
الدنيا ولا صباية بكم ولكنى سمعت
رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب
الله - عزوجل - يذكر فيها «وإن
منكم إلا واردها كان على ربك
حتما مقضيا» مريم: آية ٧١،

وروى محمد بن عمر (الواقدي)
عن زيد بن أرقم: أن رسول الله
ﷺ قال: «أوصيكم بتقوى الله
وبمن معكم من المسلمين خيرا،
اغزوا باسم الله فى سبيل الله من
كفر بالله، لا تغدروا ولا تغلوا ولا
تقتلوا وليدا وإذا لقيتم عدوكم من
المشركين فادعوه إلى إحدى
ثلاث فأيتهن ما أجابوكم إليها
فاقبلوا منهم وكفوا عنهم الأذى ثم
ادعوه إلى التحول من دارهم إلى
دار المهاجرين فإن فعلوا
فأخبروهم أن لهم ما للمهاجرين
وعليهم ما على المهاجرين، فإن
أبوا أن يتحولوا منها فأخبروهم
أنهم يكونون كأعراب المسلمين
يجرى عليهم حكم الله ولا يكون
لهم فى الغنيمة والفى شئ إلا أن
يجاهدوا مع المسلمين فإن هم أبوا
فسلهم الجزية، فإن فعلوا فاقبلوا
منهم وكفوا عنهم فإن هم أبوا

من سنن الصلاة التوجه والتعوذ

من كنوز السنة المطهرة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: أنفق يا ابن آدم، أنفق عليك»

أخرجه البخاري في كتاب النفقات وفضل النفقة ج ٧ ص ٧٢.
وعن عبد الله بن أبي طلحة، عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم، والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البشرى في وجهك، فقال: «إنه أتاني الملك، فقال: يا محمد، أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا» الحديث أخرجه النسائي في سننه باب فضل التسليم على النبي ﷺ ج ٣ ص ٤٤.

تفسيحات

الرجع: هو الإعادة، والرجعة المرة منه، والرجعة في الطلاق وفي العود إلى الدنيا بعد الممات، والرجوع العود إلى ما كان منه البدء..

ومنه قول الشاعر:

تذكرت أياما لنا ولياليا

مضت فجرت من ذكرهن دموع

ألا هل لها يوماً من الدهر أوبة

وهل لي إلى أرض الحبيب رجوع

وهل بعد تفريق الندام تواصل

وهل لنجوم قد أفلن طلوع

■ وقد وردت مادة رجع في القرآن الكريم على أوجه نذكر منها:

- ١ - بمعنى المطر في قوله تعالى: «والسماوات ذات الرجع» الطارق: آية ١١.
- ٢ - بمعنى الرد في قوله تعالى: «قال رب أرجعون» المؤمنون: آية ٩٩ وقوله تعالى: «فارجع البصر» الملك: آية ٣.
- ٣ - بمعنى العود في قوله تعالى: «لعلي أرجع إلى الناس» يوسف: آية ٤٦، وقوله تعالى: «لئن رجعنا إلى المدينة» سورة المنافقين: آية ٨.
- ٤ - بمعنى رجعة الطلاق كقوله تعالى: «فلا جناح عليهما أن يتراجعا» البقرة: آية ٢٣٠.
- ٥ - بمعنى الموت في قوله تعالى: «ثم إلينا ترجعون» العنكبوت: آية ٥٧.
- ٦ - بمعنى الرجوع إلى الدنيا بعد الموت في قوله تعالى: «وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون» الأنبياء: آية ٩٥.
- ٧ - بمعنى الإقبال على الشيء كقوله تعالى: «فرجعوا إلى أنفسهم» الأنبياء: آية ٦٤.
- ٨ - بمعنى التوبة في قوله تعالى: «وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون» الأعراف: آية ١٦٨.

ذكر الإمام محمد بن علي الشوكاني ١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ في كتابه «السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» الجزء الأول^(١).

أنه ينبغي للمتحرى في دينه أن يحرص على فعل أصح ما ورد عن رسول الله ﷺ، وأصحها حديث أبي هريرة^(٢) في الصحيحين وغيرهما قال: «كان رسول الله ﷺ إذا كبر في الصلاة سكنت هنيهة قبل القراءة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي رأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟ قال: أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم اغسلني من ذنوبي بالثلج والماء والبرد، اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس».

قال الشوكاني فهذا أصح ما ورد في التوجهات حتى قيل إنه قد تواتر لفظه فضلا عن معناه.

أما أصح ما ورد في التعمود فحديث أبي سعيد عند أحمد والترمذي وأبي داود والنسائي عن النبي ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة استفتح ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه».

الهوامش:

١ - السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لشيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني ج ١ ط ٢ تحقيق قاسم غالب، ومحمود أمين ومحمود إبراهيم زايد وبسيوني رسلان طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

٢ - الحديث رواه الجماعة إلا الترمذي ويرجع إليه في المنتقى بشرح نيل الأوطار ٢/٢١٣.

٣ - الأحاديث القدسية طبع المجلس ص ١٦٥.

يسألونك في الدين والحياة

فضيلة الدكتور
على جمعة محمد

دفن غير المسلم في مقابر المسلمين

الكفار» (١).

وعليه: فلا يجوز دفن غير المسلم في مقابر المسلمين ولو كان قريبا من النسب؛ لأن نسب الدين وقربته أولى؛ لقول الله - تبارك وتعالى -: «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» الأحزاب: آية ٦، هذا بالنسبة للشق الأول من السؤال.

أما عن الشق الثاني: فإذا ما لقن غير المسلم الشهادتين وهو على فراش الموت ونطق بهما فإنه يكون مسلما إن شاء الله تعالى؛ لقول سيدنا رسول الله ﷺ: «إن المرء ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون ما بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه الأجل فيعمل بعمل أهل النار فيكون من أهل النار وإن المرء ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون ما بينه وبين النار إلا قدر ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

السؤال من القارئ .. إبراهيم محمد السيد من القاهرة الجديدة، يقول:

هل يجوز دفن امرأة مسيحية في مقابر المسلمين؛ وذلك لوجود صلة قرابة بينها وبين المسلمين، وهل تعتبر قد أسلمت إذا ما لقنت الشهادة وهي على فراش الموت. أم لا؟

الجواب: كرم الله - تبارك وتعالى - الإنسان حيا وميتا قال

تعالى: «ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» الإسراء: آية ٧٠، ومن تكريم الله للإنسان أن شرع الله تعالى لبنى آدم الدفن بعد الموت حفاظا على كرامته وإنسانيته قال تعالى: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم» طه: آية ٥٥، وقال - عز وجل -: «ثم أماته فأقبره»

عبس: آية ٢١، والمسلم يدفن في مقابر المسلمين، وغير المسلم يدفن في مقابر غير المسلمين ولا يجوز دفنه في مقابر المسلمين، ولكن اختلف الفقهاء في الذمية المتزوجة من المسلم إذا ماتت وهي حامل بطفل يكون مسلما - لأن الولد يتبع أحسن الوالدين دينا -

أين تدفن؟ في مقابر المسلمين أم في مقابر غير المسلمين؟

لقد جاء في كتاب (روضة الطالبين) للإمام النووي «ولو ماتت ذمية في بطنها جنين مسلم ميت؛ جعل ظهرها إلى القبلة ليتوجه الجنين إلى القبلة؛ لأن وجه الجنين على ما ذكر إلى ظهر الأم، ثم قيل: تدفن هذه المرأة بين مقابر المسلمين والكفار، وقيل: في مقابر المسلمين فتنزل منزلة صندوق الولد، وقيل: تدفن في مقابر

زكاة المحال التجارية

السؤال من القارئ / عبد النبي محمود عبد النبي من امبابة، يقول:

كيف نركب على مال محل تجارى؟

الجواب: المحل التجارى تعد له ميزانية فى آخر العام فيها شئ اسمه الأصول الثابتة، وأخرى تسمى الخصوم الثابتة، وشئ اسمه الأصول المتداولة، وأخرى تسمى الخصوم المتداولة. فالأصول الثابتة: ليس عليها زكاة.

أما الأصول المتداولة وهى البضاعة - والمديونيات: فتطرح هذا من هذا. ويخرج لنا من ذلك شئ يطلق عليه رأس المال العام (وهو ما عليه زكاة)، ونبحث عن محاسب ونقول له: «انظر إلى رأس المال العام. فيضع على الأموال الموجودة لدينا والديون الموجودة علينا، والبضاعة الموجودة ولم نسد ثمنها، وديوننا».

فيخرج من ذلك رأس المال العام وهو ما عليه الزكاة.

- ونخرج الزكاة من نفس السلعة إذا كان ما نخرجه منها مثل: الأطعمة والملابس أو من قيمتها.

وهنا يكون السؤال: بم تقوم؟ هل تقوم بقيمة الشراء، أو بقيمة البيع؟ أو بأيهما أقل؟

نقول: هى تقوم كما لو كنا سنقوم بتصفية المحل، هذا التقويم يكون بتقويم بيعها بسعر الجملة، فهذه نظرة عامة عن نظرية الزكاة.

و... زكاة الحلى

السؤال من القارئ / أيمن نبوى عبد الوهاب من الجيزة، يقول: زوجتى تمتلك مقدارا من الذهب يزيد على النصاب، وهذا الذهب تم شراؤه للزينة، ويحكم عملنا تركنا جزءا منه فى بلدنا وسافرنا، ويوجد معنا جزء، هل تجب الزكاة فى كامل الذهب، أو على ما فوق النصاب الذى يجب فيه الزكاة؟

الجواب: ليس هناك زكاة أصلا فى الحلى، وهذا مذهب الإمام الشافعى، والمفتى به الآن ليس لدينا زكاة فى الحلى.

وماذا يعنى الحلى؟

يقصد الذهب الصالح للبس: أى مصاغ صالح للبس يصبح اسمه حليا، لبسته المرأة أم لم تلبسه، أما إذا وضع رجل جنيهاً ذهبية فى صندوق وحبسها، فإن هذه الجنيهاً عليها زكاة. وإذا أخذ هذه الجنيهاً وصاغها أسورة بجنيهاً ذهب أو عملها سلسلة: فليس عليها زكاة، وهى فى حالة التقديرة عليها زكاة. وبمجرد ما أعطيناها للصائغ وعمل لها إطارا وعمل لها أسورة فليس عليها زكاة.

فالحلى الخاص بالمرأة مغفون عن زكاته وإن كثرت.

إذاً الفتوى: أنه لا يوجد فى الحلى زكاة.

الجنة فيكون من أهل الجنة» (٢).

أما إذا لم ينطق بالشهادتين فإنه يكون على كفره والعياذ بالله.

نسأل الله أن يختم لنا بخاتمة السعادة والمسلمين أجمعين.

الهوامش:

١ - روضة الطالبين (١٠/١٣٥)

والمجموع (٥: ٢٤٢).

٢ - أخرجه البخارى فى أحاديث

الأنبياء (٢٣٢٢) ومسلم فى القدر (٢٦٤٣).

إخراج جثث الموتى وإعادة دفنها

السؤال من القارئ / عبد الرحمن إبراهيم - قنا، يقول:

ما رأى الشرعى فى إخراج جثث الموتى للرجال والنساء من قبورهم وخلطها بعضها ببعض والقائها فوق سطح المقبرة والردم عليها بمخلفات المبانى. فهل هذا العمل جائز شرعا أم لا؟

الجواب: قرر الدين الإسلامى

الحنيف أن الإنسان له حرمة يجب الحفاظ عليها سواء كان حيا أو ميتا، فقال سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -: «كسر عظم الميت كسره حيا» (١).

ولا يجوز الجلوس على القبر حتى لا يتأذى صاحبه لقوله - صلوات الله وتسليماته عليه وآله -: «لأن يجلس أحدكم على الجمر فتحرق ثيابه ويدنه خيرا له من أن يجلس على القبر» (٢).

الهوامش:

١ - أخرجه أبو داود فى الجنائز (٣٢٠٧)

وابن ماجه فى الجنائز (١٦١٦).

٢ - أخرجه مسلم فى الجنائز (٩٧١).

والنسائى فى الجنائز (٢٠٤٤).

إخراج الزكاة لصالح المستشفيات

إلى التبوع لبناء مستشفى سرطان الأطفال وأن ينشأ كذلك صناديق ثلاثة:

الصندوق الأول: يكون للوقف، فيوقف فيه الناس أموالهم ويجعلون ريعها وثمرتها لصالح هذا المستشفى وعلاج المترددين عليها أبد الدهر.

والصندوق الثاني: يكون للصدقات، ويتصدق منه على البناء والتأسيس والصيانة وإظهار هذا المبنى بصورة لائقة بالمسلمين إنشائياً ومعمارياً وفنياً.

والصندوق الثالث: يكون للزكاة، ويصرف منه على الآلات وعلى الأدوية وعلى مصاريف العلاج والإقامة والأكل والشرب المتعلقة بالمرضى بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، كمرتبات الموظفين وأجور الأطباء ومصاريف العملية الجراحية والإشاعات ونحو ذلك. ونحن نهيب بالمسلمين في كل مكان داخل مصر وخارجها المساهمة في هذا العمل الجليل الذي يخفف فرط الألم عن أطفال الناس جميعاً، مصداقاً لقوله ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (٢).

وعلى الجهات المعنية بشأن إنشاء المستشفى توضيح ما ذكرناه، والعمل على إبرازه في أرض الواقع بمجموعة من الإجراءات اللازمة لذلك حتى تتحقق النتائج المرجوة بإخراج هذا العمل الجليل إلى دنيا الناس من ناحية، والالتزام بالقواعد الشرعية المرعية بشأن الزكاة والصدقات والأوقاف من ناحية أخرى.

الهوامش:

- ١ - أخرجه الترمذي في الجمعة (٦١٤).
- ٢ - أخرجه الترمذي في البر والصلة (١٩٢٤) وأبو داود في الأدب (٤٩٤١).

زكاة الأرض المعدة للبناء

السؤال من القارئ / سعيد سيد حسين من محافظة القاهرة: أرجو إفادتي بخصوص الزكاة على قطعة أرض معدة للبناء ومتروكة بفرض البيع مستقبلاً بنية أن يزداد ثمنها، هل أخرج عنها زكاة مقدراً ثمنها كل عام؟

الجواب: مادام قطعة الأرض المنوه عنها معدة للبناء ولم تجلب نماء فلا زكاة عليها إلا عند بيعها وادخار ثمنها ومرور حول عليه، ومقدار الزكاة ربع العشر؛ أي ٢,٥٪ فإن بيعت وصرفت ثمنها مباشرة أي قبل الحول فلا شيء عليه.

السؤال من القارئ / محمد شكرى محمد السيد، من محافظة الغربية، يقول:

هل يجوز إخراج زكاة المال لصالح المستشفيات كمستشفى سرطان الأطفال مع العلم أن هذا المستشفى سوف يعالج الأطفال بالمجان، وأنه الآن بصدد التشطيبات النهائية والإلكترونيكية والاستعداد لشراء المعدات الطبية؟

الجواب: تقرر عند علماء المسلمين أن هناك حقاً في المال سوى الزكاة فمنه الصدقة المطلقة، ومنه الصدقة الجارية، ومنه الوقف؛ تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وفى أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذاريات: آية ١٩، وفى مقابله قوله تعالى: ﴿والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ المعارج: الآيتان ٢٤، ٢٥، وكل ذلك من باب فعل الخير الذى لا يتم التزام المسلم بركوعه وسجوده وعبادة ربه إلا به، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾ الحج: آية ٧٧.

وقال ﷺ: «الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» (١)، والزكاة التى هى فرض وركن من أركان الإسلام قد حددت مصارفها على سبيل الحصر فى سورة التوبة قال تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والفارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ التوبة: آية ٦٠. والذى ننصح به الناس: أن يبادروا

واجب العزاء

وبناء عليه نرى أنه لا مانع من الجلوس للتعزية، مع تلاوة القرآن في المجلس، سواء أكان ذلك في بيت أهل الميت أم في أي مكان آخر، بشرط ألا يكون في ذلك تهيج للأحزان، ولا إزعاج للجار بارتفاع صوت التلاوة، ولا تضيق للطرقات بإقامة سرادق في الطريق يضيق على المسلمين سيرهم، فكل هذا لا يجوز شرعاً؛ لما فيه من التعدي على حقوق الغير والإساءة إليه، فإذا اجتنبت تلك المحاذير كلها جاز ولا شيء فيه، والله تعالى أعلى وأعلم.

الهوامش:

- ١ - نقل عنه الجلال المحلي، في شرح منهاج الطالبين ج ١ ص ٤٠١.
- ٢ - رواه الترمذي في سننه ج ٣ ص ٢٨٥، وابن ماجه في سننه، ج ١ ص ٥١١.
- ٣ - رواه ابن ماجه في سننه، ج ١ ص ٥١١.
- ٤ - رواه أبو داود في سننه، ج ٣ ص ١٩٢، والحاكم في المستدرک، ج ٣ ص ٢٣٧.
- ٥ - مواهب الجليل في شرح الخليل، للحطاب، ج ٢ ص ٢٣٠.
- ٦ - رواه أبو داود في سننه، ج ٣ ص ١٩٢، والحاكم في المستدرک، ج ٣ ص ٢٣٧.
- ٧ - رد المحتار على الدر المختار المعروف (بإحاشية ابن عابدين) ج ٢ ص ٢٤١.

السؤال من القارئ/ خليل حجاج من غزة، يقول: ما حكم الجلوس للعزاء والقراءة على الأموات في مجلس عزاء؟

الجواب: التعزية في اللغة مصدر عزى، إذا صبر المصاب وواساه، وهذا هو المعنى المستعمل عند الفقهاء كذلك، قال النووي: هي الأمر بالصبر، والحمل عليه بوعده الأجر، والتحذير من الوزر، والدعاء للميت بالمغفرة، وللمصاب بجبر المصيبة^(١). ولا خلاف بين الفقهاء في استحباب التعزية لمن أصابته مصيبة، ودليل استحبابها قوله ﷺ: «من عزى مصاباً فله مثل أجره»^(٢)، وقوله ﷺ: «ما من مؤمن يعزى أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة»^(٣).

وأما جلوس أهل الميت في مكان لتلقى التعزية فاختلف فيه الفقهاء، فمنهم من كرهه؛ لما فيه من تهيج للأحزان وتذكير بها، ومنهم من أجازها، قال الشيخ محمد بن محمد المعروف (بالحطاب) من أئمة المالكية: «(فروع الأول) في الجلوس للتعزية قال سند: ويجوز أن يجلس الرجل للتعزية، وقالت عائشة - رضي الله عنها - لما قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله ابن رواحة - رضي الله عنهم - جلس النبي ﷺ في المسجد يعرف في وجهه الحزن»^(٤)، خرجه أبو داود انتهى»^(٥).

فحديث عائشة الذي استشهد به الشيخ الحطاب المالكي، وهو عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لما قتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة - رضي الله عنهم - جلس رسول الله ﷺ بيكيهم ويعرف فيه الحزن»^(٦)، استدلل به بعض العلماء على جواز الجلوس للعزاء سواء أكان في المسجد أم في أي مكان آخر.

قال العلامة ابن عابدين من محققى الحنفية: «(قوله: وبالجلوس لها) أى للتعزية، واستعمال لا بأس هنا على حقيقته؛ لأنه خلاف الأولى كما صرح به في شرح المنية، وفي الأحكام عن خزانة الفتاوى: الجلوس في المصيبة ثلاثة أيام للرجال جاءت الرخصة فيه، ولا تجلس النساء قطعاً. أ. هـ. ثم قال لكن في الظهيرية: لا بأس به لأهل الميت في البيت، أو المسجد، والناس يأتونهم ويعزونهم. أ. هـ.»^(٧).

حكم الطلاق عبر المحمول وبغير لغة الزوجين وهل يشتمل على استهزاء بكرامة المرأة وأثر ذلك على المجتمع؟

وعلى أية حال فالطلاق عبر المحمول جائز ويقع به الطلاق على الزوجة إذا نواه الزوج طالما أن هناك أسبابا ومبررات تستوجب ذلك، ولا عبرة بما تسنه بعض الدول من قوانين وضعية لا تجيز ذلك.

حكم طلب الزوجة للطلاق بغير أسباب وطلاقها على الإبراء وحققها في النفقة ومطالبتها بالشبكة

السؤال من القارئ/ إبراهيم عبد العال، من محافظة المنوفية، يقول:

زوجتي تطلب الطلاق بدون أسباب على الرغم من أنني أقوم بواجباتي كاملة نحوها، وهي لا تطيعني ودائمة التنازل على بالأقوال والأفعال. ولا تقوم بالواجبات الزوجية، فما الحكم الشرعي في هذه الزوجة التي تطلب الطلاق؟ وما الحكم لو أجبتها وطلقتها، وهل تطلق على الإبراء؟ وهل يسقط حقها في المؤخر والنفقة؟ وهل يتيح الشرع لي أن أخذ ما دفعته لها من مهر وشبكة؟

الجواب: الزوجة التي تطلب الطلاق بدون مبرر شرعي تعد آثمة شرعا، أما إن وجد سبب للطلاق بأن كانت الزوجة متضررة من الاستمرار في الحياة الزوجية فمن حقها طلب التطلق؛ إما رضا بينها وبين زوجها، أو قضاء بأن ترفع أمرها إلى القضاء المختص، فإذا ما أجاب الزوج زوجته إلى طلب الطلاق وقام بطلاقها على يد المأذون المختص. وكان ذلك بعد الدخول بها وفي عدم حضورها وبإرادته المنفردة؛ كان من حق الزوجة مطالبتها بجميع الحقوق الشرعية المترتبة على هذا الطلاق وإن كان الطلاق بحضور الزوجة وزوجها وبالاتفاق بينهما فتكون حقوقها على ما تم الاتفاق عليه وما تنازلت عنه من حقوق نظير حصولها على الطلاق، ولا يكون لها الحق في المطالبة به، وفي هذه الحالة يكون الطلاق بائنا وليس رجعيا، وبالنسبة للشبكة فهي من حق الزوجة بمجرد العقد عليها إلا إذا تنازلت عنها الزوجة نظير حصولها على الطلاق من زوجها.

السؤال من القارئ/ عصام حسن محمد من محافظة الغربية، يقول: ما شرعية الطلاق عبر المحمول، ورأى الدين في ذلك خصوصا أن بعض الدول لم تجز هذا الطلاق (على سبيل المثال ماليزيا) هل يمكن أن يقع الطلاق حتى لو بغير لغة الزوجين؟ وهل هذا الطلاق استهزاء بكرامة المرأة؟ وما أثر هذا الطلاق على المجتمع؟

الجواب: الطلاق يقع بكل ما يدل على عقدة النكاح فإن كان بطريق الكتابة ولم ينو إيقاع الطلاق لم يقع الطلاق؛ لأن الكتابة تحتل إيقاع الطلاق وتحتل عدم الإيقاع، فلا يقع الطلاق بمجرد الكتابة، ويقع باللفظ، فله أن يكتب إليها بالطلاق وينويه.

واشترط الفقهاء أن تكون الكتابة مستبينة مرسومة، ومعنى كونها مستبينة: أي باقية بحيث تقرأ، ومعنى مرسومة: أي مكتوبة بعنوان الزوجة أي يكتب إليها باسمها.

ويقع الطلاق بأي لغة يفهمها الزوجان، والطلاق وإن كان أبغض الحلال إلا أنه ليس فيه امتهان أو استهزاء بكرامة المرأة حتى وإن كان للطلاق آثار سلبية تنعكس على الأسرة والأولاد والمجتمع.

الصلاة وتارك الصلاة

الصلاة، ويمكن أن يستقيموا فيها ويواظبوا على أدائها بخشوع وإقبال على الله.

أما قضية بقية السنن: كلبس الطاقية؛ فإن هذه أمور سهلة، وليست قضايا نثير بها الوالدين؛ فنحن نريد أن نركز على أركان الدين، وأن نطبقها بهدوء، معهم، وبر الوالدين له بركة، حتى هذا الوالد الذى لا يصلى أيضا بره له بركة، وحرصك عليه وخوفك عليه يدل على إيمانك، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى: ﴿وإن جاهدك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروف﴾ لقمان: آية ١٥.

وقد أخرج البخارى فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر - رضى الله عنها - قالت: قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ قلت: إن أمى قدمت وهى راغبة أفأصل أمى؟ قال: «نعم صلى أمك» (٢).

هذا مع المشركين، فما بالك بالمسلمين؟ ونرجو الله - سبحانه وتعالى - أن يتقبله منك.

الهوامش:

١ - أخرجه الترمذى فى الإيمان (٢٦٢١).

٢ - أخرجه البخارى فى صحيحه (٢٤٧٧) (٩٤/٢)، ومسلم فى صحيحه (١٠٠٣) وأحمد فى مسنده (٣٤٤/٦).

السؤال من القارئ: إبراهيم محمد خليل من محافظة البحـر الأحمر، يقول: والدى لا يصلى وأنا دائم النصـح له، ولكنه لا يستمع لنصـحي فمرة يسـكت ومرة يغضب أو يصـخب؟ وأنا أخاف عليه، فماذا أفعل؟ خصوصا أنه عندما تأتى مواعيد الصلاة فى المسجد أصلى الفجر حاضرا فى جماعة، وهناك مواعيد أخرى للصلاة تكون فيها أوقات للمذاكرة والالتزام بالدراسة لا أصلى؟ وكثيرا ما يمنعنى والدى من أداء بعض السنن، مثل: تربية اللحية، وارتداء طاقية وأنا أصلى فقط، فما هو الحل؟

الجواب: نحن هنا أمام قضية عميقة نوعا ما، وهى انتشار عدم الصلاة - والعياذ بالله تعالى - وترك هذا الركن من أركان الدين الذى هو عمود الأمر الذى قال فيه رسول الله ﷺ: «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» (١).

والحكمة أنه قال: قد كفر، ولم يقل: إنه كافر؛ يعنى هذا عمل شديد من أعمال الكفار وهو ترك الصلاة، ويجب على الناس ألا تستهين بترك الصلاة؛ لأن الصلاة هى الإناء الذى سوف توضع فيه البركة واستجابة الدعاء، وتوضع فيه الهداية، ويوضع فيه التوفيق.

ومن غير الصلاة لا نستطيع أن نفعل شيئا مع الله - سبحانه وتعالى - لأنه فرض لنا الصلاة من أجل أن يعطى لنا شيئا ونحمده فيها، فإذا كانت غير موجودة فتصبح المصيبة مصيبة كبرى، وينبغى على كل مسلم فقط أن يسارع ويبادر بالصلاة قبل الفوات والموت.

أما بخصوص صلاة الجماعة: فالجماعة فرض كفاية، ولذلك إذا منعوك من هذا حاول أن تصلى بهم فى البيت، يعنى أيضا هذه طريقة من أجل أن يعتاد والدك على الصلاة.

تقول له: أنا لن أصلى فى المسجد فتعال صل معى؛ وذلك حتى تصلى به جماعة، وحتى لا يضيع منك ثواب الجماعة - وحتى لو لم تذهب إلى المسجد - لأننا نريد أن ندعو المسلمين مرة ثانية إلى حظيرة الإسلام، وإلى حظيرة الإيمان، وإلى دائرة الالتزام فتجعلها لله أيضا. فنصلى ولو فى المنزل؛ حتى نعودهم على الصلاة، وعندما يجدوا لذة صلاة الجماعة يمكن ألا يتركوا

على
القراء

نافذة

أ. حسين السكري

○ نافذة على القراء ○ نافذة على القراء ○ نافذة على القراء ○ نافذة على القراء ○ نافذة على القراء

الأخلاق الإسلامية الفاضلة

للقارئ / محمد أحمد الديب - فوه -
كفر الشيخ.

الدين الإسلامي دين الأخلاق الإسلامية الفاضلة التي يحبها الله ورسوله لبناء الأمة بناء راسخا الذي يسوده الاستقرار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد قال الله - تعالى -
: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ نِسَاءٍ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا مُنْهِنٍ﴾ الحجرات: آية ١١، كما بشر الرسول الكريم الطيب صاحب الخلق الحسن بالجنة حيث يقول: «إن من أحبيكم إلى وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» فصاحب الأخلاق قوى الإيمان صحيح العقيدة، لا تناقض في التعامل بين الناس، والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ولنا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: آية ١٩٩.

إذا كانت الأخلاق الإسلامية أخلاقا فاضلة فعلا تقوم عليها كل الأسس الخلاقة فلا يوجد في الدين الإسلامي أفضل ولا أنبل من الأسس الخلاقة، فالمجتمع لا يقوم إلا على هذه الروح.

وصايا الرسول للأخذ والتترك

للقارئ/ شعبان عبدالعال إبراهيم خليفة بمحاضرة المنيا -
بنى حسن الشرق.

جاء رجل من البادية إلى رسول الله ﷺ وحديثه لطلب العلم قائلا: يا رسول الله إنك تعلم أن السفر بيننا وبينك طويل وأن أهل البادية غلاظ القلوب وجئتك لأستفيد بشيء من علمك أنفع به نفسي وأهلي فقال رسول الله ﷺ: «أوصيك بأربع استمسك منها بأثنتين وابتعد عن اثنتين، أما ما أنصحك بالاستمسك به فهو أن تتحلى بالأخلاق الكريمة الفاضلة، يحبك الله والناس وأمرك بالمعروف بين أهلك وعشيرتك ولو بهلء جرة فإن الحسنة مهما صغرت فلها جزاء الحسنى عند الله - سبحانه - أما ما أنهاك عنه فإياك والكبر فإنه مفضية لله لأنه - سبحانه وتعالى - لا يرضى لنفسه أن يشاركه العزة والكبرياء وهما لله وحده، وإن استباح إنسان لنفسه ذلك غضب الله عليه وحرمه عز الدنيا ونعيم الآخرة. أما الثانية فإن سبك أحد بما هو فيك أملك أشد الألم بعيب يعرفه عنك فلا تسبه أنت بعيب تعرفه عنه فإن لك الأجر وعليه الوزر، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد البشير المبشر للعاملين بما قال الله - تعالى - : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل: آية ٩٧.

إذا لم تكن وصايا الرسول ﷺ من أعظم الوصايا، فمن تكون وصاياه إذن من أعظم الوصايا وأكرمها وأفيدها للمجتمع والناس.

مكانة السيرة في حياة الأمة

من أدعية الرسول ﷺ

للقارئ/ محمد عباس عرابي - القاهرة.

إنهم يريدون الكثير لأنفسهم وأهليهم والمقل يريد السعة والموسع يريد مزيدا، وأهليهم ومآرب الحياة لا تقف عند حد، والقوى المبذولة وراءها تستتقد الطاقة، يقول صاحب فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، ترى كم تستهلك هذه الساحة من جهود البشر؟ كأن صاحب الرسالة الخاتمة كان يستحضر هذه المشاعر وهو يناجي ربه عندما يخرج من بيته يقول: باسم الله توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك من أن أزل أو أزل، أو أضل أو أضل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل علي، إنه لا يريد غلبا على أحد، كما أنه يريد النجاة من الزلل يقع فيه كما يقع أحدا فيه، إنه لا يريد غلبا على أحد، إنه يريد النجاة من الزلل يقع فيه أو يوقع أحدا فيه، إنه يبغى الهدى لنفسه ولغيره، إنه يستعيز بالله أن يجهل على أحد أو أن يجهل طاغ مفتون، إنه يكره الظلم في صوره كلها، بذلك يدعو ربه ويستمد منه العون وقد طلب الرسول ﷺ من قال إذا خرج من بيته عندما يخرج من بيته، باسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت، إن مخالطة الناس تعرض المرء لمشكلات جملة وقد يتولد من الاحتكاك شر خارق، واليقظة العقلية مهما كانت حادة لا تغني عن حماية الله وهو - سبحانه - يقي من اعتمد عليه ولاذ به.

أدعية الرسول ﷺ من أنجع الأدعية وأهمها وأقواها، وهل هناك أدعية لها أهميتها وفضلها من أدعية الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وإذا قرأنا بعض الآيات القرآنية لعرفنا فحواها ومعناها ومضمونها حق المعرفة وكأنها يلسم من البلاسم الشافية.

للقارئ/ محمد على أحمد الشريف - دمياط - جامعة المنصورة.
السيرة ما كانت حديثا يفترى وحكايات تروى أو أساطير، فالتاريخ الإنساني بطوله وعرضه في شخصية رسول الله ﷺ ليست أساطير وإن بدت من فرط إعجازها كالأساطير فإنها حقائق عظيمة، حقائق تدل على عظمة الخالق وعظمة الرسالة وعظمة الرسول، إنها لا تدرك بالعقول أو تحاط بالقلوب، إنها حقائق وحتما عظيمة، إنها عظيمة، إنها حقائق تمثل سيرة أعظم خلق الله وحق شخصية الرسول الكريم ﷺ بما وهبها الله - تعالى - من جوانب إنسانية عظيمة، إنها خلقت أعظم معلم في تاريخ الإسلام، من هنا كانت عظمة السيرة وكانت مكانتها في حياة الأمة وفرضيتها ورفيها على الأمة، وعلى الأمة أن تتأسى بالسيرة العطرة لأنها تمدنا بكل الدروس والعبر وتغنينا عن كل مستحدث دخيل وتعيد للشباب العدة والعتاد والعظمة في الروح والعقل والعلم.

لو لم يكن هناك عقل وروح إنسانية سليمة لما كان هناك إدراك لهذا الكلام السماوي الذي نزل على الرسول ﷺ لأنه لا ينطق عن الهوى ولهذا اصطفاه الله - تعالى - وأرسله رسولا، ومن هنا سكن كلامه في النفوس والقلوب وآمنت به ﷺ.

قوم بهت

القارئ/ الخضرى عبدالمنعم على السيد - مصر - محافظة الشرقية.

الصحابى عبدالله بن سلام كان حبرا من أحبار اليهود وعالما من علمائهم يكنى أبايوسف وهو من ولد يوسف بن يعقوب - عليهما السلام - وكان حليفا للأنصار، وكان اسمه فى الجاهلية الحصين فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبدالله وشهد له بالجنة، روى البخارى فى صحيحه ٣٥٣/١٢ أن عبدالله رأى رؤيا فقصها على النبى ﷺ فقال له: «تموت وأنت مستمسك بالعروة الوثقى»، كان يعلم كما تعلم اليهود أن نبيا سيبعث فى آخر الزمان، وكانوا يترقبون بعثته وينتظرون ظهوره وتسامعت الجزيرة العربية كلها بالرسول ﷺ الذى يرفض الأصنام ويدعو إلى عبادة الواحد الأحد، ومنذ ذلك الحين وابن سلام يتنسم أخبار سيدنا محمد ﷺ ويترقب وصوله إلى يثرب مع المتلهفين بعد أن جاءتهم الأخبار تترى بقرب وصوله إلى المدينة، ويصور لنا ابن سلام ذلك فيقول: لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته وزمانه الذى كنا نتوقف له، نترقب ونتوقع فكنت مسرا لذلك صامتا عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقاء فى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل فأخبر بقدمه وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها، وعمتى خالدة ابنة الحارث تحتى جالسة، فلما سمعت الخبر بقدم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبرى: خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادمًا مازدت، قال: فقلت لها: أى عمة؛ هو والله أخو موسى وعلى دينه، بعث بما بعث به، قال: فقالت: أى ابن أخى أهو النبى الذى كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم، فقالت: فذاك إذن، قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتى فأمرتهم فأسلموا، قال: وكتمت إسلامى عن يهود، ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يارسول الله: إن يهود قوم بهت، أى كذابون يقولون

على المرء ما ليس فيه، وإنى أحب أن تدخلنى فى بعض بيوتك وتغيبنى عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا إسلامى، فإنهم إن علموا به بهتونى وعابونى، قال: فأدخلنى رسول الله ﷺ فى بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه، فقال لهم: أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا، قال: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود: اتقوا الله وأقبلوا ما جاءكم به فوالله لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة باسمه وصفته، فإنى أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدقّه وأعرفه، فقالوا: كذبت وأوقعوا بى، فقالوا شرنا وابن شرنا، فقلت لرسول الله ﷺ: ألم أخبرك يارسول الله أنهم بهت أهل غدر وكذب وفجور.

حقا إنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور وهذا ما تحكيه الأيام ويرويه التاريخ ونلمسه على الواقع ونحسه ونراه.

العيد الحقيقي

نتنظره هو العيد الذى يصبح المسلمون فيه أحرارا قادة، الذين يملكون فيه القرار ويتخذونه من عند أنفسهم، حين يكون المسلمون قادرين على الدفاع عن أنفسهم وعن حرمتهم، فلا ينتهك عرض ولا تنتهك حرمة ولا يسفك دم ولا يهدم منزل ولا يدمر مسجد، حينما يأتى هذا اليوم نستطيع أن نقول عيدكم مبارك أما أعيادنا اليوم فليست أعيادا؛ إنها أعياد لا طعم لها ولا معنى، كيف نفرح وأراضى النبوات تنتهك فيها الحرمات؟ ومن قديم قال المتنبي:

عيد بأى حال عدت يا عيد

بما مضى أم لأمر فيك جديد

كان أبو الطيب يشكو الفرية عن الأهل والوطن، يشكو فراق الأحبة، فلسنا نشكو مثله، إننا نشكو ماهو أوجع؛ نشكو المأسى التى حلت بالأمّة فأخترت مسيرتها ومزقت صفوفها وأصبح أعداؤها يتحكمون فيها ولا تستطيع أن ترد لهم أمرا، أحزان وهموم، تطاردها أحزان وهموم، المصائب تطاردنا كل يوم صبح مساء، ما الذى جرى لهذه الأمّة حتى يحدث لها ما حدث؟ عندها وسائل القوة، عندها القدرة البشرية والاقتصادية، عندها القدرة الروحية لأنها تملك أعظم رسالة وهى رسالة الإسلام الخالدة، ماذا فعلت المؤتمرات، كلام فى كلام، حتى كلامنا إذا تكلمنا فهو كلام أشبه بالهمس الذى لا يوقظ النائم، أصوات خافتة ضعيفة، إنها آلام ودموع وزفرات لا يستطيع الإنسان أن يكتمها فى نفسه.

أمثل هذا يذوب القلب من كمد

إن كان فى القلب إسلام وإيمان

لقد أتيت بالمفيد، فماذا تفعل وماذا تريد والقوم من حولك يلبسون لباس العبيد؟ لا حول لهم ولا طول ولا همة ولا نخوة فاستقبل عيدك كسائر الناس واكتم فى نفسك ماتراء وما تسمع عنه لأن اليهودية والدول الأوروبية عرفت فيك الخنوع والخضوع، وكل أسلحتنا التى نملكها هى أننا كمعرب وكمسلمين نشجب ونستنكر ونطالب ولا بد وحيث أن وما إلى ذلك من العبارات العربية الخلافة، فدع صلاح الدين وقطر والمسلمين الأوائل ينامون فى مضاجعهم ولا تقلقهم فى راحتهم..

للقارئ/ الشيخ عبدالحميد

محمد الراوى - إمام وخطيب
ومدرس بمديرية أوقاف كفر الشيخ -
الروضة الخيلية.

إذا كانت الأعياد تحمل معانى الفرح والبهجة فليس كل عيد يقبل بالفرح والسرور على كل الناس فبعض الناس تزيد الأعياد فى أحزانهم ومواجههم حين يرون من صفا الدهر وسالمتهم الأيام وتواصلت عليهم النعم، والصور أمامنا واضحة، كيف يفرح بالعيد إخوة لنا نكبوا فى ديارهم وأموالهم، كيف يسعد بالعيد النساء والأرامل والأطفال واليتامى والمشردون المضطهدون فى كل مكان، كيف يفرح من هتك عرضه وسفك دمه، كيف يفرح بالعيد هؤلاء الذين يقاومون أعداءهم، أعداء الدين ويواجهون حملات الإبادة والتشريد لأنهم يدافعون عن دينهم وعقيدتهم؟ إن الإسلام محاصر فى كل مكان وللأسف يضرب بيد أبنائه، ويجب أن نعرف أن الكل فى خطر إن لم يتحدوا على الإسلام، إن لم يستقيموا على كتاب الله وسنة رسوله، فلا مخلص لنا إلا الإسلام. هذه الملايين من الناس تستطيع أن تفعل الكثير لو أنها اجتمعت على منهج واضح خلف قيادة إسلامية. تستطيع أن تفعل مثل ما فعل صلاح الدين وما فعل قطر وما فعل المجاهدون الأولون، العيد الذى

رجل من أهل الجنة والخوف من الله

للقارئ/ أشرف فتحى محمود الجندى، جامعة الأزهر - دراسات عليا.

فتكلم والدها فقال: يا رسول الله زعم هذا الشاب الغريب أنك أمرته بما صنع بابنتى، فقال النبي ﷺ: نعم فزوجه ابنتك على اسم الله وبركته، قال: قد فعلت، فزوجه الشيخ ابنته وأشهد النبي ﷺ وأصحابه، فقال النبي ﷺ: «لك أوقيتان ولزوجتك أوقيتى لها أيضا، فقال يا رسول الله: قد جعلت والدها: «جهزوا هذه الجارية للشاب من يومه هذا» قال الشيخ: سمعا وطاعة لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ، فجاء الشاب إلى رسول الله ﷺ فأمره أن ينصرف إلى أهله، فجاء إلى منزله فدخل إلى فراش مفروش وإلى بساط ممدود وإلى زوجة جالسة وإلى سراج يزهر وإلى طعام قد هيئ له فلما نظر إلى ذلك بادر إلى مكان فى مجلسه فجلس فيه ركعتين شكرا لله - عز وجل - ثم قام وصلى ركعتين ثم رفع رأسه إلى السماء فحمد الله وأثنى عليه وشكر نعمته، ثم جعل يقوم خلال ذلك ويصلى ركعتين وهكذا.

عن عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: «كان رجل باليمن يقال له: يعلى، وكان مشركا ليس له من الدنيا إلا قطيفة توارى عورته ويأوى بالنهار إلى ظل شجرة وبالليل إلى جحر كجحر الكلب، فسمع بخروج النبي ﷺ فأقبل إلى النبي ﷺ وكان ترفعه أرض وتضعه أخرى حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وقعد مع أهل الصفة يطعم القبضة من العجوة والكسرة من الخبز الشعير وكان لا يفارق مجلس النبي ﷺ حتى تعلم أربع سور من القرآن الكريم، فسمع النبي ﷺ يقول: لا فاقة بعد القرآن ولا غنى بعد النار، فقال: يا رسول الله زوجنى، قال: أعندك مال؟ قال: عندى أربع سور من القرآن ومن كان عنده الوحي وكلام الله فهو غنى، قال النبي ﷺ: صدقت، فانطلق إلى بنى سلمة، حتى من الأنصار واستخر الله فأول جارية تستقبلك فهي زوجتك، فانطلق الشاب لا يدري إلى أين يتوجه فاستقبلته جارية جميلة فقال: يا جارية: أى حى هذا؟ قالت بوسلمة، قال الشاب: الله أكبر، أنت امرأتى تعالى، قالت: ما أسفحك، قال: لست بسفيه ولكن أمرنى بذلك رسول الله ﷺ، قالت الجارية: إن كان أمرك بذلك رسول الله ﷺ فسمعا وطاعة لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ ولكن حتى أسمع منه فانطلقا الشاب والجارية ليأتيا النبي ﷺ فإذا أبوها وأخوها، فقالا: أين تذهبين؟ فقالت: إن الشاب تعلق بى وزعم أنى امرأته فأنكرت ذلك عليه، فقال: كذا أمرنى رسول الله ﷺ فأنا معه إلى رسول الله ﷺ حتى أسمع منه، فانطلقوا جميعا حتى دخلوا على رسول الله ﷺ

مسابقة منبر الإسلام الدينية - جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ (٩)

«نريد أن نتعلم جميعا فن الاختلاف بغير خلاف حتى نرتقى ببلادنا وبأنفسنا وبأولادنا متذكرين وصية نبينا ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تنازروا وكونوا عباد الله إخوانا»

السؤال.. فى أى مقال وردت هذه العبارة... وما اسم كاتبه؟

عنوان المقال : اسم الكاتب :

العنوان :

العمل :

اسم المتسابق : رقم التليفون :

تاريخ الميلاد :

رقم البطاقة : جهة الصدور :

املا بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة.

ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٨ هـ حتى شعبان ١٤٢٩ هـ

بريد التعارف

الاسم : شعبان حسن
فرج إسماعيل
الهواية : القراءة
والاطلاع الديني
العنوان : ٢٧ شارع
عبدالقادر . دار السلام
أمام مجمع المدارس



الاسم : محمد
عبد الحميد محمد عبدالله
الهواية : ترتيل القرآن
وتفسيره وممارسة
الرياضة
العنوان : شندويل
المراغة - سوهاج



الاسم : شريف
عبدالرازق الدراكسي
الهواية : الخطابة
والدعوة إلى الله
العنوان : الدراكسة
منية النصر . دقهلية

الاسم : إسلام حلمي
محمود درويش
الهواية : قراءة القرآن
الكريم والخطابة
العنوان : كنز مناوهلة
الباжور - المنوفية



الاسم : سيد محمود
على يوسف
الهواية : الاطلاع
الديني
العنوان : قنا . قوص
الجمالية - نجع الشيخ
الليثي



الاسم : السيد التُّحفة
الهواية : قراءة القرآن
وكتابة الشعر والمقالات
الصحفية
العنوان : شبراخيت
شارع أحمد عرابي



الاسم : محمد كمال
قاسم
الهواية : الخطابة
والدروس الدينية
العنوان : منشية جمال
عبدالناصر - حلوان

الاسم : عوض محمد
على الشحات
الهواية : القراءة
والتصوف
العنوان : النهضة
الجديدة - دكرنس -
دقهلية



تعارف منير الإسلام

ترجو المجلة من قرائها فصل الكوبون المجاور وملء
بياناته وإرفاق الصورة به وإرساله إلينا

الاسم :
الهواية :
العنوان :

محتويات العدد

١	افتتاحية العدد	□
٢	حديث الشهر (الإيمان.. والحب)	□
٥	على مائدة القرآن الكريم	□
٦	تفسير سورة (الفجر)	●
١١	بين العقل والوحي	●
١٦	صفات المؤمنين في القرآن الكريم والسنة النبوية	●
٢٠	المشكلات التربوية لمسلمي ستاحل العاج	●
٢٢	قضايا معاصرة	□
٢٤	ليس دفاعاً عن الإسلام والمسلمين	●
٢٦	العولة والعالم الإسلامي	●
٣٠	القدس الشريف.. رمز الصراع وبوابة الانتصار	●
٣٥	القدس مدينة السلام	●
٤٠	ردا على الفيلم الهولندي المسيئ للقرآن الكريم (شعر)	●
٤٢	معالجات إسلامية [إنا كفيناك المستهزئين]	●
٤٣	حوار وحضارة	□
٤٦	الإسلام دين الحضارة الباعث لقيم التسامح	●
٥٠	خلق الوجه ومافيه من حواس	●
٥٣	تجميل المدن وتشجيرها في منهج الإسلام	●
٥٦	أدب الحوار في الإسلام	●
٥٨	الأوقاف وحماية الآثار في مصر	●
٦١	الإسلام والآخر	●
٦٩	فقه وأحكام	□
٧٠	حق الإنسان في مستوى لائق من المعيشة بموجب الإسلام	●
٧٥	الأخلاق وصلتها بالعقيدة والعبادة	●
٧٨	السعي للإنسان يرفع قدره (شعر)	●
٧٩	في واحة التصوف	□
٨٠	حكم وإشارات صوفية	●
٨٦	مساجد لها تاريخ	●
٨٩	المكتبة الإسلامية	□
٩٠	ظهر الإسلام	●
٩٤	سيرة الرسول ﷺ في تصورات الغربيين	●
٩٩	الدعوة والخطاب الديني	□
١٠٠	حرية التعبير في الإسلام	●
١٠٤	روح الإسلام العمل	●
١٠٩	واجب الدعوة نحو القرآن	●
١١٤	لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة	●
١١٨	فرائض الإيمان	●
١٢١	على هامش معرض (لكوني مسلماً في أوروبا)	●
١٢٥	أنباء وأخبار	●
١٢٩	العلاقة بين الإسلام والغرب - ندوة الموسم الثقافي	●
١٣١	واحة المنبر: سرية مؤتة	●
١٣٣	يسألونك في الدين والحياة	□
١٣٩	نافذة على القراء	□
١٤٤	بريد التعارف	□
١	أ. د. محمود حمدي زقزوق	
٥	أ. د. محمد سيد طنطاوي	
١١	أ. د. محمد السيد الجليند	
١٦	فضيلة الشيخ: فوزي فاضل الزفزاف	
٢٠	أ. د. مصطفى رجب	
٢٢	أ. رجب البنا	
٢٤	أ. د. نادية مصطفى	
٢٦	أ. د. محمد عمارة	
٣٠	أ. د. أحمد عمر هاشم	
٣٥	أ. د. أحمد عمر هاشم	
٤٠	أ. د. يوسف جمعة سلامة	
٤٢	أ. د. عبد الفتاح مصطفى غنيمه	
٤٦	أ. د. عبدالمعبد عمارة	
٥٠	أ. د. عبدالرحمن عميرة	
٥٣	فضيلة الشيخ: خالد الجندي	
٥٦	أ. د. أحمد عوف محمد عبدالرحمن	
٥٨	أ. د. محمد محمد أبو ليلة	
٦١	أ. د. محمد شوقي الفنجري	
٦٩	أ. د. سالم عبدالجليل	
٧٠	أ. د. عمر موسى موسى البرعي	
٧٥	أ. د. حسن الشافعي	
٧٨	أ. د. محمد كامل شاهين	
٧٩	أ. د. محمد الشحات الجندي	
٨٠	أ. د. محمد عبدالجيد زيدان	
٨٦	أ. د. بكر زكي عوض	
٨٩	أ. د. أحمد عبداللطيف الكلى	
٩٠	أ. د. عبدالرحيم الكري	
٩٤	أ. د. مصطفى إبراهيم خيان	
٩٩	أ. د. منير بيومي	
١٠٠	أ. د. محسن عبدالفتاح	
١٠٤	أ. د. محمد سيد أحمد على الدين	
١٠٩	أ. د. فضيلة الدكتور على جمعة محمد	
١١٤	أ. د. يحرره: حسين السكري	



يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أن يزود المكتبة الإسلامية والقارئ المسلم في جميع أنحاء العالم الإسلامي بأمهات الكتب التي صدرت عن المجلس ومنها :

المصحف الشريف

- المصحف الشريف طباعة المجلس ٢ لون بصمة ذهب
- المنتخب في تفسير القرآن الكريم باللغة العربية
- مجلد فاخر طباعة أوفست ٢ لون وترجمته باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإسبانية والإندونيسية.
- المصحف المعلم ٣٨ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصري
- المصحف المرتل ٢٢ شريطاً للشيخ محمود خليل الحصري
- المصحف المجود ٦٠ شريطاً للقراء عبد الباسط عبد الصمد ، مصطفى إسماعيل ، محمود علي البنا ، محمود خليل الحصري

سلسلة الموسوعات الإسلامية المتخصصة

- الموسوعة القرآنية
- موسوعة أعلام الفكر الإسلامي
- موسوعة التشريع الإسلامي
- موسوعة علوم الحديث
- موسوعة الحضارة الإسلامية
- موسوعة الفرق والمذاهب في العالم الإسلامي

أمهات كتب التراث

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد
- الأجزاء من ١ : ١٣
- صفوة السيرة النبوية لابن كثير
- الأجزاء من ١ : ٤
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز
- الأجزاء من ١ : ٦
- مختصر سيرة ابن هشام - الأجزاء ١ ، ٢
- إخلاص النواي - الأجزاء من ١ : ٤
- صحيح البخاري - الأجزاء من ١ : ١١

وهذه الكتب لكبار العلماء والمحققين في العالم الإسلامي

- موسوعة الفقه الإسلامي - الأجزاء من ١ : ٢٨
- الفتاوى الإسلامية مجلدة - الأجزاء من ١ : ٢٠
- ينابيع الأحكام في معرفة الحلال والحرام
- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين
- الأحاديث القدسية مع تعليق كبار العلماء

وتيسيراً على القارئ المسلم ومشاركة في تزويد المكتبات الإسلامية بالمطبوعات التي صدرت عن المجلس، تباع هذه المطبوعات للجمهور بسعر التكلفة الفعلية، مع إجراء نسبة خصم البيع بالنقد إذا زاد عدد النسخ المباعة على عشر للكتاب الواحد أما بالنسيئة للهيئات الحكومية والمؤسسات العامة فيمكن البيع بالأجل على أقساط شهرية دون أية زيادة على أسعار التكلفة الفعلية.

مراكز البيع

مواعيد العمل من ٩ صباحاً إلى ٢ ظهراً

٢ شارع الأمير قنديل المتفرع من ميدان التحرير
٧٦ شارع الجمهورية (شرايط القرآن الكريم)

القاهرة ٩ شارع النباتات - جاردن سيتي
مكتبة مسجد النور بالعباسية

الإسكندرية فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ٤٢ شارع سعد زغلول